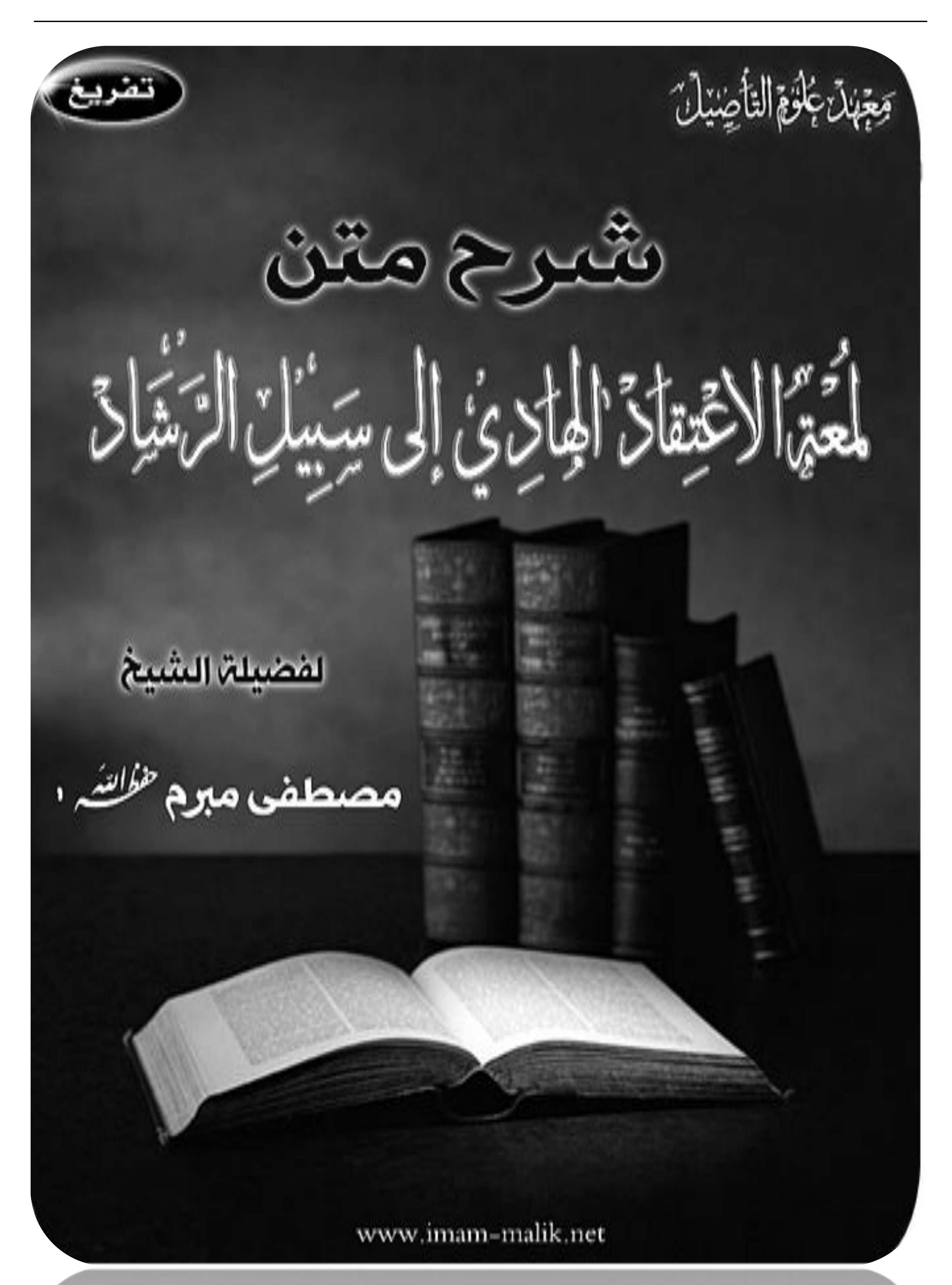

تفريغ
معهد علوم التأصيل
شرح متن
لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد
لفضيلة الشيخ
مصطفى مبرم حفظه الله
www.imam-malik.net



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا إلى يوم الدّين أمّا بعد:

فهذا هو المجلس السابع عشر من مجالس معهد علوم التأصيل التابع لشبكة إمام دار الهجرة العلمية، وهو المجلس الأول من الكتاب الرابع المقروء في هذا المقرر، ألا وهو كتاب: لُمعَة الاعتقَاد للإمام : موّفق الدّين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدّسي –رحمه الله تعالى–

و تقدم معنا أنّه سيضطرد معنا مقدمتان في ابتداء كلّ درس:

المقدمة الأولى:متعلقة بالمُصنِف.

المقدمة الثانية : متعلقة بالمُصنَف.

فأمّا المقدمة الأولى فهي ترجمة مختصرة لمصنِف الكتاب المقروء ، تُعَرِف به، و إن كانت ليست ترجمة ضافية، تقوم بحقّه على من وراءه من أمّته .

اسمه ونسبه :

فأمّا مصنف هذا الكتاب الذي هو : لُمعَة الاعتقَاد ، فهو العلامّة، الفقيه، الأصوّلي، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة بن مقدام ، ويلقب بالمقدّسي، نسبةً إلى بلاد المقدس، ثمّ هو أيضا الدمشقي، الصالحي، وأنهى النسابون نسبه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– فإنّه أيضا ينسب إلى العمري، فيقال فيه أيضا: العمري، لأنّه منسوب إلى عمر بن خطاب –رضي الله عنه وأرضاه–.

مولده:

ولد–عليه رحمة الله– بجمّاعيل من قرى نابلس بفلسطين، وكان مولد في شهر شعبان سنة إحدى وأربعين و خمسمائة من الهجرة (٥٤١هـ).

نشأ –عليه رحمة الله– في كنف والده، وكان والده خطيبا بجمّاعيل، وهو من علماء الحنابلة، عُرِف بصلاحه، وزهده، وفقهه، وعنه تلقى إبنه إبن قدامة –رحمه الله تعالى– مبادئ العلم،

رحلته لطلب العلم:

ابن قدامة–رحمه الله– كغيره من أهل العلم كانوا يبدؤون بأخذ العلم في بلادهم، ثمّ يرحلون في طلب العلم، وتحصيله، وأخذ، وكان بداية ارتحاله –رحمه الله– من فلسطين عندما استولى الفرنج الصليبيّون على الأرض المقدسة، فهاجر منها مع والده، وأهل بيته وكان ذلك سنة إحدى وخمسين و خمسمائة (٥٥١هـ) و عمره على هذا عشر سنين، ونزلوا في مسجد أبي صالح وأقاموا به نحو سنتين، ثمّ انتقلوا إلى الجبل، واستغل الموفق ابن قدامة –رحمه الله– هذه المدّة فحفظ القرآن، وسَمِع الكثير من الأحاديث، وحفظ مختصر الخِرقي في الفقه الحنبلي، وهذا المختصر هو الذي شرحه بعد ذلك ابن قدامة–رحمه الله–في كتابه الحافل: المغني ، ارتحل بعد ذلك إلى العراق مرتين كانت الأولى سنة إحدى وستين و خمسمائة (٥٦١هـ)، والأخرى سنة سبعة وستين وخمسمائة(٥٦٧هـ) .، حجّ إلى البيت الحرام سنة أربع وسبعين وخمسمائة (٥٧٤هـ)، ثم رجع مع وفد العراق إلى بغداد، وأتمّ بها المدّة التي أرادها لطلب العلم، رجع بعد ذلك –عليه رحمة الله– إلى دمشق واستقرّ بها، وابتدأ تصنيف كتابه المغني في تلك المرحلة التي شرح بها الخرقي. ثمّ أنجزه– عليه رحمة الله–، وهو كتاب مطبوع، حافل، وموسوعة من الموسوعات يرجع إليها المتخصّصون في علم الفقه، وعلوم الشرعية.

مشايخه:

أخذ ابن قدامة–رحمه الله– العلم على ثلة كبيرة من المشايخ، أو الشيوخ، والعلماء، كما هي العادة في تلك الأزمان منهم:

- الشيخ عبد القادر بن عبد الله الجَيلاني الذي تفقه على مذهب الإمام أحمد أدركه الموفق –رحمه الله– في بغداد في آخر حياته. حتى قال ابن قدامة –رحمه الله– وقد سئل عن الشيخ عبد القادر: "أدركناه في آخر عمره، فأسكننا مدرسته" كما ذكر ابن العماد في شذرات الذهب.
- وممن لقيهم أيضا الشيخ: عبد الله المغيث بن زهير بن علوي الحربي الحنبلي، وكان محدث بغداد –عليه رحمة الله–.
- وممن لقيه ابن قدامة الشيخ: نصر بن فتيان بن مطر النهرواني، وهو المعروف بأبي الفتح.

أمّا تلاميذه:

فقد تتلمذ عليه عدد كبير من العلماء الذين تخرجوا عليه ومن أشهرهم:

- شهاب الدّين أبو شامّة المقدسي؛ وهو إمام عالم كير بالقراءات، وله شرح على الشاطبية وعلى عقيلة الأتراب، وعلى غيرها من الكتب. وهو –عليه رحمة الله– من أفراد أهل الشام في العلم في زمانه.
- ومنهم أيضا ممن أخذ عن ابن قدامة المقدسي –رحمه الله – :الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الغني المقدسي.
- ومنهم الشيخ إسحاق بن إبراهيم بن يحيي الشقراوي.
- والشيخ عبد الرحمان بن إبراهيم المقدسي.
- والشيخ عبد الرحمان بن إسماعيل المقدسي.

والمهم أنّه قد لقيه وتتلمذ عليه كثير من الأئمة.

مؤلفاته :

كثيرة كما هي عادة أهل العلم أيضًا في تلك الأزمان، فإنّهم كانوا يصنفون في علوم الشرع المختلف، ،أصولًا، وحديثًا، وفقهًا، ولغة، واعتقادًا. وإن كانت مصنفات ابن قدامة الكثيرة في الفقه فمنها:

- كتابه العمدة على مذهب الإمام أحمد؛ وهو كتاب على مذهب الإمام أحمد براوية واحدة، كتاب مختصر.
- وكذلك كتاب المقنع، وكتاب الهادي، وكتاب الكافي، وكتاب المغني؛ كلّها في الفقة، وأكبرها، وأجلّها، وأعظمها: كتاب المغني الذي شرحه فيه كتاب مختصر الخرقي.

ومصنفاته في أصول الفقة: كتاب روضة الناظر.

- وكذلك له كتاب فضائل الصحابة .
- الرقائق والآداب: منهاج القاصدين، وكتاب التوابين والمتحابين في الله، والاستبصار في نسب الأنصار.
- وكذلك كتابنا هذا الذي هو:كتاب لمعة الاعتقاد ويسمى أيضًا بالاعتقاد كما سماه طائفة ممن ترجم لابن قدامة–رحمه الله تعالى–.

وكذلك كتابنا هذا الذي هو لمعة الاعتقاد، والذي يسمى أيضًا بالاعتقاد كما سماه طائفة ممن ترجم لابن قدامة –رحمه الله تعالى–. أثنى عليه كثير من أهل العلم ممن ترجم له، ومنهم أبو عمر بن الصلاح، فإنه قال: "ما رأيت مثل الشيخ الموفق"، وكذلك يقول أبو العباس ابن تيمية ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفق."، وأما المنذري –رحمه الله– فقال: "الفقيه الإمام حدَّث بدمشق، أفتى، ودرَّس، وصنَّف في الفقه وغيره مصنفات مختصره ومطولة."، وأما الذهبي –عليه

رحمه الله– فقال فيه: "أحد الأئمة الأعلام، صاحب التصانيف."، وقال الحافظ ابن كثير: "شيخ الإسلام إمامٌ، عالمٌ، بارعٌ، لم يكن في عصره ولا قبل دهره بمدةٍ أفقه منه."، وهذا أيضًا كثير في كتب أهل العلم الذين ترجموا لابن قدامه المقدسي –عليه رحمة الله ومغفرته–. أما وفاته فبعد عمر من الاشتغال بالعلم وطلبه والتصدي للإفتاء والتدريس والتأليف والجهاد في سبيل الله –تبارك وتعالى–، ذكروا في ترجمته –وإن كنت لم أحرر هذا– ذكروا في ترجمته أنه كان –إن لم أهم، ويحتاج هذا إلى تحرير– أنه كان ممن جاهد مع صلاح الدين الأيوبي في استعاده بيت المقدس. بعد هذا العمر، انتقل –رحمه الله تعالى– إلى الدار الآخرة فتوفي –عليه رحمة الله– في يوم عيد الفطر سنة عشرين وستمائة (٦٢٠ هـ) بعد أن ترك هذا العلم العظيم الذي يعرفه المعتنون بالعلم وطلبه. هذا ما يتعلق بمُصَنِّف هذه الرسالة، أما هذه الرسالة وهو ما يتعلق بالمصَنَّف، فإن هذه الرسالة، أو هذا المصَنَّف متعلقٌ بأبواب العقيدة. وقد اعتنى بها العلماء –رحمهم الله تعالى– وخصوصًا في هذا العصر، شرحًا، وتعليقًا، وبيانًا، وأما في العصور المتقدمة مذ تصنيف المصنف –رحمه الله–، فقد كان عادتهم أنهم يقرأون هذه المتون، وهو ما يسمى بالسماع، فيسمعونها على الشيوخ، ويكتفون بذلك، وهذا حاصل في كثير من كتب العلم وأنواع العلوم. شرح هذا الكتاب، وهذا المصنف جملة من أهل العلم من المعاصرين، ومن أشهر الشروح المتداولة: شرح الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين –عليه رحمة الله–، وكذلك شرحها الشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان، وهذان الشرحان مطبوعان والحمد لله، ولها شروحٌ أخرى كثيرة. ما يتعلق بمقصد المصنِّف، وهو أيضًا مقصد سائر المصنفين ولعلكم تذكرون –وأحب أن تتذكروا– أننا ذكرنا في أول المجالس قول العلامة عبد الله بن عبد العزيز العنجري –رحمه الله– حين قال بأن مما يعين على فهم الكتب معرفة مقاصد المصنفين وهذه المقاصد –كما ذكرنا من قبل– إما أن ينص عليها ذلك العالم أو أن تُعلم من خلال السبر والاستقراء لكتابه، أو أن يأخذ هذا من عنوان الكتاب الذي نص عليه كما هي طريقة كثيرٍ من العلماء. هذا الباب –باب الاعتقاد– من الأبوب

التي تشترك فيها مقاصد المصنفين، فإن المصنفين في الكتب المختصرة في العقائد على طريقة أهل السنة والجماعة، لهم مقاصد، والكتب المصنفة في العقيدة -كما هو معلوم- كثيرةٌ جدا؛ منها المختصر ،ومنها المتوسط، ومنها المطول؛ منها المسند، ومنها غير المسند الذي يذكر الأسانيد كالتوحيد لابن خزيمة، والتوحيد لابن منده، والإمام ابن منده وما أشبهها وهو كثير؛ وإما أن تكون مجردة مختصرة، وهذه إما أن تكون منظومة، وإما أن تكون منثورة. ما هو مقصد المصنفين في باب الاعتقاد؟ نص شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- على هذا المقصد في شرحه على الأصفهانية،كتاب الأصفهانية هذا، كتابٌ أشعريٌ، لما دخل شيخ الإسلام مصر طلب منه أن يشرحه، فشرحه وبين ما فيه من مخالفات لاعتقاد السلف، قال شيخ الإسلام -عليه رحمة الله - في هذا الكتاب العظيم -الذي هو شرح الأصفهانية- مبينًا مقاصد العلماء في التصنيف في الكتب المختصره في العقيدة -انتبه لهذا واضبطه، وسنعلق عليه بعد تمامه- قال -رحمه الله تعالى-: "ومن شأن المصنفين في العقائد المختصره، على مذهب أهل السنة والجماعة أن يذكروا ما تميز به أهل السنة والجماعة عن الكفار، والمبتدعين فيذكروا -هكذا عندي في النسحة التي طبعتها دار الرشد- فيذكروا إثبات الصفات، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق وأنه تعالى يُرى في الآخرة خلافًا للجهمية من المعتزلة وغيرهم، ويذكرون أن الله خالق أفعال العباد، وأنه مريد لجميع الكائنات، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، خلافًا للقدرية من المعتزلة وغيرهم. ويذكرون مسائل الأسماء والأحكام والوعد والوعيد، وأن المؤمن لا يكفر بمجرد الذنب ولا يخلد في النار، خلافًا للخوراج والمعتزلة، ويحققون القول في الإيمان، ويثبتون الوعيد لأهل الكبائر مجملًا خلافًا للمرجئة، ويذكرون إمامة الخلفاء الأربعة، وفضائلهم خلافًا للشيعة من الرافضة وغيرهم." انتهى كلام شيخ الإسلام من شرحه على الأصفهانية، وقد رأيت في ما ساقة وذكره، أنه ذكر جملةً من الفوائد العظيمة التي لخص بها، وأجمل طريقة المصنفين في المتون المختصرة في العقيدة. فإذًا المتون المختصرة فيها تقرير لعقيدة السلف الصالح في هذه الأبواب التي خالفهم فيها الفرق، مع

أنهم لا يتعرضون لعقائد هذه الفرق، لأن المراد هو تقرير عقيدة السلف، والطالب المبتدي ليس من مصلحته أن يعرف القول المخالف لقول أئمة السنة. ولهذا إذا ضبط طالب العلم الكتاب المختصر –في العقيدة على الخصوص–، وكذلك في سائر العلوم، فإنه يستطيع أن يميز ما خالف هذا المعتقد، وأن يكون عنده فرقان يفرق به، بين اعتقاد السلف وما خالفة، بخلاف الكتب المطولة التي هي مبنية على النقد والرد والتي قد يتوسع فيها العلماء في ذكر بعض الأقوال التي يقررون فيها عقيدة أهل السنة والجماعة، فينبغي أن يُتنبه لهذا أن يضبط طالب العلم عقيدة السلف بكتاب مختصر بعيدا عن الأقوال المخالفة لأهل السنة والجماعة لهذا الباب، فإن هذا مما يعينه ويساعده على فهم كلام الله وكلام رسوله –عليه الصلاة و السلام–، و كذلك على كلام الأئمة. ولذلك عكف العلماء من المتأخرين على كتب الأئمة الذين جاؤوا قبلهم، وهي بمثابة المدخل إلى معرفة كلام أئمة السلف؛ فإذا هجم طالب العلم على بعض الكتب المتقدمة، ككتبأئمة السلف التي ردوا بها على صناديد المبتدعة، فإنه سيفوته شيء كثير من الفهم، وعدم التمييز بسبب أنه لم يضبط العقيدة التي كان عليها سلف هذه الأمة.

هذا الكتاب تسميته بـ"**لمعة الاعتقاد** " وأيضًا يسمى في بعض النسخ ب "**لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد** ". فعلى كل حال هذه أشياء، ومنهم من يسميه ب "**الاعتقاد**". والمطلوب، والمقصود أن ترجع إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– الذي ذكرته لكم آنفًا، لأنه مما يسميه العصريون بالمنهجية في التصنيف، ما هو منهج أئمة السلف في تصنيفهم لكتب العقيدة؟ ما الذي يقصدونه في تأليفها؟ لأنه لما وقعت الفرقة، وظهرت الفرق واختلط الحابل بالنابل، وتكلمت المبتدعة في أمور الدين الظاهرة والباطنة، وتكلموا في مسائل العقيدة المتعلقة بالرب – جل جلاله– و المتعلقة بأنبيائه ورسله، والمتعلقة بكلامه، وأسمائه وصفاته، والمتعلقة بأنبيائه ورسله، والمتعلقة باليوم الآخر، والمتعلقة بالقدر؛ احتاج الأئمة إلى أن يصنفوا العقائد المختصرة التي يذكرون فيها ما يتميز به أهل السنة عن غيرهم. فأنت إذا نظرت مثلًا إلى "أصول السنة"

للحميدي، "أصول السنة" لأبي بكر الإسماعيلي، "أصول السنة" للمزني، "أصول السنة" للإمام أحمد بن حنبل، وقد أودع الإمام اللالكائي –رحمه الله تعالى– جملة من هذه العقائد في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لما رواه بأسانيده إلى الأئمة شيئا كثيرا وبعضها مطبوع مفردًا. رأيت أنهم يعتتون بتقرير عقيدة السلف فيذكرون ما يعتقدونه ويدينون الله –تبارك وتعالى– بهذه الأبواب على مقتضى ما ذكره شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى–؛ فإن شيخ الإسلام من أهل الاستقراء

التام لهذا الباب، فلخص لنا الطريقة المتبعة في التصنيف في العقيدة، حتى نفهم أن مرادهم في لمتون المختصرة هي تقرير عقيدة السلف؛ أي هي تقرير عقيدة السلف وضبط عقيدة السلف بتمييزها عن غيرها من العقائد، كما ذكرنا ذلك في كلام شيخ الإسلام –رحمه الله–.

هذا الكتاب **لمعة الاعتقاد**، انتقد فيه الحافظ ابن قدامة المقدسي –رحمه الله تعالى– في مواضع منه، سنذكرها –إن شاء الله تعالى– في مواضعها المناسبة لها فمن ذلك

- قوله: "**وَمَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ وَجَبَ إِثْبَاتُهُ لَفْظًا، وَتَرْكُ اَلتَّعَرُّضِ لِمَعْنَاهُ** "
- و قوله أيضًا و هذا هو الانتقاد الثاني: " **نُؤْمِنُ بِهَا، وَنُصَدِّقُ بِهَا، لَا كَيْفَ، وَلَا مَعْنَى** ".
- و الموضع الثالث الذي انتقد عليه –عليه رحمة الله– قوله: " **فَدَلَّ عَلَى أَنَّ لِلْعَبْدِ فِعْلاً وَكَسْبًا، يُجْزَى عَلَى حُسْنِهِ بِالثَّوَابِ**" إلى آخر كلامه.
- وأيضًا انتقد عليه –رحمه الله– و هذا مجمل ما رأيته في الشروح، انتقد عليه أنه قال " **مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ** " قال " **وَمِنْ صِفَاتِ اَللَّهِ تَعَالَى، أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ** " فهذا أيضًا موضعٌ رابع مما انتقد عليه و تعقب فيه.
- و الموضع الخامس هو قوله: " **وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ اَلْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ عَنْ اَلْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ** " إذا أتينا على هذه المواضع –إن شاء الله تعالى– بينا ما ذكر في هذا المعنى،

وهل هذا الذي ذُكر له وجه أو اتجاه من الصواب، أم أنه لا يحتمل النقد والنقض والتخطئة. هذا ما يتعلق بالمُصَنف، أو هو أهم ما يتعلق بالمُصَنف.

و لعلنا نشرع في مقدمة صاحب المتن بعد الكلام على عنوان الكتاب: "**اللمعة**" هي البلغة من الشيء، لها معاني كثيرة ومنها: البلغة من الشيء، فإنه لم يرد أن يذكر جميع أصول اعتقاد السلف، وعلى هذا فالمعنى هو في قوله "**لمعة الاعتقاد**": البلغة من الاعتقاد المطابق لمذهب السلف –رضوان الله عليهم–، كما في شرح العلامة ابن عثيمين –عليه رحمة الله–. "**والاعتقاد**": حكم ذهنيٌ جازم، فإن طابق الواقع فصحيح، وإلا ففاسد؛ لأنك تقول –في الفاسد– هذا اعتقاد الجهمية، هذا اعتقاد المعتزلة، هذا اعتقاد الأشاعرة، وفي الصحيح تقول: هذا اعتقاد أهل السنة، هذا اعتقاد أئمة السلف. ولفظ العقيدة والاعتقاد لم يكن معروفا بكثرة في طبقة الأئمة المتقدمين، إلا أنهم قد استخدموه أيضًا كما قال ابن أبي داوود –رحمه الله–: "إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه" و كذلك تسمية الصابوني لكتابه "عقيدة السلف أصحاب الحديث"، وهذا أيضًا فيه نوع من الكثرة بالاستعمال عند المتأخرين كالعقيدة الواسطية، والعقيدة الحموية، والعقيدة الطحاوية، فصار هذا اللفظ مستعملًا بكثرة عند المتأخرين، ويعنون به ما يتعلق بالأبواب التي ذكرها شيخ الإسلام فيما ذكرته لك من كلامه في شرح الإصفهانية؛ يعني أنهم يطلقون الاعتقاد على هذه الأبواب.

ابتدئ المصنف –رحمه الله تعالى– كتابه بقوله **بسم الله الرحمن الرحيم؛** قد تكلمنا عليها فما تقدم من الدروس وأن البسملة –كما يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب–: استعانة و بركة "**فالباء**" للاستعانة "**واسم**" هذا مفرد أضيف إلى الله

فالباء للاستعانة، و**(اسم)** هذا مفرد أضيف إلى الله، فإن المسمِّي مسمٍّ بكل اسم لله، و**(الله)** اسم الله الأحسن، الذي إليه مرجع جميع الأسماء والصفات.

و(**الرحمان**) اسم من أسمائه، و(**الرحيم**) اسم من أسمائه، وفيهما صفة الرحمة لله –تبارك وتعالى–.

وهذه الجملة، جملة الجار والمجرور، لها متعلَّق، والمتعلَّق محذوف، قدَّره البصريون اسمًا، وقدره الكوفيون فعلًا، وبكلٍّ ورد القرآن، وظاهر اختيار شيخ الإسلام أنه يرجح أن المتعلق من الأسماء؛ لأنها أثبت، والشيخ ابن عثيمين –عليه رحمة الله– وغيره من أهل العلم يرجحون أن المتعلَّق فعلٌ؛ لأن الأصل في العمل الأفعال، وعلى هذا القول فإن الفعل يكون متأخرًا، ويكون مختصًا، ويكون مناسبًا، كما هو معلومٌ، فالمسَمِي عند القراءة مراده (بسم الله أقرأ)، كذلك في الكتابة (بسم الله أكتب)، (بسم الله آكل).

قال –رحمه الله تعالى–: **اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلْمَحْمُودِ بِكُلِّ لِسَانٍ، اَلْمَعْبُودِ فِي كُلِّ زَمَانٍ، اَلَّذِي لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ، وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ، جَلَّ عَنْ اَلْأَشْبَاهِ وَالْأَنْدَادِ، وَتَنَزَّهَ عَنْ اَلصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ، وَنَفَذَ حُكْمُهُ فِي جَمِيعِ اَلْعِبَادِ، لَا تُمَثِّلُهُ اَلْعُقُولُ بِالتَّفْكِيرِ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ اَلْقُلُوبُ بِالتَّصْوِيرِ.**

هذا يُسمى عند البلاغيين ببراعة الاستهلال، وبراعة الاستهلال؛ أن يبدأ المصنف كتابه أو نظمه بما يدل على مقصوده من أول الكتاب إلى آخره. ولما كان الكتاب في الاعتقاد، ذكر ما يتعلق بالعقيدة، وتنزيه الرب –تبارك وتعالى– عن صفات النقص، وأنه –جل وعلا– هو المعبود.

و(اَلْحَمْدُ): كما ذكرنا في دروس ماضية، أن أكثر العلماء يفسرونه بقولهم: هو الثناء على الجميل الاختياري.

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– وتلميذه ابن القيم فإنهما يعرفان الحمد بأنه: ذكر صفات المحمود مع محبته وتعظيمه.

وأفاد الحافظ ابن القيم –رحمه الله– في كتابه "الوابل الصيب" فائدة متعلقة بهذا المعنى راجعة إلى حديث أبي هريرة الذي خرَّجه مسلم عن نبينا –عليه الصلاة والسلام– فيما يرويه عن ربه:

((قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حَمِدَنِي عَبْدِي وَإِذَا قَالَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي وَإِذَا قَالَ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ قَالَ مَجَّدَنِي عَبْدِي)) إذًا، فأول الحمد ذكرٌ لله، وذكر لصفاته مع المحبة والتعظيم؛ لأنه إذا خلا عن المحبة والتعظيم كان مدحًا، فإذا ثُنِّي؛ لأنه مأخوذ من الثَّني كان ذلك ثناءً، فإذا زيد في الثناء كان ذلك تمجِّيدا. هذا مفاد ما ذكره الحافظ ابن القيم –عليه رحمة الله–.

يقول: (**الْمَحْمُودِ بِكُلِّ لِسَانٍ**) يعني بكل لسان حالٍ، وبكل لسان مقال؛ فإن الرب –تبارك وتعالى– قال في كتابه الكريم: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء:٤٤]، وكما قال: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور:٤١].

قال: (**الْمَعْبُودِ فِي كُلِّ زَمَانٍ**) يعني المعبود –جل جلاله– في كل زمان؛ لأن العبادة تنقسم إلى قسمين:

- عبادة كونية قَدَرية، لا يخرج عنها أحد أبدا، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣] وهذه عبودية اضطرارية.
- وعبودية اختيارية، وهي عبودية أهل التوحيد، عبودية قدرية شرعية، وهي عبودية المؤمنين لربهم الذي لا يخلو من علمه مكان، كما سيذكر المصنف –رحمه الله تعالى– في ما يتعلق بصفة العلم، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [المجادلة:٧]؛ لأن (ما) هنا في الموضعين اسم موصول، والأسماء الموصولة تفيد العموم، فلا يخرج عن علم الله شيء.

قال: (**وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ**) لأنه –تبارك وتعالى– هو الذي يقلب أمور العباد، كما قال –جل جلاله–: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمان: ٢٩]، يعني يغني فقيرًا، ويفقر غنيًا، يعز ذليلًا، ويذل عزيزًا، إلى آخره.

قال: **(جَلَّ عَنْ اَلْأَشْبَاهِ):** يعني الشبيه، هذا جمع شبيه؛ والشبيه أعم من المثيل، والمثيل أخص، فكل مُشبهٍ مُمثل، والمشَبِّه لا يشترط أن يكون ممثلًا أو مماثلًا من جميع الوجوه، كما هو معلوم مدروس في كتب البلاغة، فالرب –تبارك وتعالى– منزه عن الأشباه.

قال: **(وَالْأَنْدَادِ):** والأنداد جمع نِد، وهو أيضًا يطلق على النظير والشبيه، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّـهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، "ولست له بند" أي بمشابه ونظير.

(وَتَنَزَّهَ عَنْ اَلصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ): والصاحبة هي الزوجة، والأولاد معروفون؛ لأن الولد جزء من الوالد، وبَعض منه، وآخذ بصفاته؛ ولأن الوالد يحتاج إلى الولد، والرب –تبارك وتعالى– منزه عن ذلك كله، خلافًا لقول اليهود لما قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّـهِ﴾ [التوبة: ٣٠] والنصارى لما قالوا: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّـهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

قال: (وَنَفَذَ حُكْمُهُ فِي جَمِيعِ اَلْعِبَادِ)، المراد بحكمه هنا؛ قدَرُه –تبارك وتعالى–، فالقدر جارٍ على جميع العباد، ولا يخرج عنه أحدٌ أبدًا.

قال: **(لَا تُمَثِّلُهُ اَلْعُقُولُ بِالتَّفْكِيرِ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ اَلْقُلُوبُ بِالتَّصْوِيرِ.).**

(لَا تَتَوَهَّمُهُ) من الوَهَم أو الوهْم، الذي هو جريان الفكر في الشيء، وكذلك التصوير الذي هو الوصول إلى الحقيقة؛ فالمصنف –رحمه الله تعالى– قطع القلوب هنا عن التصوير، فضلا عن التعبير أو الحكم؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فإذا كان العباد علاقتهم مقطوعة بأن يتصوروا الرب –جل وعلا–، فكيف يحكمون عليه، ويحكمون على أسمائه وصفاته، فإذا كان التصوير مُحالًا فإن الحكم أشد إحالة، فالتصوير منقطع عنهم، فكيف يصلون إلى الحكم أو التعبير، ولهذا قال السلف –رحمهم الله–: "كلُّ ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك"، وكما قال بعضهم: "لا يعلم ماهو إلا هو –جل جلاله–".

وهذا مما يدلك على أن قلوب العباد وعقول العباد قاصرة عن الوصول إلى إدراك كنه صفاته:

لا تبلغ الأوهام كنه ذاته ولا يُكيِّف الحِجا صفاته

ثم ذكر المصنف –رحمه الله تعالى– الدليل على ذلك كله، يعني على المتقدم كله، وهو قوله – تعالى–: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١]، وهذه الآية سيكررها في هذه الرسالة في مواضع عدة، تزيد على ثلاثة مواضع، وسنتكلم عليها –إن شاء الله تعالى– في أماكنها.

انتهـــــى الدرس الأول

ثمّ قال – رحمه الله تعالى – بعد أن ساق قوله جلّ وعلا: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى:١١] ، وقلنا بأنه سيأتي الكلام على هذه الآية لأنه سيكرّرها ، قال بعد ذلك:

(**له الأسماء الحسنى، والصفات العلى** (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۞ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ۞ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) **[طه:٥–٧]** **أحاط بكل شيء علمًا، وقهر كل مخلوق عزة وحكمًا، ووسع كل شيء رحمة وعلمًا** (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) **[طه:١١٠] موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلى لسان نبيه الكريم – صلى الله عليه وسلم –**

هذا الموضع تضمن جملاً من القواعد التي ينطلق فيها السلف في باب الأسماء والصفات ، فقال عليه رحمة الله: **له الأسماء الحسنى** ، وقد دلّ على هذا المقام الذي قرّره المصنِّف – رحمه الله – قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) وقوله جلّ وعلا: (فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ)

وقوله تبارك وتعالى: (لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ) ، وما خرّجه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النّبيّ – صلى الله عليه وسلم – قال: [إنّ لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنّة] ، وهذا أمر لا إشكال فيه أي في إثبات أسماء الله تعالى لكن الإشكال في إثبات صفات الرّب تبارك وتعالى عند الطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة فالجهمية أنكرت الأسماء والصفات كما هو معلوم ، المعتزلة أثبتوا أسماء محضة هي أعلام محضة لا وصف فيها ، وأهل السنة أثبتوا الأسماء وأثبتوا الصفات ، والمصنّف هنا ذكر الأسماء الحسنى وفى كل اسم صفة وذكر الصفات العلى ، وما الدّليل على أن الله تبارك وتعالى له صفات ؟ الدليل ما رواه البخاري في صحيحه في قصة الرجل الذي كان يقرأ (قل هو الله أحد) ولمّا سأله النبيّ – صلى الله عليه وسلم – قال [إنها صفة الرحمن وإني أحبها] ، فقوله [إنها صفة الرحمن] صفة هنا مفرد أُضيف إلى الرحمن ، مفرد مضاف ، والمفرد إذا أُضيف يدلّ على العموم ، وهذه السورة تضمّنت صفات الربّ جلّ وعلا (قل هو الله أحد ۞ الله الصّمد ۞ لم يلد ولم يولد ۞ ولم يكن له كفوا أحد) فهذا هو الدّليل الدّالّ على أن الله جلّ وعلا متصف بصفات الكمال والجمال والجلال وله الصفات العلى كما قرّر المصنّف – رحمه الله – ها هنا .

ثمّ ذكر الدّليل على بعض الصفات التي يُحتذى حذوُها فقال:

(الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۞ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ۞ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) **[طه:٥–٧]** ، وسيذكر المصنف – رحمه الله تعالى

– مسألة العلوّ ويأتي الكلام عليها ، لكنه ذكر جملة مما وصف الله به نفسه قال: **أحاط بكل شيء علمًا** كما قال جل وعلا: (وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) وكما قال جل وعلا: (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا) قال بعد ذلك:

وقهر كل مخلوق عزة وحكمًا فإن الله جل وعلا قال: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) وقال جلّ وعلا: (وهو العزيز الحكيم) **ووسع كل شيءٍ رحمةً وعلماً** ، وهذا كما في قوله تبارك وتعالى عن ملائكته: (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) ، وهذا كله يُسمّى بالتضمين والإقتباس وأقتبس المصنف رحمه الله تعالى جملة من النصوص وأوردها في هذا المعنى ، قال رحمه الله قوله تعالى: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) فهذا دليل على ما ذكره آنفا ، فالله جلّ وعلا هو الذي أحاط بكل شيءٍ علماً وأحصى كل شيءٍ عدداً.

ثمّ ذكر المصنّف رحمه الله تعالى مؤكّداً هذا الباب فقال:

موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلى لسان نبيه الكريم فالربّ جل جلاله له الصفات العلى ، له صفات الجمال والكمال فهو موصوف بأي شيء؟ لا بالعقول ولا بالكشف ولا بالذوق ولا بالمألوف لا بل موصوف بما: أي بالذي وصف به نفسه في كتابه العظيم كما وصف الله جل وعلا كتابه بأنه العظيم فقال: (لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) وعلى لسان نبيّه الكريم كما سيقرر ذلك المصنف في ما يُستقبل وأن السنة في هذا الباب منزّلة منزلة القرآن.

قال رحمه الله بعد ذلك:

وكل ما جاء في القرآن ، بلا استثناء لأن "**كل**" هذه من ألفاظ العموم ، قال رحمه الله: **وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى –عليه الصلاة والسلام– من صفات الرحمن، وجب الإيمان به ، وتلقيه بالتسليم والقبول ، وترك التعرض له بالرد والتأويل ، والتشبيه والتمثيل ، وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظًا، وترك التعرض لمعناه ، ونرد علمه إلى قائله ، ونجعل عهدته على ناقله ، اتِّباعًا لطريق الراسخين في العلم ، الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله –سبحانه وتعالى–:** (والرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا) إلى آخر كلامه . هنا يقول: **وكل ما جاء** ، أي بدون إستثناء ، **في القرآن** من آيات ونصوص الصفات والأسماء **أو صحّ عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن** وهنا قال: **أو صحّ** ولم يقل: أو تواتر لأن التواتر لم يكن مُلتفتاً إليه عند أئمّة السلف بل الأصل عندهم والعمدة والعهدة على صحة النقل ، على صحة الحديث وأما إشتراط أن يكون الحديث متواتراً هذا ما قاله إلا أهل البدع من الجهمية والقدرية والمعتزلة كما نصّ عليه الإمام أبو المظفر السمعاني في كتاب قواطع الأدلّة فإنهم هم الذين يقولون بأن العلم إنما يؤخذ من جهة التواتر وأما أحاديث الآحاد فإنها لا تفيد العلم وإذا نظرت في كتب ائمّة السلف فإنهم ينصّون على الصحّة ولا ينصّون على التواتر.

قال: **أو صحّ عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن،** وكل ما صحّ عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – دون إشتراط للتواتر فإن أهل السنّة يؤمنون به ويدينون به ويعتقدون ما تضمّنه ،

قال: **وتلقّيه بالتسليم والقبول** ، فلا يردّونه لا يردّونه ولا يستشكلونه على الإطلاق بل يسلّمون لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – **(فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم)** ولا يعترضون عليه بل يقبلونه ويسلّمون به لأنه قال هنا: وتلقيه بالتسليم والقبول – فما آمنٌ في دينه كمُخاطِر– وهؤلاء الذين ركنوا إلى عقولهم أو كشفهم أو ذوقهم تركوا التسليم للكتاب وللسنّة وقدّموا العقل على النقل كل هذا محض الباطل. وقال: **وترك التعرض له** أي أن أهل السنة والجماعة لا يعترضون لشبهات عقلية وهي التي يسميها المتكلمون باليقينيات بل يقبلونها ويسلّمون بها ، وترك التعرض له بالردّ الذي هو الجحود **والتأويل** الذي جعلوه هو التنزيه وحقيقته التحريف لأن التأويل كما ذُكر لك في مسائل الدرس الماضي لم يكن معروفاً عند السلف وليس له معنى في كلام العرب إلاّ أنه رجوع الشيء إلى حقيقته أو تفسيره وأمّا تسمية التحريف بالتأويل فإن هذا إصطلاح حادث جرى عليه كثير من الأصوليين وهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى غير مراد ، قال: **والتشبيه** ، الذي هو جعل شبيهٍ للموصوف فإما أن يشبه اللهَ بخلقه أو يشبّهَ خلقَه به وكل هذا باطل وكما قال نعيم بن حمّاد الخزاعي عليه رحمة الله: **(من شبّه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر)** ، قال: **والتمثيل** ، وهنا فرّق المصنف بين التشبيه والتمثيل لأن التشبيه أعم فإن التشبيه لا يلزم أن يتكافأ فيه المشبَّه والمشبَّه به و أمّا التّمثيل فإنّ هذا هو الغالب فيه ، ويندر استعماله في غير هذا المعنى كما هو معلوم في كلام العرب وإستعمالاتهم فهم يشبّهون الله تبارك وتعالى ويمثّلونه وأهل السنّة والجماعة طريقتهم

بين هاتين الطريقتين فلم يخوضوا في التّأويل الّذي ألبسوه ثوب التّنزيه ولم يجعلوا إثباتهم للصّفات مشابهاً لصفات المخلوقات بل أثبتوا الصّفات لله تعالى ونزّهوه عن التّشبيه والتّمثيل قال رحمه الله وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً وترك التعرّض لمعناه وهذا هو الموضع الأوّل الّذي تُعقّب فيه المصنّف رحمه الله وما أشرت لك في الليلة الماضية وسبب إستشكاله أنّ طائفة من أهل العلم أرجعوا هذا القول إلى قول المفوّضة فقالوا إنّ أهل السنّة والجماعة يؤمنون باللّفظ ويؤمنون بالمعنى وأمّا عدم التعرّض للمعنى أو عدم العلم بالمعنى فإنّه قول المفوّضة قول أهل التّفويض الّذين يعبّر عنهم بأهل التّجهيل وهم الّذين يجهّلون الأنبياء والرّسل فيما نقلوه إلى النّاس أنّهم نقلوا أشياء لا معنى لها فهل أبو محمّد بن قدامة يقول بمذهب التّفويض ؟ لاحظ انّه قال وما أشكل من ذلك أي أنّما ظنّ أنّه مشكل بالنّسبة إلى نظر العبد ، إلى نظر المكلّف لا أنّ كلّ نصوص الصّفات فيها إشكال وإنّما قد يقع نوع شبهة أو نوع إشكال وهذا الإشكال راجع إلى المجتهد نفسه أو إلى سامع ذلك النصّ لا إلى النصّ نفسه ولا إلى جميع أفراد الأمّة فهو يقول أنّ ما أشكل من ذلك أي ما وقع فيه الإشكال وجب إثباته لفظاً هكذا يقول رحمه الله تعالى فهذا أوهم أنّه رحمه الله يقول بقول المفوّضة لكن لو قيل بهذا فإنّ أبن قدامة رحمه الله لم يرد أن يعمّمه في جميع نصوص الصّفات بل كلامه في هذا الكتاب وفي غيره من الصّفات الذّاتية والفعليّة التعامل معها ظاهر في أنّه يقول فيها بقول أئمّة السّلف والتعرّض للمعنى بمعنى أنّه يكون المعنى ظاهراً فيعترض لهذا المعنى بمعنى أخر وهو التّفسير أو التّأويل للمعنى فنفى بأنّك إذا أشكل عليك شيء من نصوص الصّفات أن تتعرّض له ببيان وتفسير وخروج عن ظاهره إلى ظاهر أخر لا شكّ أنّ

طائفة من أهل العلم فهموا من كلام أبي محمد بن قدامة رحمه الله أنّه يقول بمذهب التّفويض في هذا المقام وهذا لا شكّ أنّه مشكل مع ما ذكره من آيات ونصوص الصّفات وآثار السّلف في إثباتها ومن تأمّل هذا المعنى خلص إلى هذه النّتيجة وهو أنّه إنّما أحال إلى عدم تفسير المعاني عند وجود الإشكال ومعنى هذا أنّ أكثر النّصوص بل إنّ جميع النّصوص لا يعرض فيها إشكال بالنّسبة لأئمّة السّلف وأتباعهم ولكن لو افترض هذا وأستقر في نفس المجتهد نوع إشكال فإنّه يراجع فيه نفسه ولا يقحم تفسيره وتحريفه الّذي يسمّيه بالتّأويل إليه ، على أنّ قوله رحمه الله: **ونردّ علمه إلى قائله** أشكل ممّا قبله لأنّ هذا مرمي على القول بأنّ الصّفات من المتشابه ، وهذا ليس بصحيح على إطلاقه فهي من المتشابه من جهة الكيفية والعلم بها ، أمّا من جهة المعنى فليست من قبيل المتشابه فالصّفات يكتنفها التّشابه من جهة الكيف أمّا من جهة المعنى فلا ، وعلى كلّ حال عبارة ابن قدامة موهمة عليه رحمة الله وإن قنع طالب العلم بما أهيب به عنها فالحمد لله وإلاّ فقد تكلّم فيها طوائف من أهل العلم .

قال رحمه الله: **ونجعل عهدته على ناقله اتّباعا لطريق الرّاسخين في العلم** ، يعني يقول أنّه لا نردّها بل نسلّم ولا نعترض عليها بل نسلّم أيضاً ونكل العهدة على ناقلها لأنّها قد صحّت عن النّاقل وجعل هذا الطريق طريق الرّاسخين في العلم قال إتباعاً لطريق الرّاسخين في العلم الّذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) [ال عمران:٧] ، وقال في ذمّ مبتغي التّأويل لمتشابه تنزيله

(فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) ، ومعلوم أنّ هذه الآية قبل تلك إلّا أنّه أراد أن يبيّن طريق الراسخين في العلم فالله جلّ وعلا لمّا ذكر أنه أنزل الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات بأنّ الكتاب كله محكم وكله متشابه وفيه محكم وفيه متشابه فهو متشابه من جهة اللّفظ لا ينقل بعضه بعضاً و محكم من جهة اللّفظ و المعنى لا يردّ بعضه على بعض ولا يعقّب بعضه على بعض ومتشابه من جهة بعض الكيفيات كالصفات والغيبيات وما أشبه ذلك وكلامه على هذا لا شكّ أنّه يطول والّذي عليه جماهير أئمّة السلف من القرّاء والمفسّرين والمحدّثين هو الوقف على قوله تعالى" (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) ، والإبتداء بقوله (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا) ، فأهل العلم الراسخون فيه إذا أشكل عليهم شيء من أمر الدين فانهم يقولون (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا) أمّا مبتغي التّأويل والزّائغ فإنّه يضرب هذا بهذا ويعارض هذا بهذا ، قال رحمه الله:

فجعل ابتغاء التّأويل علامة على الزّيغ ، وقرنه بابتغاء الفتنة في الذمّ ، ثمّ حجبهم عمّا أمّلوه ، وقطع أطماعهم عمّا قصدوه بقوله سبحانه " وما يعلم تأويله إلاّ الله وهذا تعقيب من المصنّف رحمه الله على هذه الآيات لأنّ الربّ تبارك وتعالى جعل من ابتغى التّأويل علامة على زيغ قلبه وقرنه بإبتغاء الفتنة في الذمّ ولهذا كان السّلف رحمهم الله يشدّدون النكير على من دخل في القرآن بالجهل يضرب بعضه ببعض وكلام الله تبارك وتعالى كلّه حقّ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا

من خلفه ويجب أن يعلم أنّ القرآن ليس فيه ما هو موهم فيه الريبة أو ما لا يفهم معناه أو ما أشبه ذلك فإنّ كلام الله تبارك وتعالى ظاهر واضح و الطريق إلى معرفة ما جاء به الرّسول صلّى الله عليه وسلّم أن تعرف ألفاظه الصّحيحة وما فسّرها به الّذين تلقّوا عنه اللّفظ والمعنى ولغتهم الّتي كانوا يتخاطبون بها وما حدث من العبارات وتغيّر من الإصطلاحات فطالب العلم يعتني بهذا ، ويُرجع المعنى إلى من نقل اللفظ ، ولهذا حصلت مناظرة بين أحد الخلفاء وأحد الخوارج ، فكان يناظره في قوله تعالى: (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [المائدة: ٤٤] ، فقال له: الذي نقل هذا اللفظ بيّن معناه ، وهم الصحابة ، فلِمَ أخذت بنقلهم للفظ ولم تأخذ بقولهم ونقلهم للمعنى ؟ ولم يقل أحد من أهل الإسلام بأن الله تعالى يتكلم بما لا معنى له ، وإنما أوقع بعضهم النزاع والخلاف في هل يتكلم الله جل وعلا بما لا يُفهم معناه ؟ وهذا من الأقوال التي ينصر لها أهل البدع كما هو معلوم .

ثم قال ابن قدامة رحمه الله تعالى:

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه في قول النبي صلى الله عليه وسلّم {إن الله ينزل إلى سماء الدنيا}، و {إن الله يُرى في القيامة}، وما أشبه هذه الأحاديث نؤمن بها، ونصدق بها بلا كيف ولا معنى، ولا نرد شيئا منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلّم حق، ولا نرد على رسول الله صلى الله عليه وسلّم ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية" اهـ

هذا الكلام الذي نقله الحافظ بن قدامة رحمه الله تعالى عن الإمام أحمد رواه الخلّال في كتابه "السنّة" وذكر فيه جملةً من الصفات ، ولن أتكلم عنها لأن المصنّف رحمه الله تعالى سيذكرها ، إلا أن طائفة من أهل العلم أيضاً أستشكلوا هذا الموضع وجعلوا الإشكال راجعاً إلى ابن قدامة لأنه لم يبيّن مراد الإمام أحمد ، فقوله هنا "لا كيف ولا معنى" ما المراد به ؟ ما المراد بقوله: لا كيف ولا معنى ؟ وهو التفسير الذي يجنح إليه أهل البدع ، وأيضاً جاء في ألفاظ السلف أنهم قالوا "من غير تفسير" ، "بلا معنى" هو معنى قوله "من غير تفسير" ولهذا قال أبو العباس بن تيمية رحمه الله: "أراد به تفسير الجهمية المعطلة الذين أبتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات". فـ "لا كيف" هذا لا إشكال فيه، و"لا معنى" هو التفسير الذي جنح إليه أهل البدع ، وفي شرح الشيخ ابن عثيمين عليه رحمة الله بيان لهذه اللفظة ، وأما شيخنا العلّامة الفوزان حفظه الله فيقول: "المراد بهذه اللفظة أي المعنى الذي يفسّره به المبتدعة وهو التأويل ، ليس المراد نفي المعنى الحقيقي فإن معناها معروف كما يقول الإمام مالك: الإستواء معلوم ..." إلى آخر كلامه يحفظه الله ، فهذا المعنى ظاهر ، السلف رحمهم الله كانوا ينهون عن أن يدخل العبد في الكلام عن هذه الصفات ، وقوله هنا: "**ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية**" يعني لا حد تنتهي إليه صفاته ولا غاية تنتهي إليها صفاته وأسماؤه ، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن ، قال رحمه الله: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)** فأعاد هذه الآية كما سبق معنا أنه سيعيدها ، وهذه الآية هي أصل أصول السلف في باب الصفات وما شابهها وما ناظرها من الآيات كقوله تعالى: (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) ، (وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) ، (فَلَا تَجْعَلُوا

لِلَّهِ أَندَادًا) إلى آخره ، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) شيء هذا اسم ليس ، وخبرها كمثله ، وعلامة الجر هذه للكاف التي هي الحرف الزائد للصلة والتوكيد ، ليس شيءٌ مثلَه ، وهذا فيه رد على المشبهة والممثلة والمجسمة ، وهو السميع البصير، هذا فيه رد على المعطلة.

وقد قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان ، وكذلك الشيخ محمد بن إبراهيم في شرحه على الواسطية ، بأن الله ذكر السمع والبصر لوجود الاشتراك بين جميع المخلوقات فيه التي خلقها الله تبارك وتعالى ، ليبين أنه مع عدم وجود المشابهة بين المخلوقات في هذين الاسمين وفي هاتين الصفتين، فكيف يراد أن يساوى بين الخالق والمخلوق ؟ وتنبه لهذا فإنه مفيد ، قال بعد ذلك الحافظ بن قدامة عليه رحمة الله: "ونقول كما قال – أي الرب جل وعلى وتكميلاً لكلام أحمد –ونصفه بما وصف به نفسه لا نتعدى ذلك ولا يبلغه وصف الواصفين مهما وصفوه مهما اعتقدوا فيه من الوصف ، فإنهم لا يصلون إلى شيء من ذلك ، ونؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنّعت ولا نتعدى القرآن والحديث ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيت القرآن ، هذا كلام الإمام أحمد ومعانيه ظاهرة ، ولن نقف عند كل حرف وكلمة ، لكن لماذا ذكر أبن قدامة رحمه الله تعالى قول الإمام أحمد ثم عقّبه بقول الشافعي ثم عقّبه بجملة من الأحاديث ثم بقول عمر بن عبد العزيز ثم بقول أبي عمر الأوزاعي ؟ أراد رحمه الله أن يبين ما يسميه العصريون بمنهج الاستدلال في باب العقيدة ، وأن الكتاب والسنة والاجماع هذه الوجوه وهذه الأصول في الإستدلال دلت على إثبات

الأسماء والصفات ، أما الكتاب والسنة فالأمر ظاهر لكنه أراد أن يثبت أمراً آخر فوق ذلك وهو أن السلف رحمهم الله لم يكن بينهم إختلاف في مسائل الإعتقاد ، لم يكن بينهم إختلاف في أمور الدين التي هي أصول الدين والمعتقدات ، بل مجمعون على هذا ، ولهذا ختم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى الواسطية بذكر هذا الأصل ، ألا وهو إجماع السلف ، ولهذا، الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي المتوفى سنة ثمانين ومائتين نص على هذا ، نص على هذا الإجماع وبيّن طريقة أئمة السلف رحمهم الله تعالى الذين سبقوه ، طريقة المؤمنين كما في الرد على الجهمية ولهذا قال: "أن نرد المعقولات كلها إلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المعقول عند أصحابه المستفيض بين أظهرهم لأن الوحي كان ينزل بين أظهرهم فكانوا أعلم بتأويله منّا ومنكم وكانوا مؤتلفين في أصول الدين لم يفترقوا فيه ولم يظهر فيهم البدع والأهواء الحائدة عن الطريق، فالمعقول عندنا ما وافق هديهم والمجهول ما خالفهم ولا سبيل إلى معرفة هديهم وطريقتهم إلا هذه الآثار وقد انسلختم." هكذا يقول الإمام الدارمي عليه رحمة الله ومغفرته ، ولما صنّف الإمام اللالكائي الطبري كتابه "أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" ، وهو الإمام الحافظ أبو القاسم الطبري اللالكائي ، عنون كتابه بقوله: "شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم" هذا كلام اللالكائي ، وأيضاً لمّا صنّف الإمام الصابوني رحمه الله تعالى كتابه بذلك ، سماه "إعتقاد السلف" وهذا أيضاً كثير في كلام أئمة الإسلام فيقررون ، وشيخ الإسلام له كلام جليل أيضاً في هذا المعنى يقرر فيه إجماع السلف على أمور الإعتقاد فيقول: "وإن عنيت أن مذهب السلف وهو التوحيد والتنزيه الذي يعنيه

بعض الطوائف فهذا يعلم بطلانه كل من تأمل أقوال السلف الثابتة عنهم الموجودة في كتب آثارهم فليس في كلام أحد من السلف كلمة توافق ما تختص به هذه الطوائف ولا كلمة تنفي الصفات الخبرية ومن المعلوم أن مذهب السلف إن كان يُعرف بالنقل عنهم فليرجع في ذلك إلى الآثار المنقولة عنهم وإن كان إنما يعرف بالإستدلال المحض بأن يكون كل من رأى قولاً عنده هو الصواب قال: "هذا قول السلف لأن السلف لا يقولون إلا الصواب وهذا هو الصواب" فهذا هو الذي يجرئ المبتدعة على أن يزعم كل منهم: أنه على مذهب السلف فقائل هذا القول قد عاب نفسه بنفسه حيث أنتحل مذهب السلف بلا نقل عنهم بل بدعواه: أن قوله هو الحق ، وأما أهل الحديث: فإنما يذكرون مذهب السلف بالنقول المتواترة" اهـ

والمرجو منّا أن نتتبه لهذا الأمر لأنها نبتت نابتة عمياء صمّاء تقول بأن السلف قد أختلفوا في مسائل العقيدة وتفرّقوا في مسائل العقيدة ، وقد ردّ على هذا كذلك الحافظ أبن القيم ولو نقلت الكلام لطال المقام في كتابه "الصواعق المرسلة" ، فهم يريدون أن يقولوا بأن السلف أختلفوا في مسائل الإعتقاد ، فمن قال قولاً منهم أي هؤلاء المبتدعة الضلّال من العصريين فإنه سيكون له في قوله سلف ، وهذا هو محض الباطل الذي يريدون الوصول إليه ويا لله العجب أي فاقرة جاؤوا بها للإسلام ؟ فتنبّه يا أخي طالب العلم لهذا المعنى.

ثم ذكر رحمه الله:

قال الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم. عقَّب كلام الإمام أحمد بكلام الإمام الشافعي.الشافعي رحمه الله المتوفى سنة أربع ومائتين عليه رحمة لله ، وكلامه كما قال شيخ الإسلام : أما ما قال الشافعي فإنه حق يجب على كل مسلم إعتقاده ومن إعتقده ولم يأت بقول يناقضه فإنه سلك سبيل السلامة في الدنيا والآخرة.

وكلام الشافعي رحمه الله في هذا الباب أيضاً كثير جداً عليه رحمة الله ، لو جمع لصار في مجلد حافل في تقرير إعتقاد السلف ، فمن قال بهذا القول ولم يأت بتفسيرات الجهمية والأشاعرة والماتريدية فقد قال الهدى وقال الحق .

عقَّب أبن قدامة رحمه الله تعالى على هذا ، وبهذا المقام يُختم الدرس ، قال : وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف ، الذين اتبعوهم ، رضي الله عنهم كلهم متفقون ، هذا حكاية إجماع مع ما حكيت لك سابقاً ، كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله . فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ هذا أمر واضح ، والذين يريدون أنْ يخِرجوا السلف عن عقيدتهم وأنهم قد إختلفوا في أبواب الإعتقاد لاشك أنهم قد جاؤوا ظلماً وزوراً

انتهـــــى الدرس الثاني

قال بعد ما سبق بيانه: **وقد أمرنا بالإقتفاء لآثارهم ، والإهتداء بمنارهم، وحذرنا المحدثات وأخبرنا أنها من الضلالات ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: عليكم بسني وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة.**

المصنّف رحمه الله تعالى لا زال يسوق الآثار والأحاديث الدالة على وجوب إتباع السلف في هذا الباب وأنه باب لا يؤخذ إلا من جهة النصوص الشرعية، وذكر أهم ما في ذلك قال: **وقد أمرنا بالإقتداء بآثارهم** أي السلف وقد سبق معنا الأدلة الدالة على ذلك، **والإهتداء بمنارهم** وكل هذا أيضاً سبق بيانه وحُذّرنا، مع الأمر بالإتباع، حُذّرنا من الإبتداع، وهذا أمر مهم فلا يكفي أن يقول الإنسان أنا متبع حتى يكون بعيداً عن البدع فلا بد من الحذر منها والإسلام كله قائم على الإثبات وعلى النفي وذكر المصنف الحديث الذي سمعتم ولم يخرّجه وقد رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وأبن ماجه وهذا الحديث صححه جمع من الأئمة منهم الجوزجاني والترمذي والحاكم وأبن حبان وأبو نعيم والبزار وأبن عبد البر وأبن تيمية وأبن الملقن والشوكاني وغيرهم من أهل العلم من صححه ومنهم من حسّنه كما هو شأن المنذري والبغوي وقال الذهبي إسناده صالح .

وهذا الحديث من الأحاديث العظيمة الدالة على وجوب إتباع السلف وعدم الخروج عليهم فيما قرروه في باب الإعتقاد .

وقوله **عليكم** هذا فعل أمر أي إلزموا سنتي التي هي طريقتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بمزيد الإعتناء بها والإهتمام بها في الفهم وإلا فإن سنتهم لا تخالف سنته عليه الصلاة والسلام لهذا جاء عنه أنه قال عليه الصلاة والسلام: [إقتدوا بالذين بعدي أبي بكر وعمر] .

وهذا الحديث محتمل للتحسين فتأمل أن الله جل وعلا أمر بإتباع الصحابة عموماً ثم إن النبي عليه الصلاة والسلام أمر بالإقتداء والإهتداء بالخلفاء الراشدين المهديين .

ثم إن النبي عليه الصلاة والسلام أمر بخصوص أبي بكر وعمر فقال: [إقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر] .

وجاء في صحيح الإمام مسلم أنه عليه الصلاة والسلام قال: [وإن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا] .

وهذا أصل مهم فإن كل الطوائف وكل الفرق تزعم أنها متبعة للكتاب والسنة لكن الحد الفاصل الذي لا يقبل جدال هو فهم السلف وإتباع السلف وإتباع فهمهم الذي أمرنا به، وإلا فما فائدة الأمر بإتباع السلف إذا كان يكفي عن ذلك أن نتبع الكتاب والسنة كما يقوله قوم ممن يزرعون الأهواء والشبه في الطريق الموصلة إلى الفهم الصحيح للكتاب والسنة، ولهذا أتى مصنف هذا الأمر بقوله: **وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : إتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم .**

وهذا الأثر رواه جماعة من الإئمة وعلى رأسهم الدارمي وهو أثر صحيح وقوله هنا **إتبعوا** أي الكتاب والسنة وماكان عليه السلف **ولا تبتدعوا فقد كفيتم،** كفيتم أي مؤنة التشريع فإن الله تكفّل بالتشريع في هذا الدين فلا نحتاج أن نشرّع وأن نبتدع، وإنما نحتاج أن نتبع فقط ونقفوا الآثار ولهذا قال الشعبي رحمه الله : "إذا إستطعت أن تحك رأسك بأثر فافعل"، يعني لا تفعل شيء إلا بالآثار وابن مسعود رضي الله عنه صحابي سابق كبير توفي سنة أثنان وثلاثون ٣٢.

ثم قال المصنف مؤكداً لهذا المعنى بتواطئ الأئمة عليه ولضرورته والإهتمام به، قال: **وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كلاما معناها : قف حيث وقف القوم ، فإنهم عن علم وقفوا ، وببصر نافذ كفوا ، وهم علي كشفها كانوا أقوى ، وبالفضل لوكانوا فيها أحرى ، فلئن قلتم : حدث بعدهم ، فما أحدثه إلا من خالف هديهم ، ورغب عن سنتهم ، ولقد وصفوا منه ما يشفي ، وتكلموا منه ما يكفي ، فما فوقهم محسر ، وما دونهم مقصر ، لقد قصر عنهم قوم فجفوا ، وتجاوزهم آخرون فغلوا ، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم.**

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ورحمه المتوفى سنة مائة وواحد (١٠١) وهذا الأثر من أعظم الآثار وأقواها في إتباع آثار السلف وفيه فوائد عظيمة جليلة يقول لكل سالك: قف حيث وقف القوم لا تتجاوز، لهذا قال أحمد رضي الله عنه ورحمه في رواية الميموني : "لا تقل قولا ليس لك فيه إمام" فالمسلم طالب العلم يقف، وقد نصّ شيخ الإسلام أبن تيمية رحمه الله في مقدمة أصول التفسير على أن الأقوال الحادثة في التفسير بعد الصحابة والتابعين مبتدعة، فعمر بن عبد العزيز يقول "قف حيث وقف القوم".

وأما المخالفون لهم قالوا "خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله"، نعم وقف الأنبياء ولم يخوضوا بحور الضلالة وخاضها هؤلاء الضلال قال: **وإنهم على علم وقفوا .**

وفي هذا رد على أشهر كلمة قالها المتكلمون، وهي قولهم إن منهج السلف أسلم ومنهج الخلف أعلم وأحكم، هذا هو الضلال المبين ، السلف وقفوا، وقوفهم عن علم لا عن جهل وكذلك ببصر نافذ كفوا

وهذا الأثر أثر عظيم جليل القدر، على طالب العلم أن يعتني به، أن يتأمل فيه أن يسوقه فيما يتكلم به عن ضرورة إتباع السلف وأن المحدثات التي جاءت بعدهم مقسومة إلى قسمين لذلك قال: **فما فوقهم محسر وما دونهم مقصر .**

وفسر هذين اللفظين بقوله: **لقد قصر عنهم قوم فجفوا .**

وهؤلاء هم الذين قصروا في إتباع أئمة السلف وجفوهم ولم يلقوا لهم بالاً ولم يقدروهم قدرهم، وتجاوزهم آخرون فغلوا ، تجاوزوهم ولم يأخذوا بأقوالهم ولم يأخذوا بإعتقادهم فضلوا عن سواء السبيل عياذاً بالله. وقد قال عمر بن عبد العزيز :"قد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم سننا وخلفاءه الراشدون". فهذه الآثار دالة دلالة صريحة على وجوب إتباع السلف وعدم مجاوزتهم فتفهم هذا الأمر، فأي شيء أشكل عليك فأرجع فيه إلى كلامهم فإن فيه الشفاء وفيه الدواء وهو كاف لمن له دين وإيمان.

ثم قال المصنّف رحمه الله تعالى: **وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي أو الأذرمي لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: هل علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو لم يعلموها ؟ قال : لم يعلموها. قال : فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت ؟ قال الرجل:فإني أقول قد علموها. قال: أفوسعهم ألا يتكلموا به، ولايدعوا الناس إليه أم لم يسعهم ؟ قال:بلى وسعهم. قال :فشيء وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاءه لايسعك أنت ؟ فانقطع الرجل. فقال الخليفة وكان حاضراً : لا وسّع الله على ما لم يسعه ما وسعهم.**

كل هذه الآثار التي ذكرها المصنف راجعة إلى قول عمر بن عبد العزيز"قف حيث وقف القوم" وإلى قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه "اتبعوا ولا تبتدعوا" . فما تكلم به الصحابة، تكلمنا بكلامهم، وما سكتوا عنه سكتنا بسكوتهم ولم نتجاوزهم، ولن نكون أحرص ولا أفضل ولا أعلم ولا أكمل ولا أتقى ولا أخشع ولا أخشى ولا أخشع ولا أورع من سلف هذه الأمة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأيم الله إن محاكمة أهل البدع إلى هذا يذيبهم ولا تبقى لهم باقية، لكن أن ندخل فيما دخلوا فيه وأن نتكلم، أي الخلف، بما تكلموا به فإن هذا هو فتح لباب الضلالة.

وهذا الأثر قد تكلم عليه المحقق بما تحتاجون أن ترجعوا إليه والأمر في هذا سهل والفائدة العظيمة منه هي أننا ننظر إلى أمور الدين فما تكلم به السلف تكلمنا وما سكتوا سكتنا، لا تقل قولاً ليس لك فيه إمام .

الولع بالأراء وما شابه ذلك، هذا مما يحدث البدع والضلالات، وهذه المقدمة التي قدّم بها المصنّف رحمه الله تعالى في هذا الكتاب، قد ذكرنا في الدرس الماضي أنها مقدمة نافعة، والمراد منه، أكرره، أنه أراد أن يثبت إجماع السلف في هذه الأبواب وأن الواجب على من بعدهم أن يتبعوا ما قرروه وقالوه وإلا فإن إستحسان الإنسان لشيء لا يدل على صحته ولما فرغ رحمه الله تعالى من هذه المقدمة (...) وهو معرفة الرب تبارك وتعالى، والرب تبارك وتعالى تعرّف على عباده بأسمائه وصفاته وأفعاله جل جلاله، فالقرآن كله والسنة كلها في بيان حق الله جل وعلا وما أختص به، ومن ذلك ما أختص الله تبارك وتعالى به من الأسماء والصفات، وكل ما سيذكره المصنف راجع إلى ما تقدم الكلام عليه من جهة قول الرب تبارك وتعالى .

قال المصنّف رحمه الله تعالى وذلك قبل مناظرة الأدرمي أو الأذرمي: **وقال الإمام أبو عمر الأوزاعي رضي الله عنه :"عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول"**.

وهذا الأثر، وخرّجه الخطيب وغيره وهو أثر صحيح عنه، والأوزاعي، عبد الرحمن أبن عمر أبو عمر الأوزاعي إمام وفقيه أهل الشام، هذا الإمام المتوفى سنة سبع وخمسين ومائة (١٥٧)، وهذا الأثر أيضاً من الآثار العظيمة الدالة على لزوم السلف ولزوم آثارهم وهو يقول لك إلزم آثار من سلف وهم الصحابة والتابعون وأتباعهم ومن تبعهم على منهجهم إلى يوم الدين وإن رفضك الناس وقلوك واتهموك وطعنوا فيك وإياك، إجتنب آراء الرجال مهما كانت ومهما حسّنوها ومهما أستحسنوها فإنها باطلة وقد جاء التحذير عن الآراء والرأي وأهله في نصوص كثيرة.

قال: **وإن زخرفوه لك** بالقول ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الانعام:١١٢]، فأهل الباطل لهم ألسنة، لهم فهوم، لهم علوم ، أوتوا علوماً ولم يؤتوا فهوماً، وأوتوا ذكاءً ولم يؤتوا زكاءً، عندهم البلاغة والفصاحة والبيان فلو زخرفوا لك القول فلا تتبعهم بل إتبع آثار من سلف.

وقلنا بعد ذلك بأنه بعد أن ساق جملة من الآثار المباركة في هذا الباب إنتقل إلى أول مقاصده في هذا الكتاب وهو ما يتعلق بالرب تبارك وتعالى فإن الله جل وعلا تعرّف إلى عباده بأسمائه

وصفاته لأن الرب تبارك وتعالى من خصائصه، ما جعل أو ما بّينه من أسمائه وصفاته التي سمى بها نفسه ووصف بها نفسه وسماه بها رسوله ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم وتأمل إلى قول إبراهيم الخليل عليه السلام حين قال لأبيه ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ [مريم:٤٢] ، وتأمل في قول هارون لمّا ذهب موسى لميقات ربه أنه قال لهم بعد اتخاذ العجل ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ، وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه:٨٩-٩٠] ، فالرب جل وعلا سمى نفسه بالأسماء الحسنى كما مر معنا ووصف نفسه بالصفات العلا وفهم هذا من أسهل ما يكون إذا ضبطت القاعدة العامة في باب الأسماء والصفات وهي قوله تبارك وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] ، وقوله ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥] ، وقوله ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الاخلاص:٤] وقوله ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢] ، فالرب تبارك وتعالى هو الخالق والعبد هذا مخلوق والله جل وعلا لا يقاس بخلقه ولا يشبه بخلقه ولا يشبهه خلقه جل عن الشبيه والضديد والنديد سبحانه.

قال المصنف رحمه الله مبيّناً هذا الأمر: **فمما جاء من أيات الصفات قول الله عز وجل "ويبقى وجه ربك".**

وهذا شروع من المصنّف رحمه الله ببيان صفات الله تعالى، تقدم معنا الدليل الدال على إثبات الصفات، قال فمما ، و"من" المدغمة هذه "من" تبعيضية، ولم يرد رحمه الله تعالى أن يتقصى جميع آيات الصفات كما هي طريقة أهل العلم فإنهم لا يريدون التقصي والحصر وإنما يذكرون قواعد عامة ثم يذكرون أمثلة ونماذج يسار على طريقتها كما فعل ذلك الأئمة قبل أبن قدامة وبعده، والواسطية أيضاً خير برهان ومثال على ذلك "فمن ما" هذه من للتبعيض و"ما" هذه إسم موصول يعني "فمن الذي جاء" ولم يرد أن ما سيذكره في الكتاب هذا هو جميع صفات الله تعالى ، تعالى أن يحيط به قول جل جلاله ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة:٢٥٥] ، كذلك ليست جميع آيات الصفات سيذكرها هنا فما لم يذكره فإنه يرجع إلى هذا.

قال: **فمما جاء من آيات الصفات التي وصف الله بها نفسه،** قوله، قول الله عز وجل ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧] ، هذه الآية دلت وهي آية في كتاب الله تعالى والسنة موافقة لها في نصوص كثيرة، دلت على إثبات صفة الوجه لله تعالى﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ

وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] ، وهذه الصفة أثبتها الله تعالى في كتابه وإذا أثبتها فإننا نثبتها ولا يلزمنا أن نشبهها بصفات خلقه ولا أن نكيفها بكيفية معينة، ومما يدل على أن الوجه صفة للرب تعالى أن الله وصف هذا الوجه ونعته بالجلال والإكرام لأن الصفة تابعة للموصوف، ولو كان أراد الذات لقال ويبقى وجه ربك "**ذي**" الجلال والإكرام، فلما قال ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ ﴾ فإنه وصف وجهه بالجلال والإكرام تبارك وتعالى، وهذه الآية دلّت على هذه الصفة، ودلّ على هذه الصفة نصوص أخرى منها أيضاً قوله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]، وأما الأحاديث فإنها أيضاً كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصرحها ما رواه الشيخان في صحيحيهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [وما بين القوم وبين أن يروا ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن] وهذا الحديث متفق عليه، وهذا كثير أيضاً فيؤمن أهل السنة والجماعة بهذه الصفة.

ثم قال: "**وقوله سبحانه وتعالى** ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤] ، وهذه الآية ذكرها الرب جل وعلا في معرض الرد على اليهود الذين قالوا ﴿يدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤] ، وهنا قال ابن الزاغوني كما ذكر شيخ الإسلام عنه أنه قال "بأن الله أخبر بهذه الآية لان اليهود أثبتوا الصفة"، يعني أثبتوا صفة اليد لله تعالى وأثبتوا النقص فيها وأن أهل السنة أثبتوا هذه الصفة وأثبتوا الكمال فيها وهذه طريقة أهل الإيمان ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة:٦٤] ، وأما الجهمية فنفت الصفة ونفت النقص ونفت الكمال. والرب تبارك وتعالى أثبت لنفسه اليدين ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وهما وصف للرب جل وعلا ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ، وكذلك دلّت السنة على هذه الصفة في أحاديث كثيرة ونصوص كثيرة، قال ابن القيم "تجاوزت مائة دليل تدلّ على هذا الوصف للرب تبارك وتعالى"، وأهل السنة يُثبتون هذا كما دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة، والمراد هنا التقرير على هذه النصوص.

ثم ذكر المصنّف رحمه الله تعالى قال: "**وقوله تعالى إخباراً عن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾** .

وهذا فيه إثبات صفة النفس للرب جل جلاله وهي من الصفات التي أثبتها الرب تبارك وتعالى لنفسه وأثبتها أئمة السلف ومن بعدهم على ما أراد الله تبارك وتعالى، لم يدخلوا في ذلك متأولين بآرائهم ولا متوهمين بأهوائهم ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ ، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ولذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال: [لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك].

ثم ذكر المصنّف رحمه الله تعالى جملة من الصفات الفعلية لأن الصفات التي ذكرها سلفاً صفات ذاتية أخبر بها الرب تبارك وتعالى وأخبر بها رسوله عليه الصلاة والسلام، وهذه الصفات الذاتية الرب جل وعلا موصوف بها كما وصف بها نفسه لا تنفك عنه. ثم ذكر جملةً من الصفات الفعلية التي ترجع إلى مشيئة الرب فإنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وأهل السنة يثبتون هذا كله فقال رحمه الله تعالى: "**وقوله سبحانه: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾**، هاتان الصفتان للرب جل وعلا وهما صفة الإتيان وصفة المجيء دلّ عليهما كتاب الله تعالى وآمن بهما سلف هذه الأمة ونصوا عليهما، فإن الله تعالى قال عن نفسه ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢] ، لأن الرب تبارك وتعالى يفعل ما يشاء، ولهذا قال أبن المبارك رحمه الله: "إذا قال لك الجهمي: أنا أكفر برب ينزل إلى السماء فقل أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء" هذا أيضاً في جميع الصفات التي يفعلها الله تبارك وتعالى، ومجيء الله سبحانه يوم القيامة لفصل القضاء يؤمن به أهل السنة والجماعة ولا يتأولونه، وكذلك إتيانه تبارك وتعالى، إتيانه جل وعلا يثبته أهل السنة ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة:٢١٠]، كما قال جل وعلا: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الانعام:١٥٨]، وهذه من أوضح الدلائل، وأهل السنة لا يطلبون ما وراء ذلك، يؤمنون بهذا ويسلّمون لله تبارك وتعالى ولا يلزمهم التشبيه ولا يلزمهم التكييف كما أنه لم يلزم القرآن ولم يلزم السنة، فمن فهم هذا فقد آتاه الله تبارك وتعالى خيراً عظيماً.

ثم ذكر أيضاً صفة أخرى من الصفات التي تعرّف بها الرب إلى عباده وهي صفة الرضا، وقال رحمه الله: "**وقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾** .

وهذا الرضا من الصفات الفعلية التي تعرّف بها الرب تبارك وتعالى على عباده وأنه يرضى لا عن كلّهم ولكنه يرضى عمّن أتصف بموجب الرضا، وهذا أمر عظيم ولذلك رضي عن الصحابة عليهم رضوان الله، وأهل السنة يقولون أن الله يرضى، يرضى تبارك وتعالى، وليس رضاه أن يقال بأنه يريد أن يُثيبهم، بل هو يرضى تبارك وتعالى وهذا الرضا ثابت في الكتاب وفي السنة وبإجماع الأمة.

ثم ذكر صفة المحبة، وأهل السنة يؤمنون بذلك كله، فقال: "**وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾** .

وهنا أثبت الرب تبارك وتعالى أنه يُحِب ويُحَب، وقد ذكر شيخ الإسلام أبن تيمية رحمه الله أن السلف يثبتون هذا وهذا، يعني يثبتون أنه تبارك وتعالى يُحِب وأنه يُحَب وهذه من أعلى المنازل، والصحابة رضي الله عنهم لما كان النبي عليه الصلاة والسلام يحدّثهم بمثل هذه الصفات لم يكونوا يسألونه عليه الصلاة والسلام شيئاً سوى تلاوتها، لأن معانيها ظاهرة واضحة، ولهذا لما قال عليه الصلاة والسلام: [لأعطينَّ الراية غداً رجُلا يحبّ الله ورسوله ويُحبّه الله ورسوله يفتح الله على يديه]، بات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطاها، فلو كان مراده هو الثواب كما تقوله المعطلة فإنهم جميعاً رضي الله عنهم يثابون.

ثم قال المصنّف رحمه الله: "**وقوله تعالى عن الكفار: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾** .

وهذا فيه إثبات صفة الغضب لله جل وعلا، فكما أنه يرضى عن عباده المؤمنين فإنه يغضب على عباده الكافرين، فالرضا والغضب من صفات الله تبارك وتعالى وقد دل عليها الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة لم يدخلوا في ذلك بالآراء ولا بالأهواء، تفاسيرهم بين أيدينا، آثارهم بين أيدينا، ولهذا قال شيخ الإسلام بأنه قال : "طالعت مائة تفسير" كما في المجلد السادس من فتاوى أبن

قاسم رحمه الله، طالع مائة تفسير لم يجد فيها كلاماً للسلف في تأويل هذه الصفات، وكذلك لما نوظر على الواسطية بيّن رحمه الله أنه أمهلهم سنين عدداً ليأتوه بما يدلّ على ما يقولونه.

فأهل السنة يؤمنون بصفة الرضا كما يؤمنون بصفة الغضب لا يتأولون ذلك.

قال رحمه الله: "**وقوله تعالى في الكفار: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾**.

وكذلك دلّت السنة على صفة المحبة وعلى صفة الرضا وعلى صفة الغضب ودلّ الإجماع عليها.

ثم قال المصنّف – رحمه الله – **وقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾** .

وهذا فيه إثبات صفة السَّخَط أو السُّخْط كلاهما جائز، الله تبارك وتعالى وصف نفسه بأنه سخط على هؤلاء القوم كما قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾ فالله يسخط، والنّبيّ عليه الصلاة والسّلام كان يتعوّذ من سخط الله [اللهم إنّي أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك] كما عند مسلم عنه عليه الصلاة والسّلام من حديث عائشة، والسّلف مجمعون على هذا لم يتأوّلوه ولم يطلبوا زيادة على ما بيّنه الربّ تبارك وتعالى.

ثم قال المصنّف – رحمه الله – وقوله تعالى ﴿كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ هذه الآية ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾، هذا فيه إثبات صفة الكراهة، أهل السنّة يثبتون صفة الكراهة لله تعالى وأن الله جل وعلا كره إنبعاث المنافقين لعدم رغبتهم فيه ويكره الرّبّ تبارك وتعالى من الصفات والأفعال والأشخاص ما يشاء جلّ جلاله ومن ذلك ما أخبر به نبيُّه عليه الصّلاة والسّلام [إنّ الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال] رواه البخاري وغيره، فهذه النصوص دالة على هذه الصفات الفعلية والذاتية للربّ تبارك وتعالى فأيّ شيء بعد هذا ؟ ما الذي يُعجزك أيها المسلم أن تقرأ في كتاب الله تعالى هذه الآيات آيات الصفات وما ثبت عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم ؟ لا

تطلب ما وراء ذلك من معرفته في كيفيتها فإن الله جل وعلا قطع ذلك كلّه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ، ونهاك أن تقول ما لا تعلم.

ولمّا فرغ المصنّف من هذا السياق لبعض نصوص الصفات الواردة في الكتاب شرع رحمه الله تعالى لبيان نصوص السنة وذكر جملة من الأحاديث نتكلّم عنها إن شاء الله تعالى في الدّرس القادم وبهذا القدر كفاية إن شاء الله تعالى.

وقد وصلني من بعض الإخوان وفّقهم الله من الطّلاّب أنهم ربّما استصعبوا بعض الشيء الدرس أو أستصعبوا بعض الشيء في الدرس وأقول:

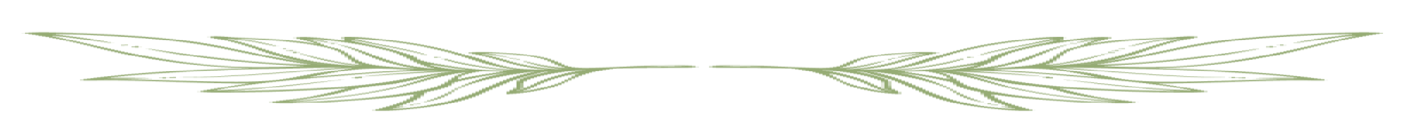
لا أظنّ أنّ ثمّة صعوبة ولكن الصعوبة تُؤتى من جهة أنفسنا من قِبَلِنا نحن، فإنّ كثيرين من طلبة العلم لا يريد أن يطلب العلم على مقتضى ما طلبه به من قبله من أهل العلم ويظن أنه بمجرّد سماع الشيء يفهمه، إن بعض الأمور تحتاج منك إلى مدارسة وممارسة ونظر وكشف ومتابعة وبحث، بعض الأمور لا أقول كل الأمور، فما أشكل عليك فاسأل عنه وناقش فيه وأنظر إلى كلام آخر يقرّره، أمّا أنّ طالب العلم يريد أنّه بمجرّد أن يسمع الشي يحفظه، وبمجرّد أن يسمع الشيء يفهمه، لو كان هذا هو الشأن لكان كل الناس طلبة علم، ولكانوا علماء، ولكانوا حفّاظاً، ولكانوا فقهاء، فإنّ الناس يسمعون العلم كم الذين يسمعون العلم والعلماء ؟ كم الذين يحضرون الخطب والدّروس والمجالس ؟ لا يحصيهم إلا الله، فهل هم على مصافٍ واحد ؟ هذا بعيد يا أخي الكريم، هذا بعيد، لكن إذا رأيت أنك حضرت درساً سواءً، وأنا قد قلت قبل ولا زلت أقول في هذا المعهد أو في غيره إن إرتياح النفس وكون الإنسان يجد وجدانه، لأن إختيار المدرّس، إختيار المعلّم، إختيار الدرس الذي يحتاجه الإنسان شيء صعب، شيء صعب، ولكن حيث رأيت مصلحتك فالزم، وينبغي لك أن تعتني بالكتاب الذي تدرسه وبالدرس الذي تحضره ولا تستصعب ولا تستطل وإذا استصعبت فقل كما قال الأوّل:

لأستسهلنّ الصعبَ أو أدرك المنى *** فما أنقالت الآمال إلا لصابر

فقد ذكر القرافي في كتابه – عسى الله أن يُذكّرنا بها في هذه الفائدة – في كتابه الفروع أنّه عرض رحمه الله تعالى إلى أنه قد يُشكل عليه شيء من العلم قال: وما أشكل عليّ منه فحظّي منه الإشكال، أنظر إلى العلم ولذته عند أهله، كيف ؟ يعني.. طالب العلم كونه لا يفهم بعض الأشياء هذا مما يدل على أنه فاهم أمّا كونه يفهم كلّ شيء، هذا أقول هلك، هذا معناه أنك لم تفهم شيئاً، إذا ظننت أنك فهمت كلّ شيء يُلقى عليك أنت يعني ينبغي أن تراجع، فأنا أقول لما عرفته وسمعته من الأشياخ إن ظن أنه قد فهم كل شيء فإنه ليس بفاهم، لابدّ أن يعرف هذا ولهذا سمعت شيخنا العلاّمة ابن غديّان عليه رحمة الله وقد ذكرت لكم هذا من قبل أظن أنه جاءه طالب علم رآه قال – كان الشيخ حتى يقلّب يديه – أظنه في التاسع عشر من عمره أو السابع عشر سنة وإذا به يقول أنا أشكلت عليّ تسع مسائل أو عشر مسائل أو ذكر عدداً نحوه، الشيخ رحمه الله قال: يا سبحان الله ما أشكلت عليك إلا هذه المسائل ؟ فأنا أهيب بإخواني بارك الله فيهم أن يصبروا على العلم، كثرة التنقّل بين الدروس وكثرة الذهاب والإياب من غرفة إلى غرفة، ومن موقع إلى موقع، ومن درس إلى درس، هذا يقطعك عن العلم، أنت لا تحكم على نفسك بأنك فهمت هذا العلم حتى تدرس فيه كتاباً، ذكرنا أظن في مقدّمة شرح الآجرومية أن كثيرين من طلبة العلم يقول لك – وقد جاءني بعض الإخوان – يقول لك أنا ما فهمت النحو، قلت له درست الآجرومية ؟ يقول لي لا والله حضرت لأوّل الكتاب "الكلام وأقسامه" و "باب الإعراب" قلت له: تريد أن تفهم النحو ؟ كيف هذا ؟ لا تحكم على نفسك حتى تختم الكتاب، إجلس للكتاب وأنته من الكتاب وأختمه وأدرسه وذاكر فيه وسترى أنك قد فهمت ولو على الأقل بمعدّل خمسين أو ستين بالمائة أو أقل أو أكثر، فعلى كلّ حال، مع ذلك نقول إنّ ما يطرحه الإخوان من المقترحات في دروس المعهد أو في غيرها من الدروس أنا أقولها عن نفسي ديانة أنني طوع الإخوة فيما يريدون من قضية تسهيل الدروس لا يهم أننا نختم الكتاب، وأيضاً بالنسبة لفتح المجال للأسئلة

والاستشكالات، وينبغي أن يُعلم أيضا أنّ هذا الدرس خصوصاً درس لمعة الاعتقاد – يعني – درس لتقرير عقيدة السلف وليس من صالح الطالب أن نقول له وقد فسّر الأشاعرة وفسّر الجهمية وفسّر المعتزلة هذه الصفة في كذا والردّ عليهم من عشرة وجوه ثم لا يضبط وجهاً، ينبغي ان يتصوّر أوّلا عقيدة السلف في هذا الباب ثمّ بعد ذلك يفتح الله تبارك وتعالى عليه ولا زال في العلم بقية ولازالت الكتب كثيرة.

انتهى الدرس الثالث



.... وقد انتهى بنا المقام إلى ما ذكره المصنف –رحمه الله تعالى– ما يطرح فيه (...)الأحاديث الدالة على صفات الله –تبارك وتعالى–وإنما ذكر المصنف –رحمه الله تعالى–السنة لأنها وحي من الله جل جلاله فإن الله –تبارك وتعالى–قال في نبيه عليه الصلاة والسلام : {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ}﴿النجم: ٣﴾ وقد قال النبي –عليه الصلاة والسلام–:" ألا إني أتيت القرآن ومثله معه "وقد روى الدارمي عن حسان بن عطية وهو إمام من أئمة التابعين –رحمة الله–أنه كان يقول :"كان جبريل ينزل على النبي –صلى الله عليه وسلم–كما ينزل عليه بالقرآن فعرفنا من هذا أن السنة وحي وأن الله –تبارك وتعالى–قد صدق المرسلين في ما أخبروا به عنه من أسمائه وصفاته "إذا كانت السنة وحي فإنه يجب قبولها والتسليم بما دلت عليه كما قال الله –تبارك و تعالى–:{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا } ﴿الحشر: ٧﴾ وهذا عام في جميع ماجاء به النبي –صلى الله عليه وسلم–.

قال المصنف –رحمه الله–: **ومن السنة قول النبي –صلى الله عليه وسلم–:" ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا** قول المصنف –رحمه الله تعالى– هنا: **من السنة** هذا عام في كل سنة

–صلى الله عليه وسلم– لا يقتصر على **القولية** بل دلت السنة بأنواعها المعروفة عند أئمة السنة وهي: **القولية والفعلية والتقريرية** على إثبات هذه الصفات،فمن القولية ما سيذكره المصنف –رحمه الله تعالى–من جملة من الأحاديث وهي ظاهرة وسيأتي التنبيه عليها،ومن الفعلية إشاراته –صلى الله عليه وسلم–في حجة الوداع إلى العلو مع قوله :" اللهم فاشهد"ونظائر هذا،ومن التقريرية ما ذكره المصنف –رحمه الله–وستأتي الإشارة إليه من سؤاله –عليه الصلاة والسلام– للجارية بقوله:"أين الله"إنها قالت في السماء (...) فإنه أقر عليها النبي –صلى الله عليه وسلم– وكذلك اقراره –صلى الله عليه وسلم–لليهودي الذي قال :*"أَنَّ اللَّهَ يَضَعُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ* "إلى آخر الحديث ،فالسنة كلها يجب قبولها والأخذ بها وهي دالة على ما دل عليه القرآن من إثبات صفات الله –تبارك وتعالى–والمصنف هنا قال:**ومن السنة** واكتفى بأن تكون هذه الأحاديث الواردة من سنة النبي –صلى الله عليه و سلم–ولذلك سيأتي أيضا في كلامه –رحمه الله تعالى–بعد فقرات يسيرة أنه قال:**وهذا هو ما أشبهه بما صح سنده وعجلت قواته نؤمن به ولا نرده** فالسلف لم يكونوا يشترطون التواتر من أجل إثبات الصفات أو من أجل إثبات أمور الغيب بل كانوا يقتصرون على اشتراط صحة الحديث عنه –عليه الصلاة والسلام–أما اشتراط التواتر فإنما هو نحلة اعتزالية لم يكن يعرفها السلف،فإذا تقرر هذا فإن المسلم يجب عليه التسليم بما صح من سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–والمعتزلة هم الذين جاؤوا باشتراط التواتر وجعلوا هذا الباب كما يقولون من الظنيات لأنه لا يقبل فيه أحاديث الآحاد وإذا نظرت في كتب أئمة السلف و في المتون المختصرة في الاعتقاد فإنهم يقتصرون على اشتراط الصحة دون النظر إلى التواتر الذي يدعيه و يزعمه أهل الأهواء و البدع ،فإذا تقرر هذا و عُلم فإننا نذكر ما ذكره المصنف –رحمه الله تعالى–من الأحاديث الدالة على صفات الرب –جل جلاله–

قال المصنف –رحمه الله تعالى–:**ومن السنة قول النبي –صلى الله عليه وسلم–** :"ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا"هذا الحديث اتفق عليه الشيخان في صحيحيهما من حديث

أبي هريرة –رضي الله عنه–و قد جاءت جملة من الأحاديث في بيان هذه الصفة و شرح هذه الأحاديث شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى–في مجلدين و أتى فيهما بالعجائب والسنة دلت على إثبات هذه الصفة واجماع السلف،و ذكرت لكم في الدرس الماضي أن الإمام ابن المبارك–رحمه الله تعالى–قال :"إذا قال لك الجهمي أنا أكفر برب ينزل إلى السماء فقل أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء"وهذا الحديث دل على أن النزول صفة للرب ليس صفة لملك ولا صفة لأمر بل هو صفة للرب–تبارك و تعالى–أضافه الله–جل و علا –إلى نفسه أضافه النبي–صلى الله عليه و سلم–إلى ربه –تبارك و تعالى–.

"ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا"و هذا الباب (...) مالك ابن أنس إمام دار الهجرة فإنهم يعممون هذه القاعدة على هذه الصفات كلها،فإن الإمام مالك لما سئل على الاستواء قال :"الاستواء معلوم و الكيف مجهول و الإيمان به واجب و السؤال عنه بدعة"هذا أيضا يقال في النزول و في المجيء في الإتيان و في سائر الصفات .

قال المصنف–رحمه الله تعالى– و قوله :"يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة"هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد و غيره واختلف فيه فقد حسنه ابن الرس و الهيثمي والسخاوي و العلامة عبد الله بن محمد الدويش–رحمه الله تعالى– في كتابه "**تقوية ما ضعفه الألباني**" وحسنه العلامة ابن باز –عليه رحمة الله–و ضعفه البُوصيري وابن حجر و كذلك حسنه الهيتمي و السخاوي وسبب تضعيف من ضعفه أنه من رواية عبد الله ابن لهيعة المصري قاضيها وهو مختلف فيه والراجح ضعفه إلا أن من حسن الحديث ذكر له متابعا فقد رواه عشجين بن سعد فتابع عبد الله ابن لهيعة فيكون الحديث حسنا والحالة هذه ، و لهذا حسنه من ذكرت لكم بهذا الاعتبار و تحسينه مكتمل كما رأيتم .

و قوله هنا النبي –عليه الصلاة و السلام–:"يعجب ربنا"نسب العجب إلى ربه –تبارك و تعالى– و أهل السنة يثبتون ذلك بالقرآن وبالسنة وبالإجماع أما القرآن فعلى قراءة من قرأ من القراء كحمزة و الكسائي قرؤوا : بل عَجِبْتُ و يَسْخَرُون فنسب العَجَب هنا الرب –تبارك وتعالى–إلى نفسه و العَجَبْ يطلق على أمرين :

- يطلق على الدهشة من عدم العلم بالمتعجب منه و هذا متنزه عنه الرب –تبارك وتعالى–ولا يقول بإثبات هذا المعنى أحد من أهل الإسلام و المنتسبين إلى القبلة.
- و يطلق العَجَب على خروج الشيء عن نوائله خروج الشيء عن نظائره فإن الرب–تبارك و تعالى–قدر الأمرين ،فإذا فعل العبد بمقتضى أو بخلاف مقتضى بَشَرِيَته ، فإن الرب –تبارك وتعالى–يتعجب لصنيعه فيما اختار ،ويوضح هذا ويدل عليه قوله –عليه الصلاة والسلام–في قصة الرجل والمرأة لما جاءهما ذلك الضيف فأطفآ السراج وما كان عندهما من الطعام ما يكفي لهما ولا لأبنائهما فضلا عن ضيفهما فأطفآ السراج وأوهما الضيف بأنهما يأكلان فأكل الضيف حتى شبع فلما أصبح الرجل أتى النبي –صلى الله عليه وسلم–وقال له النبي –عليه الصلاة والسلام–:"إن الله عجب من صنيعكما البارحة بضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم"،والحديث في الصحيح كما هو معلوم هذا الرجل خرج على النظائر المعلومة من حال البشر،هذا عجب تعجب منه الرب –تبارك وتعالى–.

ولهذا جاء أيضا في الصحيحين أن النبي –صلى الله عليه وسلم–قال:"يعجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل"فهذا من الصفات التي يثبتها أهل السنة و الجماعة ، لأنه وصف به نفسه ووصفه به رسوله –صلى الله عليه وسلم–يفعل ذلك متى شاء كيفما شاء والعجب يدل على محبة الفعل الذي هو محل لهذا التعجب فالرب –تبارك وتعالى–وصف نفسه بذلك لا نتجاوز القرآن والحديث،وهذا الحديث الذي ذكره المصنف:"يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة"والصبوة هي الميل والهوى الذي يكون مألوفا عند الشاب،فإن عنفوانية الشباب تقتضي

منه أن يكون شهوانيا،لكنه يوم أن يكبح نفسه وأن يترك شهوته وأن يعتصم بالله تعالى وبالإخلاص له:{كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}﴿يوسف: ٢٤﴾ يعجب الرب –تبارك وتعالى– من شأنه،وهذا الحديث ظاهر في بيان المراد بهذه الصفة على ما ذكرت لك إذا تأملته.

قال –رحمه الله–**وقوله:**"يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة"هذا الحديث من أحاديث الصفات وصف فيه النبي صلى الله عليه وسلم فيه ربه بأنه يضحك والله –جل وعلا–أخبر عن نفسه بقوله:{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}﴿الشورى: ١١﴾ فلا يدخل أهل السنة متأولين بآرائهم ولا متوهمين بأهوائهم،بل يسلمون لله –تبارك وتعالى– ويلتزمون ما ألزمهم الله –تبارك وتعالى–به ورسوله –عليه الصلاة والسلام–،وهذا الحديث الذي ذكره المصنف اتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد"وهذا الحديث كما مر متفق عليه ولما ذكره المصنف –رحمه الله تعالى–هذه النصوص أكد على ما سبق بيانه من ضرورة الإيمان والتسليم بما جاء في سنة الرسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال –رحمه الله–**:فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعدّلت رواته،نؤمن به،ولا نرده،ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره ولا نشبهه بصفات المخلوقين ولا بسمات المحدثين ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير:**(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ﴿الشورى: ١١﴾ **وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه ومن ذلك قوله تعالى:(الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ)**﴿طه: ٥﴾.السلف رحمهم الله يدركون ما يعرض في القلوب من الشبهة التي يحتاج المسلم إلى معالجتها فنحن لن نكون أعلم بالله –تبارك وتعالى–منه ولن نكون أعلم بالله من رسوله –صلى الله عليه وسلم–ولن ننزه الله ولن نعظمه إلا بما عظم به نفسه،فإذا أثبتنا له

ما أثبته لنفسه ونفينا عنه ما نفاه عن نفسه وأثبتنا ما أثبته الله –جل وعلا–لنفسه وما أثبته له رسوله –عليه الصلاة والسلام–،ونفاه عنه فقد عظّمنا الله –جلّ وعلا–غاية التعظيم ، وذكرت لك فيما مضى أن المصنف – رحمه الله تعالى – وأيضا هذا الذي قرره أبو العباس ابن تيمية – رحمه الله – في الواسطية لما ذكر أدلة السنة قال : ومن السنة ثم ذكر أن المشروط هو صحة الرواية عنه –عليه الصلاة والسلام –وهنا ذكر المصنف –رحمه الله تعالى –التعريف للحديث الصحيح مما صحح سنده،وعدلت رُوَاته ،فقوله:**صح سنده** أي توفرت فيه شروط الصحة في السند قال:**نؤمن به, مصدقين غير مجادلين ولا نرده ولا نجحده ،بل نؤمن به على مراد الله تعالى ، كما أمرنا ربنا وكما أمرنا رسوله –عليه الصلاة والسلام–،ومع إيماننا به لا نتأوله والتأويل الذي يقصده المتكلمون هو صرف اللفظ عن ظاهره بمعنى غير مراد** , هذا الذي اصطلحوا عليه ولم يكن معروفا أي هذا الاصطلاح عند السلف ، وإنما كان التأويل الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وآثار السلف يطلق على معنيين :

- الأول منهما : التفسير للنص ولهذا يستعمله الحافظ بن جرير الطبري فيقول في تفسيره : والقول في تأويل قوله تعالى كذا.
- والمعنى الثاني : مرجع الشيء الذي رجع إليه :{وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ} (يوسف: ١٠٠)كذلك { يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُه} (الأعراف :٥٣)كذلك قول عائشة –رضي الله عنها –:"حين يتأول القرآن أن اعملوا به"أي يعمل به وأما المتأخرون فإنهم استعملوا لفظ التأويل إعتياضا به عن التحريف،لأن النفوس تنفر من التحريف،فسموا تحريفهم تأويلا ،فيتأولونها قال – رحمه الله–:**فلا نتأول بتأويل يخالف ظاهره ولا نشبهه بصفات المخلوقين** فذكر لك هنا الواجب اتجاه نصوص الصفات والمحاذير التي تعرض للقلب اتجاه نصوص الصفات ، فمن المحاذير أن يرد النص ردّا كليا لفظا ومعنى وكذلك الجحد،ومن المحاذير أن يقبل اللفظ ويتلوَ اللفظ ويسمع اللفظ ،ولا يقبل المعنى الذي دلّ عليه اللفظ وهذا هو التأويل أو

يقبل اللفظ ويؤمن باللفظ ويسمع اللفظ ويجعل المعنى الذي في اللفظ مشابها لصفات المخلوقين فكل هذه محاذير ذكرها رحمه الله لمن سمع نصوص الصفات.

قال –رحمه الله– قال: **ولا بسمات المحدثين ، ونعلم أن الله –سبحانه وتعالى–لا شبيه له ولا نظير** ، لأن الله –جل وعلا– قال:{هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّا } (مريم ٦٥)،{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد }(الصمد :٤)،{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير } (الشورى :١١)،{فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادا وأنتم تعلمون } (البقرة :٢٢) إلى غير ذلك ولهذا أكد هذا الأمر،وهذا هو الموضع الثالث الذي يذكر فيه آية الشورى التي هي كما يقول الشوكاني وغيره:" دستور أهل السنة في باب الصفات{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير}" وهذه الآية فيها الرد على جميع طوائف أهل البدع المخالفين لأهل السنة في هذا الباب ، في باب "**الأسماء والصفات**" فإن رؤوس البدع في هذا الباب باب الأسماء والصفات طائفتان:

- الطائفة الأولى : طائفة أثبتت الأسماء والصفات ، ولزمت التشبيه والتمثيل و هؤلاء هم الممثلة أو المشبهة.
- و طائفة: عطّلت هذه الصفات وهم المعطّلة.

فردّ الله على الطائفة الأولى بقوله{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }فكيف تشبهونه بخلقه ؟ وكيف تمثلون به خلقه أو تمثلونه بخلقه ؟ هذا ضلال مبين **{**وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير**}**فكيف تنفون عنه ما أثبته لنفسه ، وأثبته له رسوله –صلى الله عليه وسلم–،لذلك قال المصنف – رحمه الله –**:وكل ما تخيل بالذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه أو كل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه**, لأنك مهما ظننت أنك إذا أثبت الصفة أو تخيّلت تعالى الله عن ذلك أو تصورت وأن ذلك الذي تخيلته أو تصورته خطر ببالك هو الكمال ، فإن الله خلاف ذلك , لأنه لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام –جل جلاله–

و العباد مأمورون بالإيمان به ولو أن الناس لا يؤمنون و لا يصدقون إلا بما يرون لأنكروا العلوم المعقولات و هذا لا يقوله عاقل فإن أغلب العلم راجع إلى العقل ،وسينكر الإنسان الحقائق التي بين يديه و هذا الرب –جل و علا–،الروح التي بين جنبي الإنسان الموصوفة بالإقبال و الإدبار و الإتيان و الصعود و النزول هذا يعلم من حالها ؟ لا يعلم من حالها شيء لهذا ذكرت لكم فما اذكر و نكرر هذا أن إسحاق بن راهويه جاءه أناس و قالوا : أن فلانا يشبه فدعا به فسأله ما وجهه في التشبيه فذكر له ما ذكر (...) ما يعلم ما هو معلوم فقال : "فهل تستطيع أن تصف لي طائرا بثلاثة أجنحة قال لا،لا أتصور إلا بجناحين فإن الله قال في ملائكته : {مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ }﴿فاطر: ١﴾ و النبي –عليه الصلاة و السلام– رأى جبريل له ستمائة جناح فأين ستضع الجناح الثالث فرجع"،لأنه قال له هذا في حق المخلوق فكيف بحق الخالق{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ﴿الشورى: ١١﴾ من انطلق في عقيدته في باب الأسماء و الصفات و في باب الأخبار و أمور الغيب من هذه الآية و نظائرها فقد أراح و استراح {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}يقرأها في الإثبات و في النفي {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}ويقرأ في النفي{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} و يقرأ في الإثبات {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} و كل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} ﴿مريم: ٦٥﴾ و لأن المعلوم بالوصف إما أن يكون معلوما بالمشاهدة و هذا ممتنع في حق الرب –تبارك و تعالى–أو أن يكون له نظير مشابه يقاس عليه و هذا كله ممتنع كما هو معلوم.

ثم شرع المصنف –رحمه الله–عائدا إلى بعض ما جاء في نصوص الصفات في القرآن و سيذكر أيضا جملة من الأحاديث الواردة في السنة عن النبي –صلى الله عليه و سلم–فقال –رحمه الله –

:من ذلك أي من تلك الصفات التي يؤمن بها أهل السنة على هذه الطريقة على طريقة{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}﴿الشورى: ١١﴾ قوله تعالى :{الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ}﴿طه: ٥﴾ وهذه الصفة من أكثر الصفات التي اعتنى بها السلف مع العلم بأن الطبقات المتقدمة من أهل الأهواء و البدع في عهد أئمة السلف كعبد الرحمن بن مهدي و من في طبقته

لم يكونوا يصرحون بنفي صفة الاستواء و العلو لله تعالى و إنما كانوا يحومون حولها و من رأى آثار أئمة السلف يجد أنهم جميعا قالوا كابن المبارك و من جاء بعده من طبقات أئمة السلف أنهم يقولون عندما بدأت الجهمية بالظهور كانوا يقولون "نهاية هؤلاء أن يقولوا أنه ليس في السماء إله و أنه لم يستوي على العرش"هذا لم يكن معلوما و هذا ذكر منه طائفة كبيرة من هذه الآثار شيخ الإسلام –رحمه الله– في كتابه "**بيان تلبيس الجهمية**"وذكر هذا المعنى الذي ذكرته لك آنفا من جهة أن هذه الصفة أنكرها المتأخرون من الجهمية وإنما كانوا يحومون حولها و الرب–تبارك و تعالى–وصف به نفسه في كتابه و وصفه بها رسوله–صلى الله عليه و سلم–و أجمعت الأمة عليه و صُنفت الكتاب في هذا الباب من أوسعها كتاب "**العلو**"للذهبي **و** كتاب **"العلو**"لابن قدامة المصنف و كتاب "**العرش**"للذهبي و كتاب "**اجتماع الجيوش الإسلامية**"للحافظ ابن القيم و كتاب "**العرش**"لابن أبي شيبة،فصنفوا كتبا كثيرة في بيان هذه الصفة لأهميتها و لظهورها فالرب –جل و علا–قال في كتابه الكريم :{الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ}﴿طه: ٥﴾ ، وقال في مواضع آخرى:{ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ} ﴿الفرقان: ٥٩﴾ فوصف نفسه بالاستواء هذه الآية دلت على العلو و الاستواء و الارتفاع من وجوه كثيرة :

- أولها : علا التي تدل على العلو و الاستعلاء.
- ثانيها : العرش فإن العرش مأخوذ من الرفع و منه قول العرب "عرش العظم" و "عرش العريشة" يعني رفعه "و مما تعرشون" أي ترفعون .

وكذلك فإن هذين اللفظين يدلان على علو الله تعالى و استوائه على عرشه و كذلك استوى يدلان على علو الله تعالى و استوائه على عرشه ،كذلك استوى التي أثبتها أئمة السلف و لهذا جاء الاستواء و إثباته في سبعة مواضع من القرآن هذا أولها أو هذا أحدها و المواضع الستة الآخرى جاءت في سياق واحد { ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ}و ضرورة مقتضية لهذا لأن الفطرة السليمة و العقول الصحيحة تؤمن بهذا و العباد يرفعون أيديهم ضرورة إلى السماء إذا أرادوا الإشارة إلى الله

تعالى أو أرادوا دعائه ،تعرفون قصة أبي علاء الهمذاني مع الجويني عندما قال:"حيرني الهمذاني لما قال إنا نجد فدعنا من هذا و هذا إنا نجد في أنفسنا ضرورة إذا دعا أحدنا أن يرفع يديه إلى السماء فوضع يديه على رأسه و نزل من على المنبر و قال :حيرني الهمذاني".

ما الفرق بين العلو و الاستواء ؟ تذكر هذا من باب الفائدة **العلو** صفة ذاتية هذا فرق و **الاستواء** صفة فعلية ،العلو دلت به الكتاب و السنة و الاجماع و الفطرة و العقل و الاستواء دل عليها الكتاب و السنة لأنه مأخوذ من جهة النص ،فلو لم يثبت بمعنى لو لم يثبت دليل على علو الله تعالى من الكتاب و السنة و إجماع السلف لكانت الفطرة و العقل قاضية بأن الله –تبارك و تعالى– في العلو لأنها صفة كمال و السفل صفة نقص كما هو معروف و مع هذا فقد دلت الأدلة التي ذكر بعضها أئمة الشافعية و ذكر االحافظ ابن القيم ذلك عنهم في "**اجتماع الجيوش الاسلامية**" و في "النونية أنها بلغت ألف دليل من الأدلة الدالة على علو الله على عرشه و استوائه على خلقه.

قال المصنف–رحمه الله–:{ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} ﴿الملك: ١٦﴾ هذه الآية أيضا دالة على علو تعالى و قد قال ابن عباس : " أأمنتم عذاب من في السماء إذا عصيتموه"كذلك جاء عن غيره –رضي الله عنه و أرضاه–وقوله هنا "**في السماء**" عند من يقول أن الحروف تتناوب قالوا أن **في** هنا بمعنى على و من لم يرى التناوب قال إن **السماء** المراد بها **العلو** فهي على ظاهرها {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ}أي من في العلو و هذه الآية جاءت مرتين في سورة الملك و هي دليل ظاهر على إثبات علو الله تعالى على عرشه ....

انتهى الدرس الرابع

وقوله تعالى (ءأمنتم مّن في السّماء) وذلك في سياق المصنّف رحمه الله تعالى للأدلّة الدّالة على علوّ الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه قال المصنّف رحمه الله تعالى:

وقول النّبيّ صلى الله عليه وسلّم "ربّنا الله الّذي في السّماء تقدّس اسمك" رواه أبو داود.

وهذا الحديث إختصره المصنّف رحمه الله تعالى وهو حديث طويل في الرّقية والدّعاء للمريض وقوله هنا **ربّنا الله** ضبط بالوجهين ضبط بالرفع ربّنا الله على أنّه مبتدأ وخبر، وحكي أيضاً بالنّصب على حذف حرف النّداء ربّنا الله، الله يكون هنا بدلاً والّذي هذا صفة موضّحة وقوله **تقدّس إسمك** هذا إمّا أن يكون خبراً بعد خبر أو إستئناف، وقوله **كما رحمتك** هذا تمام الحديث هذا بالرّفع على أنّ ما كافة مميئة لدخول الكاف على الجملة وعلى كلّ حال فإنّ هذا الحديث ساقه المصنّف رحمه الله تعالى لأجل قول النّبي صلى الله عليه وسلّم فيه [ربّنا الله الّذي في السّماء] وهذا الحديث قد إختلف فيه أهل العلم والخطّابيّ أعلّه لأنّ في إسناده زيادة أبن محمد الأنصاري، قال أبو حاتم "منكر الحديث"، وهذا الحديث له إسناد آخر من حديث فضالة بن عبيد إلاّ أنّه معلّ بعلّتين لأبي بكر بن أبي مريم وبجهالة الأشياخ الّذين ذكروا في الإسناد، هذا الحديث على كلّ حال قد أخرجه أبو داود والتّرمذيّ والنّسائيّ وأحمد وغيرهم ولكنّه حديث ضعيف، وهنا أنبّه على أمر مهمّ وهو أنّ الأحاديث الضّعيفة الّتي قد يستدلّ بها أو يسوقها المصنفون في كتبهم في باب الإعتقاد أنهم لا يسوقونها إستقلالاً للإستدلال بها وإنما يذكرون أدلةً من الكتاب والسنة ثم يذكرون جملة من هذه الأحاديث الّتي قد يكون فيها شيء من الضّعف كما نبّه على ذلك شيخ الإسلام أبن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه "الإستغاثة في الردّ على البكريّ" لأنه لمّا ساق حديث [إنّه لا يستغاث بي] ذكر هذا الضّابط أو هذه القاعدة أو هذه الفائدة وأنتم ترون أنّ المصنّف نوّع في الأدلّة وأمر أخر لأنّ هذه الأحاديث قد لا تكون شديدة الضعف وتكون في نظر هذا المصنّف من الأحاديث الثّابتة فيميل إلى تصحيحها ويحتجّ بها ويسوقها، ثمّ قال المصنّف رحمه الله تعالى

وهذا الأمر الّذي ذكرته تستحضره فيما يستقبلك من الأحاديث التي قد تكون فيها نوع مقال قال المصنّف رحمه الله تعالى:

وقال للجارية"أين الله" قالت في السّماء.قال اعتقها فإنّها مؤمنة " رواه مالك بن أنس ومسلم وغيرهما من الأئمّة، وهذا الحديث كما ذكر المصنّف رواه الإمام مسلم فهو في مرتبة عالية من الصحّة وإن جادل الجهمية في ثبوته كالكوثريّ و من شايعه وقد ردّ عليهم طوائف من أهل العلم وناقشوهم في هذا الحديث، فالحديث في صحيح الإمام مسلم وقد رواه مالك أيضاً ورواه الأئمّة وأحتجوا به وهو حديث معاوية بن الحكم السّلميّ روى حديث طويل عندما ذكر جاريته وأنّ الذّئب ذهب بشاة من الغنم فصكّها فقال النّبي عليه الصّلاة والسّلام (ائتني بها) وهذا كما ذكرت لكم في الدّرس الماضي من السنّة التّقريريّة فإنّ الجارية أجابت بأنّ الله تعالى في السّماء و أقرّها النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال المصنّف رحمه الله: **وقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لحصين كم إلهاً تعبد ؟ قال سبعة، ستّة في الأرض وواحداً في السّماء .قال من لرغبتك ورهبتك ؟ قال الذي في السماء ، قال"فاترك الستّة وأعبد الّذي في السّماء وأنا أعلّمك دعوتين" فأسلم وعلّمه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أن يقول"اللّهمّ ألهمني رشدي وقني شرّ نفسي" .**

وهذا الحديث أيضاً لم يخرّجه المصنّف رحمه الله تعالى وقد رواه أعني حديث عمران بن حصين رواه المصنّف رحمه الله تعالى بسنده في كتابه العلوّ ورواه ابن خزيمة رحمه الله تعالى والحديث فيه ضعف وحصين هذا هو والد عمران بن حصين وهو وأبنه صحابيان عمران بن حصين رضي الله عنه وأبوه حصين هذا أسلم، الشّاهد في الحديث قوله هنا [الّذي في السّماء].وهذا كما ذكرت لكم قبل قليل أنّ الأئمّة ربّما يسوقون مثل هذه الأحاديث الّتي قد ساقوا قبلها ما هو ما أصحّ منها، قال رحمه الله "**أنّهم يسجدون بالأرض ويزعمون أنّ إلههم في السّماء.**" وهذه أيضاً طريقة مسلوكة عند طائفة من أهل العلم ومن قرأ العلوّ للذّهبيّ وإجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيّم وأمّا كتب شيخ الإسلام أبن تيمية في سياقة مثل هذه الأثار ومثل هذه النّقولات فهو شيء كثير

فربّما ينقلون من القصص عن من سبق وربّما ينقلون عن الحيوانات والحشرات وما شابه ذلك ما يدلّ على الكثرة المستقرّة في نفوسهم على علوّ الله تبارك وتعالى على خلقه، ولا شك ان هذا الذي ذكره المصنّف رحمه لله تعالى لا إسناد له ومثل هذا يعسر الوقوف على إسناده كما ذكر شيخ الإسلام أبن تيمية رحمه الله تعالى في مقدمة أصول التفسير عندما ذكر مسار الخلاف في التفسير بسبب عدم وجود الإسناد لكن الذي نستفيده هنا هو أن كثيرين من الأئمة من السابقين واللاحقين ربما يذكرون مثل هذه الاثار ومثل هذه المقولات من باب الإعتظاد والإستشهاد لا من باب الإستقلال بالدليل وهذا أمر لا إشكال فيه لأنهم يتحدثون عن مسألة مستقرة ثابتة دل عليها نصوص الكتاب والسنة والإجماع ومن تأمل في قوله تعالى مخبراً عن فرعون ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ ذكر أبن خزيمة في "كتاب التوحيد" أن فرعون ما قال هذا لموسى إلا أن موسى أخبره بإن إلهه في السماء وهذا أمر كما ذكر شيخ الإسلام أبن تيمية وذكر غيره من الأئمة كثر لا يحصيهم إلا الله جل وعلا من أئمة المذاهب والفقهاء والمحدّثين أن الإجماع من جميع الأمم ومن جميع الملل على إثبات علو الله تعالى على خلقه بل إن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في بيان تلبيس الجهمية لما ذكر الإجماع على ذلك ذكر إجماع الطبقات المتقدمة من الأشاعرة والماترودية والشيعة وغيرهم على أن الله تبارك وتعالى مستوٍ على عرشه عالٍ على خلقه قال رحمه الله وروى أبو داود في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال [إن ما بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذا] . ذكر الخبر إلى قوله [وفوق ذلك العرش والله سبحانه فوق ذلك] هذا يشير به المصنّف رحمه الله تعالى إلى ما جاء في حديث أبن مسعود رضي الله عنه وقد أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهم وله طريقان حتى قال شيخ الإسلام أبن تيمية رحمه الله في مناظرة الواسطية قال (هذا الحديث مع أنه رواه أهل السنن كأبن داود والترمذي وأبن ماجه وغيرهم فهو مروي من طريقين مشهورين فالقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر) إنتهى كلامه رحمه الله، لكن ناقشه على هذا الكلام العلامة الألباني رحمه الله تعالى في الضعيفة،

والحافظ الذهبي في كتاب العلو قال له طرق وكذلك جاء من حديث العباس بن عبد المطلب بلفظ [والله فوق ذلك] وهو ما يسمى بحديث الأوعال وقد صححه أبن خزيمة والحاكم والبيهقي بل قال شيخ الإسلام تلقاه الأئمة بالقبول كما في فتاوى أبن القاسم رحم الله الجميع وإن كان الحديث قد ضعفه مثل البخاري والترمذي وأبن عدي وأبن كثير والحديث مختلف في وقفه ورفعه أعني حديث الأوعال ولكن كما قلت لكم آنفاً وينبغي أن تستحضروا هذا الأمر إذا نظرت في كتب الأئمة في ما يتعلق بالعلو والإستواء رأيت عجباً من الأحاديث والآثار بل ذكر بعض أئمة الشافعية كما ذكر عنه شيخ الإسلام وتلميذه أبن القيم في الإجتماع وفي الصواعق المرسلة ونظم ذلك أيضاً في نونيته لأنه قد جاء في إثبات صفة العلو أكثر من ألف دليل ولما ساق المصنّف رحمه الله تعالى هذه النصوص وهذه الآثار ختم هذا المبحث العظيم المهم بقوله "**فهذا** يعني الذي سبق **وما أشبهه من نظائره من نصوص ايات الصفات مما أجمع السلف رحمهم الله على نقده وقبوله ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله**" وهذا قد سبق فإن الإجماع في باب الإعتقاد منعقد وهذا الإنعقاد للإجماع ضروري لا يدفعه شيء والأهواء التي تسلطت على أصحابها لا ترده أبداً وقد حكي الإجماع على مسألة العلو في طبقات متقدمة من الائمة كأبن المديني المتوفى سنة أربع وثلاثين ومائتين (٢٣٤) فله فتيا أو فتوى في ذلك ذكرها الذهبي للعلو وأبن القيم في الإجتماع فقد أجاب على سؤال من سأله عن قول أهل الجماعة وقال (يؤمنون بالرؤية والكلام وأن الله فوق السموات على عرشه أستوى) .

وصرّح بالإجماع غير واحد من الأئمة كأبن راهويه ومن لا يحصيهم من الخلائق كالدارمي وأبن بطة والأصفهاني والطلمنكي وأبن عبد البر وهذه المسألة مسألة العلو والفوقية والإستواء من المسائل التي أجمع الأمة عليها إجماعاً ضرورياً وإنما وقع المتأخرون من الأشاعرة بسبب ما دخل عليهم من الإعتزال وما أشبه ذلك من الشبهات بل إن شيخ الإسلام رحمه الله في كتاب "بيان تلبيس الجهمية" كان يحكي عن بعض السلف كأبن مهدي وغيره عندما يتكلمون عن كلام الجهمية

يقولون بأن منتهى كلام هؤلاء أن يصلوا إلى نفي علو الله على خلقه وأستوائه على عرشه وكانوا يتوقعون ذلك ثم حصل ما كانوا يتوقعونه والعلو ثلاثة أقسام ذكرها شيخ مشايخنا العلامة حكمي في بيتين فقال:

كذا له العلو والفوقية *** على عباده بلا كيفية

علو قهرٍ وعلو الشأن *** جل عن الأضداد والأعوان

هذان البيتان ذكر فيهما أنواع العلو:

١- علو القهر ٢- وعلو القدر ٣- وعلو الذات .

وعلو القهر وعلو القدر هذا لم تختلف فيه الأمة بجميع مذاهبها وطوائفها وإنما وقع الخلاف والنزاع في علو الذات فالمعتزلة وغيرهم يثبتون علو القهر ويثبتون علو القدر والمكانة والمنزلة إنما نازعوا في علوه تبارك وتعالى على سمواته وإستوائه على عرشه جل جلاله وهذا المبحث من المباحث المهمة التي أولاها العلماء إعتناءً بالغاً وصنّفوا فيها الكتب.

ثم قال رحمه الله تعالى: "**ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، وسمعه جبريل عليه السلام، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه، قال الله تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}[النساء: ١٦٤]، وقال سبحانه:{يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي}[الأعراف: ١٤٤]، وقال سبحانه:{مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ}[البقرة: ٢٥٣]، وقال سبحانه:{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ}[الشورى: ٥١]، وقال سبحانه:{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ}[طه:١١ – ١٢]، وقال سبحانه:{إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي}[طه: ١٤]، وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله .**

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه "إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء"، روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عبد الله بن أنيس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلاً بهماً فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان)، رواه الأئمة واستشهد به البخاري.

وفي بعض الآثار أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار فهالته ففزع منها فناداه ربه: يا موسى، فأجاب سريعاً إستئناساً بالصوت، فقال لبيك لبيك، أسمع صوتك ولا أرى مكانك، فأين أنت ؟ قال:أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك، فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى. قال كذلك أنت يا إلهي، أفكلامك أسمع، أم كلام رسولك ؟ قال:بل كلامي يا موسى" اهـ

هذا المبحث وهذا الفصل من المباحث والفصول المهمة في هذا المتن وفي سائر كتب الإعتقاد، ومسألة كلام الله تعالى من المسائل العظيمة التي نازع فيها أهل البدع أهل السنة والجماعة وبسببها قامت الفتنة والمحنة التي حصلت لإمام أهل السنة والجماعة الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله تعالى، وهي ليست خافية على جميع طوائف الأمة. وهذه المسألة مسألة الكلام، وهو إثبات كلام الله تبارك وتعالى دلت عليها أدلة الكتاب والسنة والإجماع وآثار السلف بما لا يحصيه إلا رب السموات والأرض جل جلاله، وصنّفت كذلك فيها الكتب وفي إثبات أفرادها وآحادها كالصوت والحرف وما شابه ذلك مما ذكره أئمة الإسلام، والمصنّف رحمه الله تعالى هنا أجمل لنا القول في ما يتعلق بصفة الكلام لله تعالى فقال: "**ومن صفات الله تعالى**" لأنه كما ذكرت لكم أنهم يستعملون "مِن" هذه للدلالة على أنهم لا يريدون الإستقصاء وإنما يذكرون ما يُحتذى به فيه، فقال: "**ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه**" يتكلم ومتكلّم وتكلّم كل هذه الألفاظ والتصرفات تدل على تحقيق وتأكد الصفة، وقول المصنّف هنا "**قديم**" إستعمله الأئمة رحمهم الله تعالى لبيان أن صفة الكلام لله تعالى أولية قديمة وأنه تبارك وتعالى متكلم متى شاء كيفما شاء، وكما يُعبّر المتكلمون: في الأزل أو أولياً، كل هذا

مما يستخدمونه، أويقولون قديم، فالرب تبارك وتعالى من صفاته الذاتية الكلام، أهل السنة يثبتون ذلك .

أنتم تعرفون أن الرب جل وعلا بيّن نقص آلهة المشركين التي يعبدونها بسبب أنهم لا يتكلّمون، فهذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول لأبيه: {لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا}[مريم: ٤٢]،وهارون وهو في قصة موسى عليه الصلاة السلام لما ذهب لميعاد ربه ولقائه قال الله جل وعلا: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩]، فإذا كان هذا مما يُعاب في آلهة المشركين فإن من نسب الله تبارك وتعالى أو من قال بأن الله لا يتكلم فقد أنزله هذه المنزلة نسأل الله العافية والسلامة، فالله جل وعلا من صفاته الكلام.

قال: "**يَسمعه منه من شاء من خلقه**" أو "يُ**سمعه من شاء من خلقه**" لكن إذا ضُبطت هذه فلا بد من حذف "منه" لأن النسخة التي بين يديّ وهي التي قرأتها على شيخنا العلّامة النجمي رحمه الله كذا ضُبطت: "**يُسمعه منه من شاء من خلقه**" هذا لا يستقيم، فإما أن يقال: "**يُسمعه من شاء من خلقه**" أو "**يَسمعه منه من شاء من خلقه**". قال: "**سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة**" كما سيذكر ذلك في الأدلة الدالة عليه من الكتاب ومن السنة من غير واسطة "**وسمعه جبريل عليه السلام**" فإن الله تبارك وتعالى أوحى إلى جبريل كما جاء في نصوص كثيرة منها حديث أبي هريرة عند البخاري في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣]، ومنها أيضاً ما جاء في صحيح مسلم في حديث أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال: [إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل: يا جبريل....]

قال: "**ومن أذن له من ملائكته ورسله**" كذلك جاء هذا في حديث أبي هريرة الذي تقدم معنا قبل قليل، وفيه قوله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ [سبأ: ٢٣]، وفيما سيذكره المصنّف رحمه الله من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ

حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] وذلك يدخل فيه بعض الرسل، فقد كلم الله جل وعلا آدم عليه الصلاة والسلام في الجنة، وكلم موسى كما سيأتي وكلم نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء والمعراج.

قال: "**وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه**" كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، وكما جاء في الصحيحين كما سيأتي معنا في باب الرؤية أنه يقول: [اليوم أحل عليكم رضواني فلا أسخط أبداً] .

قال "**ويأذن لهم فيزورونه**" هذا يأتي –إن شاء الله تعالى– الكلام عليه في باب الرؤية. "**قال الله تعالى**" هنا يسوق المصنّف رحمه الله الأدلة الدالة على ذلك. قال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وتكليماً هذا مصدر ، مصدر كلّم يكلّم فهو مُكلِّم فهذا التأكيد ينفي أولاً المجاز ويؤكّد الحقيقة عند من يقول فيه ويؤكد الحقيقة ويرفع ما تقوله الأشاعرة من الحكاية أو العبارة أو ما شابه ذلك، فالربّ جلّ وعلا وصف نفسه بذلك وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ مما يذكره العلماء في هذا المقام أن أبا عمرو بن العلاء وهو أحد القرّاء السبعة جاءه رجل فقال لم لا تقرأ: وكلّم اللهَ موسى تكليما ؟ فقال: هب أني فعلت ذلك كيف تفعل بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ فبهت لأنه إذا قال وكلّم اللهَ موسى، موسى هذا لا تظهر عليه علامات الإعراب فتكون العلامة مقدّرة يمنع من ظهورها التعذّر تستطيع أن تقدّرها رفعاً أو تستطيع أن تقدّرها نصباً لكن إذا قلت: وكلّم اللهَ هذا لم يحتمل الأمر إلا أن موسى هو المتكلم مع الله هذا باطل بلا شك .

قال رحمه الله: وقال سبحانه: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ أما الرسالة فظاهر "وبكلامي" إذا لم يكن كلامه جلّ وعلا على الحقيقة فما الذي اصطفى به موسى ؟ وهذا يفسر ما سبق من الآيات لأنه لما جاء موسى لميقات الله جل وعلا كلّمه تبارك وتعالى

وأخبره باتخاذ قومه العجل من بعده وقال سبحانه في جميع الرسل: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ ، وهذا الإجمال الذي جاء في هذه الآية مفسَّر بما قبله بموسى ومفسَّر بآدم عليه الصلاة والسلام عندما كلّمه الله في الجنة ومفسَّر بالنبي عليه الصلاة والسلام عندما كلّمه الله جل وعلا ليلة المعراج وفرض عليه الصلوات.

قال: وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ كلام الله جلّ وعلا مع أنبياءه ورسله وملائكته ومن شاء منهم، من شاء من أنبياءه ورسله كما تقدّم معنا هذا كله في القرآن ظاهر.

قال: وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ۞ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾[طه:١١-١٢]، العلماء يقولون بأن الشيء إذا وُصف أو ذُكرت بعض أفراده فإن هذا يدلّ على الحقيقة وعلى تأكيدها، أنت إذا نظرت إلى صفة الكلام رأيت أن الله جلّ وعلا وصف نفسه بالكلام وما تصرّف منه: "تكليما" و"كلّم" و"يكلّم" ووصف نفسه بالنّداء ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾[مريم:٥٢] ، ووصف نفسه بالمناجاة ﴿وقرّبناه نجيّا﴾ ووصف كلامه بالصّدق ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ وهنا وصف نفسه بالنّداء قال ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ۞ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ فالله جلّ وعلا نادى موسى وناجاه وكلّمه وقال له سبحانه، وقال سبحانه: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ ، هذا كله في موسى عليه الصلاة والسلام.

قال المصنّف معلّقا بما استفاده من كلام الإمام أحمد ومن كلام غيره من الأئمّة لأنهم نصّوا على هذا، قال: وغير جائز أن يقول هذا أحدٌ غير الله، من الذي يمكن أن يقول: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ ؟ أهو مَلَك ؟ أم الشجرة كما تقوله المعتزلة ؟ تعالى الله عن قولهم علوّا كبيراً، بل القائل هذا هو الربّ جلّ وعلا المعبود يقوله لموسى عليه الصلاة والسّلام.

المصنّف بعد ذلك ذكر جملةً من الأحاديث والآثار الدالّة على ما سبق بيانه، فقال: وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إذا تكلّم الله بالوحي سمع صوته أهل السّماء روي ذلك أو روى ذلك عن النّبي صلى الله عليه وسلّم، هذا الحديث علّقه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه ووصله في الأدب المفرد ووصله أيضاً أبو داود والبيهقي في الأسماء والصفات وصحّحه العلاّمة الألباني عليه رحمة الله في السلسلة الصحيحة، ومرّ معنا قريب منه حديث أبي هريرة وحديث النوّاس بن سمعان في تفسير قوله تعالى ﴿حتى إذا فُزّع عن قلوبهم﴾ والشّاهد من هذا أن قول المصنّف رحمه الله: وقال عبد الله بن مسعود: [إذا تكلّم الله بالوحي سمع صوته أهل السّماء] فيه إثبات الصوت لله تعالى فإثبات الصوت لله جلّ وعلا ممّا يدين به أهل السنّة والجماعة ويعتقدونه ويقولون الكلام والخطاب لا يكون إلا بصوت وأمّا حديث النفس فانه لا يُسمّى كلاما لأنّ الكلام فيه قوّة.

والصوت ثابت كما في هذا الحديث وكما في حديث أبي هريرة عند البخاري الذي تقدّم قبل قليل وفيما سيذكره المصنّف أو ذكره المصنف في حديث عبد الله بن أُنَيْس فقال: وروى عبد الله بن أُنَيْس عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم أنه قال: [يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلا بُهما فيناديهم بصوت يسمعه من بعُد كما يسمعه من قرُب أنا الملك أنا الدّيّان] رواه الأئمّة واستشهد به البخاري، هذا الحديث علّقه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه ووصله في الأدب المفرد وأخرجه الإمام أحمد موصولاً وإسناده حسن عند الإمام أحمد والحديث صحّحه جمع من الأئمّة كالعراقي والذهبي وغيرهم كثير وصحّحه العلامة الألباني عليه رحمة الله ومغفرته فهو حديث صحيح وفيه إثبات الصوت لله تبارك وتعالى وهذا كلّه ونظائره دلّت عليه أدلّة أخرى أعني مسألة الصوت لكن المصنّف أراد أن يثبت مسألة الصوت وكما سيثبت أيضاً مسألة الحرف لما يُستقبل من كلامه عليه رحمة الله ومغفرته لأن الأئمّة.. والمصنّف رحمه الله له كتاب مستقلّ مطبوع في مسألة الحرف والصوت لله جلّ وعلا.

قال رحمه الله: وفي بعض الآثار أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار والمراد بالنار ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ والمراد بالنار ها هنا النور، رأى ناراً فهالته ففزع وهذا نقله المصنّف أيضاً كما ذكرت لكم جرياً على القاعدة التي مرت معنا وذكرنا بأن المصنفين في هذا الباب يذكرون ما يستشهد به ويستأنس به في مثل هذه الآثار التي مرت معنا، وما دل عليه هذا الأثر دلت عليه نصوص كثيرة في إثبات الصوت لله تعالى وإثبات الكلام لله جلا وعلا والسلف رحمهم الله تعالى مجمعون على هذا الباب لا يحصي حكاية إجماعهم إلا الله أنظر إلى قول النبي صل الله عليه وسلم في ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة [إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسَها] أو [أنفسُها مالم يتكلموا أو يعملوا]، مالم يتكلموا أو يعملوا فرّق النبي عليه الصلاة والسلام بين حديث النفس وبين الكلام، والإجماع كما قلت لكم قديم جداً حتى من طوائف أهل البدع الذين نقلت كلامهم مما يوافق قول أهل السنة والجماعة كما ذكر جملة منهم شيخ الإسلام رحمه الله تعالى وتلميذه أبن القيم ومن خالف في هذه المسألة لأن المصنف رحمه الله سيذكر بعد ذلك أيضاً إعادة لمسألة الكلام فيما يتعلق بالكلام على القرآن وما يتعلق به .

انتهى الدرس الخامس



وقد انتهى بنا المقام إلى ما ذكره المصنف –رحمه الله تعالى– من إثبات صفة الكلام. و لما ذكر صفة الكلام، ذكر فردا من أفراده، ألا و هو القرآن:

لأنّ الكلام يدخل فيه التوراة، والإنجيل ، والزبور، وصحف إبراهيم، وصحف موسى، و يدخل فيه الكلام الكوني –وهو كلام الله الواقع كونا– و هو الذي يقع به الأمر و النهي ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ

شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(يس:٧٢). هذا كلّه داخل في الكلام . ومن أفراد الكلام القرآن، وإنّما خصّه المصنف–رحمه الله تعالى–لأنّ الأمة معنية به–

وقال–عليه رحمة الله–:

فَصل

وَمِنْ كَلَامِ اَللَّهِ –سُبْحَانَهُ– الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ وَهُوَ كِتَابُ اَللَّهِ الْمُبِينُ، وَحَبْلُهُ الْمَتِينُ، وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ، وَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

وَهُوَ سُوَرٌ مُحْكَمَاتٌ، وَآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، وَحُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ مَنْ قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَات، لَهُ أَوَّلٌ وَآخِر، وَأَجْزَاءٌ وَأَبْعَاضٌ، مَتْلُوٌّ بِالْأَلْسِنَةِ، مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، مَسْمُوعٌ بِالْآذَانِ، مَكْتُوبٌ فِي الْمَصَاحِفِ، فِيهِ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ، وَخَاصٌّ وَعَامٌّ، وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ.

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ –فصلت:٤٢–

وَقَوْلُهُ تَعَالَى :﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ –الاسراء:٨٨–

هكذا يقول المصنف–رحمه الله تعالى–فيما يتعلق بالقرآن، و أنّه كلام الربّ–جلّ و علا–و قد وصفه المصنف–رحمه الله تعالى– بأوصاف كثيرة، دلّ عليها نصوص الكتاب و نصوص السنّة، فاستعمل أسلوب الاقتباس أو أسلوب التضمين، فساق فيما ساق–رحمه الله تعالى– من الألفاظ ما دلت عليه نصوص الكتاب و السنّة. و الحظ إلى ما ذكرته لك قبل قليل، من أنّه لمّا فرغ من ذكر الكلام، ذكر فردا من أفراده، و هو القرآن.

و لهذا قال المصنف : وَمِنْ كَلَامِ اَللَّهِ ، فالقرآن ليس هو فقط كلام الله –جل جلاله–بل الله –تبارك و تعالى– متكلم، يتكلم بما شاء متى شاء كيفما شاء، فمن كلامه: هذا القرآن الذي بين أيدينا، الذي انزله على رسوله–صلى الله عليه و سلم–بحروفه وآياته و قراءاته، فالقرآن العظيم كما وصفه الله–تبارك و تعالى–هو الكتاب المبين أيضا كما وصفه الله–جل و علا–

وَحَبْلُهُ الْمَتِينُ و هذا جاء في حديث علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–و من حسنه حسنه موقوفا، و إلا المرفوع فلا يصح. و كذا ما بعده مما ذكره المصنف .

وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ، وَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وكونه الصراط المستقيم هذا جاء في حديث النّواس ابن سمعان .

وَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ جاء هذا الوصف في القرآن.

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، كذلك جاء هذا الوصف في القرآن .

عَلَى قَلْبِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، ،

كما قال تعالى :﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء: ١٩٤)

مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ و هذا الوصف مأخوذ من أئمة الإسلام عندما وقعت الفتنة و على رأسهم الإمام أحمد، و الأئمة استعملوا الألفاظ الدالة على إثبات الصفات لأجل ما وقع من الإنكار لحقائقها من أهل البدع و الضلالات، و إلّا فإنّهم لم يكونوا يزاحمون ألفاظ الشريعة، و لا يأتون بألفاظ لم ترد لا في الكتاب و لا في السنة. لكن كما قال الإمام أحمد لما تكلمت المعتزلة قال : "و كيف يسكت و قد تكلموا" فلمّا تكلم المبتدعة ببدعتهم، قال أئمة السلف قولتهم التي تدّل على التحقيق، كما استخدموا لفظة الذات في الاستواء و ما شابه ذلك. **فافهم هذا فإنّه أمر مهم.**

قال المصنف –رحمه الله–:" مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ."هذا رُوي مرفوعا و لكنّه لا يصح، لكنه جاء عن جملة من الصحابة –رضي الله عنهم و أرضاهم–و قد اختلف في ضبطه، منه "**بدأ**" بالهمز المحقق بهمز القطع، و ضبط أيضا بالإبدال للهمز منه "**بدأ**"، و هذا الذي كان يرجحه شيخنا العلامة النجمي–رحمه الله تعالى و غفر له–و يؤكد عليه، و يقول لأنه يدل على ما أراده السلف –رحمهم الله–من هذا اللفظ، فإنهم يريدون إثبات أن الله تعالى تكلم بهذا الكلام على الحقيقة، أما على قول "بدأ" فإنه قد يكون ابتدائه منه و ليس هو الذي تكلم به. **و إليه يعود** أي يرجع إليه،

وفسر هذا بحديث حذيفة بن اليمان–رضي الله عنه و أرضاه–: ((و إنه يسرى على كتاب الله بليلة حتى لا يبقى منه في الصدور آية)).

قال : وَهُوَ سُوَرٌ مُحْكَمَاتٌ، و هذه أمور مجمع عليها، ما سيذكره المصنف مجمع عليه بين علماء القراءات و علماء الرسم و علماء الفواصل، الذين يسمى علمهم بعلم "عدّ الآيات"، و الشاطبي– رحمه الله تعالى– صاحب "حرز الأماني"له نظم في الفواصل الذي هو العدد، عدد الآيات، سماه "ناظمة الزهر"و له كتاب في رسم المصحف، منظومة في رسم المصحف، سماها بـ "عقيلة أتراب القصائد"و كلّها تدور في علم القرآن، و عليها شروح و كلها تقرر هذا المجمع عليه، أن هذا القرآن الذي هو السور المحكمات و الآيات البينات و الحروف و الكلمات، هذا كله كلام الرب– جل و علا– مَنْ قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَات ، ما المراد بأعربه ؟ ليس المراد بإعرابه هنا، الاصطلاح القائم عند النحويين، بمعنى أنه يقول هذا فاعل، و هذا مفعول به، وهذا مبتدأ، وهذا خبر،لا، إنما المراد **إقامته**، بمعنى أنّه يقيمه في جهة أدائه كما أُنزل على نبينا محمد –صلى الله عليه وسلّم– ، قد كان النبيّ –عليه الصلاة والسلام– يقول لأصحابه : ((من أراد أن يقرأ القرآن غضّا طريّا كما أُنزل فليقرأه على ابن أمّ عبد)) – يعني ابن مسعود– الصحابة –رضي الله عنهم– كانوا يحرصون على هذا، ولهذا العلماء –رحمهم الله– اعتنّوا ، بعدّ السور، بعدّ الآيات ،وعدّ الحروف، كلّ هذا موجود في كتبهم –رحمهم الله تعالى –،و بيّنوا حروف هذا القرآن، وبيّنوا ما أنزله الله –تبارك وتعالى–.

المصنف قال: مَنْ قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ، فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وسيذكر الأدلة الدّالة على هذا.

لَهُ أَوَّلٌ وَآخِر، أوّله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ على قول ،أو﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ على قول ثانٍ، وآخره ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاس ﴾ هذه السورة

قال: وَأَجْزَاءٌ ، المراد بالأجزاء هنا الأجزاء الإصطلاحية التي اصطلح عليها القراء.

وَأَبْعَاضٌ،

مَتْلُوٌ بِالْأَلْسِنَةِ، يعني حيثما تُلي فإنّ تلاوته بهذه الألسن بعربيها و أعجميّها على ما أنزل،هذا كلّه هو القرآن،

مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ،﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾

مَسْمُوعٌ بِالْآذَانِ، ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ﴾

مَكْتُوبٌ فِي الْمَصَاحِفِ، وعند طائفة من أهل العلم يحَسِّنون (من سرّه أن يحبّ الله ورسوله فليقرأ في المصحف) والحديث يحسنّه الشيخ: ناصر في صحيح الجامع،

قال: فِيهِ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾

وَخَاصٌّ وَعَامٌّ ، وكلّ هذا يعلم بصياغ لغة العرب فإنّ العرب لهم ألفاظ يستعملونها في الخاص ،لهم ألفاظ في الصيغ يستعملونها في العام،وكذلك

وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ وهو الإنشاء .

قال –رحمه الله– مستدّلا على هذا:وقوله تعالى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت:٤٢) فهذا القرآن لا يأتيه باطلٌ ، لا من بين يديه ولا من خلفه ،وتأمل أنّ هذا جاء في سورة فصلت التي قال الله تبارك وتعالى فيها عن المشركين : ﴿وقالوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾،هذا القرآن برّأه الله–جلّ جلاله– من كلّما وصفه به الكفرة ،والمشركون، والملحدّون،من السّحر ،والشعر ، والكهانة ، والكذب،أساطير الأولين، وما أشبه ذلك، كلّه برأه الله–تبارك وتعالى– من هذا الباطل،فلا يأتيه الباطل،ليس سحّرا ،ولا شعرا، ولا كِهانة ،ولا

قول البشر ،ولا أساطير الأوّلين،ولا أساطير اكتتبها،بل ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾.

قال: وَقَوْلُهُ تَعَالَى﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ **الإسراء:٨٨**

فلو اجتمع كلّ من بأقطارها، إنسا وجنّا يريدون أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ولا يستطعون إلى ذلك سبيلا لأنّهم لا يقدرون عليه،لا كما تقول المعتزلة بأنّهم صرفوا عن الإتيان بمثله ويسمّون هذا مسألة الصرفة،فأنّ هذا قول باطل،و ضلال مبين،وردّ لكلام الله وكلام رسوله،فأنّهم لم يُعجَزوا أو يَعْجِزوا عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن إلّا لأنّ الله –سبحانه وتعالى– صرفه عنهم،وما فائدة هذا التحديّ إذن؟ فهم لا يستطعون أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴿ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾،فالله هو الذي أنزل القرآن ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ فالربّ –جلّ جلاله–أنزل هذا الكتاب و حفظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْر وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

قال المصنف: وَهَذَا هُو الْكِتَابُ الْعَرَبِيُّ الَّذِي قَالَ فِيهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ سبأ: ٣١ وَقَالَ بَعْضُهُم﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ المدثر:٢٥ فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَه ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ اَلمدثر٢٦ .وَقَال بَعْضُهُمْ هُوَ شِعْرٌ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْر وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ يس: ٦٩ فَلَمَّا نَفَى اَللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ شِعْرٌ، وَأَثْبَتَهُ قُرْآنًا، لَمْ يَبْقِ شُبْهَةً لِذِي لُبٍّ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ هَذَا الْكِتَابُ الْعَرَبِيُّ،

اَلَّذِي هُوَ كَلِمَاتٌ وَحُرُوفٌ وَآيَاتٌ لِأَنَّ مَا لَيْسَ كَذَلِكَ لَا يَقُولُ أَحَدٌ إِنَّهُ شِعْرٌ .

لا يزال المصنف أيضا يبيّن ما وصف الله به كتابه، فإنّ هذا القرآن موصوف بصفات عظيمة، وصفه الله–جلّ وعلا– بأوصاف جليلة القدر في كتابه، وكذلك وصفه النبيّ–عليه الصلاة

والسلام– فهذا الكتاب هو الكتاب العربي الذي قال الله جل وعلا فيه ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ وكما قال جلّ جلاله في كتابه الكريم ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ فهذا الكتاب– الكتاب العربي– هو الذي قال فيه الذين كفروا﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ فانتفوا من الإيمان بهذا القرآن وكفروا به،و لم يؤمنوا به ،وهو الذي قالوا فيه أيضا ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ كما قص الله عنهم ذلك، قد قيل أنّها نزلت في الوليد، لمّا جاءه المشركون فقالوا له أن يقول قولا في هذا القرآن، فَقَالَ اللَّهُ –سُبْحَانَهُ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ إلى آخر الآيات﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴾ فمن زعم أنّه قول البشر فقد وعده الله بسقر.

قال –رحمه الله– : وَقَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ شِعْرٌ، وهذا الاختلاف بينهم، والاضطراب، و التذبذب ،والتناقض، وعدم الاتفاق على كلمة واحدة في القرآن، ممّا يدلّ على شدّة اختلافهم واضطرابهم وأنّهم ليسوا على شيء، فأولئك يقولون شعر، وآخرون يقولون سحر، وآخرون يقولون كهانة، و آخرون يقولون قول البشر، وهم قبيلة واحدة، كلّ هذه الأقوال كانت مشهورة في قريش.... ولهذا قال الله –جلّ وعلا –عندما قالوا شعر قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ هؤلاء يعرفون الشعر،و يعرفون عَروضه وقوافيه، ورَوِيَّه ،و يعرفون قواعده، وأوزانه ويعلمون أنّ هذا القرآن ليس على سَنن الشعراء، ولا على طرقهم،و أنّه قد أعجز البلغاء والشعراء ،وكلّهم اتجه إلى اتجاه،هذا ممّا يدلّ على باطلهم كما قلت لك.

قال المصنف: فَلَمَّا نَفَى اَللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ شِعْرٌ، وَأَثْبَتَهُ قُرْآنًا، لَمْ يَبْقَ شُبْهَةٌ لِذِي لُبٍّ –يعني عقل– فِي أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ هَذَا الْكِتَابُ الْعَرَبِيُّ اَلَّذِي هُوَ كَلِمَاتٌ وَحُرُوفٌ وَآيَاتٌ

الآيات تسمى عند العلماء بالفواصل، يسمى علم الفواصل، أو العدد،لأنّ ما ليس كذلك لا يقول أحد إنّه شعر،هذا الطريق الذي جاء به القرآن ،الذي أعجز العرب كلّهم، وأعجز قبائلهم، وأعجز

لغاتهم،وكانت قريش هي أفصح العرب ولا ينافسها على فصاحتها أحد أبدا، وقد جمعت كلام العرب الفصيح من كل قبيلة بسبب أنهم يفدون إليها.

قال المصنف رحمه الله: "وقال عز وجل: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة ٢٣ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَحَدَّاهُمْ بِالْإِتْيَانِ بِمِثْلِ مَا لَا يُدْرَى مَا هُوَ، وَلَا يُعْقَلُ.

هذا فيه الردّ على المعتزلة، وقولهم هذا من أفسد القول، فإن الرب تبارك وتعالى تحداهم بالقرآن، تحداهم بسورة، تحداهم بعشر سور، تحداهم بآية، ومع هذا لم يستطيعوا أن يأتوا بشيء مثله، لا لأنّهم صُرفوا عنه، ولكن لأنهم عجزوا عن أن يأتوا بهذا القرآن الذي نزل بلغتهم وبالحروف التي يتكلمون بها، ولهذا كان لهذا القرآن سلطان على قلوبهم حتى جاء في صحيح البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم رضي الله عنه –وهو الذي روى سورة الطور وسمعها من النبي عليه الصلاة والسلام وهو كافر– قال فلما سمعت قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾الطور٣٥، قال كاد قلبي أن يطير.

قال رحمه الله: وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَحَدَّاهُمْ بِالْإِتْيَانِ بِمِثْلِ مَا لَا يُدْرَى مَا هُوَ، وَلَا يُعْقَلُ.

لأنّه بحروفهم وكلماتهم "**وقال تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ يونس الآية ١٥ ، وهذا أيضا، فيه رد عليهم من جهة قول الأشاعرة بأنه أتى به من جهة نفسه، وعبر به عن كلام الله تعالى، والله جل وعلى عبَّرعن نبيه –عليه الصلاة والسلام– أنه لا يستطيع أن يأتي به من تلقاء نفسه، ولهذا لما قال المشركون أنه قول النبي عليه الصلاة والسلام، كما قال جل وعلا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ الطور٣٣ قال الله عز وجل: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور الآية ٣٤]، هذا النبي عليه الصلاة والسلام منكم، من أبنائكم، ويتكلم**

بلسانكم، تقولون تقوله؟ تقولون جاء به من عنده؟ فلم لا تتقولون أنتم؟ لم لا تأتون بمثل هذا القرآن؟ لما لا تتكلمون بكلام من مثله؟﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾الطور ٣٣-٣٤

قال: فَأَثْبَتَ أَنَّ اَلْقُرْآنَ هُوَ اَلْآيَاتُ اَلَّتِي تُتْلَى هذا هو القرآن و**قال تعالى:** ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾ **[العنكبوت الآية ٤٩]**". هذا القرآن هو الذي تلاه النبي عليه الصلاة والسلام، وجمعه الله في صدره، ﴿**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ**﴾"الأعلى الآية ٦"، وقرأه عنه أصحابه، وحَوته صدورهم، وهوالذي تحويه صدور أهل العلم:

كَلَّمَ مُوسَى عَبْدَهُ تَكْلِيمَا * وَلَمْ يَزَلْ بِخَلْقِهِ عَلِيمَا**

جَلَّتْ صِفَاتُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ * عَنْ وَصْفِهَا بِالْخَلْقِ وَالحِدْثَانِ**

فَالصَّوْتُ وَالأَلْحَانُ صَوْتُ الْقَارِي * لَكِنَّمَا الْمَتْلُوُّ قَولُ الْبَارِي**

مَا قَالَهُ لَا يَقْبَلُ التَّبْدِيلَا * كَلَّا، وَلَا أَصْدَقُ مِنْهُ قِيلَا**

كَذَا بالأبصار إِلَيْهِ يُنْظَرُ * وَبِالأَيَادِي خَطُّهُ يُسَطَّرُ**

إلى آخر ما قاله الشيخ حافظ رحمه الله.

"**وقال تعالى:** ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾ [الواقعة ٧٧-٧٩] بَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ" لأنّه قال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة ٧٥] يعني أُقسم بمواقع النجوم، أُقسم بمواقع النجوم، أقسم بمواقع النجوم، لأن "لا" صلة زائدة لتوكيد المعنى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة ٧٧] هذا من أوصافه: ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة ٧٨-٧٩]، وهم الملائكة، بعد أن أقسم على ذلك "**وقال تعالى:** ﴿كهيعص﴾ [مريم ١]، **وقال:** ﴿حم عسق﴾ [الشورى ١-٢]، -وهذه حروف مقطعة - وَافْتَتَحَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ سُورَةً بِالْحُرُوفِ

الْمُقَطَّعَةِ.". وما ذكره المصنف رحمه الله من دلالة القرآن على أنه كلام الرب جل وعلا، حروفه، وآياته وسوره.

" وَقَالَ اَلنَّبِيُّ –صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ((مَنْ قَرَأَ اَلْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ، فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ، فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ)) حديث صحِيح.. هكذا قال المصنف رحمه الله تعالى، وقد تعقبه الشيخ الألباني عليه رحمة الله ومغفرته بمبحث طويل، وأنه لم يقف عليه، وقال في الضعيفة في أربع وثمانين خمس مئة وستة آلاف: **أورد بن قدامة المقدسي هذا الحديث في رسالته لمعة الاعتقاد ص١٩** إلى آخر كلامه، ثم ساق لفظه وذكر كلام السيوطي، وأنه لم يقف عليه بهذا اللفظ. وهذا اللفظ كما ذكر الشيخ رحمه الله تعالى، لكن قد جاء عند الترمذي عنه عليه الصلاة والسلام قال: ((مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ)) وهو في السلسلة الصحيحة.

والمصنف أراد إثبات الحرف، وله كتاب مستقل في هذا الباب في إثبات أن القرآن حروف وأصوات، وهي مطبوعة. وقد جاء في صحيح الإمام مسلم من حديث أبن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه خواتيم سورة البقرة أخبره جبريل يعني: ((كان جبريل قاعدا عند النبي عليه الصلاة والسلام، فسمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل إلى الأرض قط إلا اليوم، فسلم وقال: "أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ : فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، لَمْ تَقْرَأْ بحرف مِنْهُمَا إِلا أُعْطِيتَه))هذا وقوله بحرف.

قال: "وقال عليه الصلاة والسلام ((اقْرَءُوا الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَ حروفه إِقَامَةَ السهم لا يجاوز تراقيهم يَتَعَجَّلُونَهُ أجره، وَلا يَتَأَجَّلُونَهُ)). وهذا الحديث رواه أحمد وأبو داوود وله شواهد، قد صححه العلامة الألباني عليه رحمة الله في السلسلة الصحيحة، وهو ظاهر لما أراده المصنف من إثبات الحروف.

قال: وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَر –رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا– (إِعْرَابُ الْقُرْآنِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ حِفْظِ بَعْضِ حُرُوفِه) .وهذا الأثر فيه جابر الجعفي، وقد رواه بن الأنباري وغيره، ابن الأنباري في كتاب "الوقف والابتداء"، ورواه غيره من نفس الطريق، والعلماء كما ذكرت لكم، يذكرون مثل هذه الآثار استنادا إلى ما دل عليه الأصل الوارد .

قال: وَقَالَ عَلَيٌّ –رَضِي الله عَنْه– (مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّه) وهذا الأثر جاء عن بن مسعود وجاء عن إبراهيم النخعي وجاء عن بن المبارك وكل هذه الآثار عند بن أبي شيبة وعبد الرزاق واللالكائي والطبري وصححه شيخ الإسلام من قول ابن مسعود في كتابه التسعينية، صححه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه التسعينية عن ابن مسعود رضي الله عنه،وأما اثر علي فلا إسناد له قائم.

قال رحمه الله: وَاتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عَدِّ سُوَرِ الْقُرْآنِ، وَآيَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَحُرُوفِهِ. اتفق المسلمون على أن هذه الكلمات، وهذه السور، هذه الآيات وهذه الحروف، وعندهم علم مستقل يسمى علم العدد، وعلم الفواصل، وهذا العلم من العلوم التي كتبوا فيها : كتب فيها أبو عمرو الداني، ونظم فيها الشاطبي، وأصحاب علوم القرآن يعلمون ذلك واتفق المسلمون على عد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه.

قال :

وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنْ الْقُرْآنِ سُورَةً أَوْ آيَةً، أَوْ كَلِمَةً، أَوْ حَرْفًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَفِي هَذَا حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى أَنَّهُ حُرُوفٌ .

إذن المصنف منذ بدأ، يريد أن يثبت الحرف الذي أنكرته الأشاعرة و الصوت، كما تقدم معنا في حديث النوّاس بن سمعان.وقد نقل الإجماع على ما ذكره المصنف بقوله: وَلَا خِلَافَ، غير واحد من أهل العلم ، وقد نقله أبو نصر السّزي في رسالته إلى أهل زبيد، و نقله القاضي عياض المالكي عن أبي سعيد خلف بن عمر المعروف ب :معلّم الفقهاء، في "ترتيب المدارك" ،ونقل هذا الإجماع من لا يحصيهم إلّا الله –تبارك وتعالى– على أنّ من أنكر من القرآن –ما ذكره المصنف من آياته،أو سوره،أو حروفه– التي اتفق عليها ،وأجمع عليها القراء، فإنّه كافر بالله العظيم، وهذا ما ذكره المصنف –رحمه الله تعالى – فيما يتعلق بمسألة القرآن.

ثمّ انتقل رحمه الله تعالى إلى مسألة الرؤية،وهي رؤية الله تعالى في يوم القيامة، ورؤيته –جلّ جلاله– في الجنّة،وهي ألذّ النّعيم ،و أعظم النّعيم، وقد قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي –

رحمه الله تعالى وغفر له – : " لو لم يؤمن محمد بن إدريس بأنّه يرى ربّه ما عبده" وهذا من أنفس الآثار المرويّة في هذا الباب لأنّه يدلّك على تعظيم الأئمة لهذه المسألة، وأنّها مسألة متقررّة في نفوسهم،لا يجادلون فيها،بل يؤمنون بها إيمانا صادقا .

قال المصنف –رحمه الله– :فصل

رُؤيَة الْمُؤْمِنُونَ لرَبَّهُمْ يومَ القيَامَة

وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ في الآخِرةِ بِأَبْصَارِهِمْ وَيَزُورُونَهُ، وَيُكَلِّمُهُمْ، وَيُكَلِّمُونَهُ قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ القيامة: ٢٢–٢٣ وقَالَ تَعَالَى ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ المطففين:١٥ فَلَمَّا حَجَبَ أُولَئِكَ فِي حَالِ اَلسُّخْط–أو السّخَط، دَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ فِي حَالِ الرضا،وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ يْنَهُمَا فَرْقٌ وَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ((إِنَّكُمْ ستَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَر لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ)) حَدِيثٌ صَحِيحٌ متفق عليهَ وَهَذَا تَشْبِيهٌ لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ لَا لِلْمَرْئِيِّ بِالْمَرْئِيِّ، فَإِنَّ اَللَّهَ لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ .

وقلنا لكم بأنّ هذا الفصل الذي عقده المصنف –رحمه الله تعالى– في مسألة الرؤية وقد أجمع عليه جميع الرّسل ،وأتباع الرّسل، والأمم من أتباع الرّسل –عليهم الصلاة و السلام–،وأجمعت عليه الأمّة كما نصّ على هذا غير واحد من أهل العلم،كأبي عمر بن عبد البرّ وشيخ الإسلام و غيرهم.في إثبات رؤية الله تعالى ،و سيأتي الكلام على ما ذكره المصنف من النّصوص الدّالة عليه.

وكنّا قد وعدنا بأنّا نتكلم على **قوله** : وَيَزُورُونَهُ في باب الرؤية ،وهذا جاء في حديث أبي هريرة قال :أنّ النبيّ –صلى الله عليه وسلّم – قال: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوا فِيهَا نَزَلُوا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ ، ثم يُؤْذَنُ لَهُمْ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا ، فَيَزُورُنَ رَبِّهُمْ". وهذا الحديث رواه ابن ماجة

والترمذّي و قال غريب و الحديث ضعفّه العلامة الألباني –عليه رحمة الله –وغيره من أهل العلم ،والترمذّي –رحمه الله–عندما قال غريب هذا دليل على تضعيفه له.

قال: وَالْمُؤْمِنُونَ ،هذا فيه دليل على ترجيح المصنف–رحمه الله تعالى– إلى أنّ الرؤية مختصة بالمؤمنين؛ والمسألة فيها ثلاثة أقوال ،ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالته إلى أهل البحرين .

قال: يَرَوْنَ رَبَّهُمْ في الآخِرةِ بِأَبْصَارِهِمْ كما جاء في الصحيحين نحو ذلك يرونه عِيانا

و أنّه يرى بلا إنكار ** في جنّة الفردوس للأبرار**

رؤية حقّ ليس يمترونها ***كالشمس صحواّ لا سحاب دونها

قال: وَيُكَلِّمُهُمْ، وَيُكَلِّمُونَهُ وهذا ثابت بنصوص الكتاب والسنّة وإجماع أهل العلم .

قال اَللَّهُ تَعَالَى﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾

فالأولى ناَضرة : من النّضرة

والثانية ناظرة من النَّظَرْ ولذلك عدّيت ب "إلى "، فإذا عدّيت ناظِرة ب: "**إلى**" فإنّما تدلّ على رؤية العين .

وقَالَ تَعَالَى ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾: واحتجّ العلماء كمالك، والشّافعي وغيرهم، بمفهوم المخالفة لهذه الآية ، وأنّ الله تبارك وتعالى حين حجب أعدائه، جعل الرّؤية لأوليائه ؛ فلمّا حجب الأعداء جعل الرّؤية للأولياء.

قال المصنّف رحمه الله تعالى مبيّنا ذلك: فَلَمَّا حَجَبَ أُولَئِكَ فِي حَالِ اَلسُّخْط–أو السّخَط–، دَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ فِي حَالِ الرضا ؛ فالربّ تبارك وتعالى يراه المؤمنون ؛ وهذا مستفاد من

كلام الإمام مالك، والشّافعي، وغيرهم من أهل العلم من أئمة السّلف. وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ، ما الفرق إذا كان لا يُرى بين هؤلاء الّذين حُجبوا، الّذين هم الكفّار ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**﴾، وبين غيرهم.

وَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم–"((**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَر لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**)) حَدِيثٌ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْه

و أحاديث الرّؤية ؛ كما نصّ على هذا طائفة من أهل العلم متواترة ؛ كما نصّ عليه أبو عمر ابن عبد البرّ ، كما نصّ عليه ابن تيمية ، كما نصّ عليه الحافظ ابن القيّم ، وغيرهم من أهل العلم . فالأحاديث في الرّؤية كثيرة جدّا تبلغ حدّ التواتر ، وقد رواها أكثر من عشرين صحابيّا وهي مذكورة في كتب السنّة .

قال المصنّف رحمه الله ": وَهَذَا تَشْبِيهٌ لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ لَا لِلْمَرْئِيِّ بِالْمَرْئِيِّ

يعني أنّهم يرون ربّهم بالوضوح وعدم التزاحم ، كما يرى أهل الأرض القمر ليلة البدر ، هل يتزاحمون؟ هل يغيب عن أحد منهم إذا ظهر؟ لا.

قال : فَإِنَّ اَللَّهَ لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ.

هذا هو المعنى ، و أجمع السلف على هذا كلّه ، على هذه الرّؤية وعلى هذا التّأويل ، وعلى هذا التّفسير ، أنّ المراد في التّشبيه هنا ، تشبيه الرّؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي وهذا معلوم ، ولهذا قال (**لَا تُضَامُّونَ–أو لا تضامون أو لا تضارّون– فِي رُؤْيَتِهِ**) هذا ما ذكره المصنّف – رحمه الله تعالى– في هذا الفصل من متعلّق الكلام على الرّؤية وأدلّته ظاهرة .

انتهى الدرس السادس

وقد انتهى بنا المقام إلى كلام المصنّف رحمنا الله وإيّاه عن رؤية الله تبارك وتعالى ثمّ ذكر مسألة مهمّة وفصلا عظيما وأصلا كبيرا وركنا من أركان الإيمان الستّة التي اتفقت عليها دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام ألا وهو الإيمان بالقضاء والقدر.

قال رحمه الله تعالى: فصل: القضاء والقدر، ومن صفات الله تعالى أنه الفَعَّال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، أراد ما العالم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعًا لأطاعوه، خلق الخلق وأفعالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، قال الله تعالى:]لا يسأل عما يفعل وهم يسألون[[سورة الأنبياء: ٢٣] قال الله تعالى:]إنا كل شيء خلقناه بقدر[[سورة القمر: ٤٩] وقال تعالى:]وخلق كل شيء فقدره تقديرًا[[سورة الفرقان: ٢] وقال تعالى:]ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها[[سورة الحديد: ٢٢]. وقال تعالى:]فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا[[سورة الأنعام: ١٢٥] روى ابن عمر أن جبريل –عليه السلام– قال للنبي –صلى الله عليه وسلم– : ما الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره". فقال جبريل: صدقت. رواه مسلم.

وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "آمنت بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره" ومن دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم– الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر: "وقني شر ما قضيت"

هذا مبتدأ ما ذكره المصنّف رحمه الله تعالى في مسألة القدر. والقضاء والقدر لفظان مفترقان من جهة اللفظ إلا أن العلماء رحمهم الله تعالى اختلفوا في الفرق بين القضاء والقدر فمنهم من لم يفرّق

بين القضاء والقدر كما هو اختيار شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيّم عليه رحمة الله من جهة شرعية: من ناحية شرعية انه لا فرق بينهما ومن أهل العلم من فرّق فقال بأن القدر ما يسبق وقوع المقدَّر فإذا وقع المقدَّر وانقضى سمّي ذلك قضاء. وهذه المسألة فيها ما يربو على ستّة أقوال لأهل العلم رحمهم الله تعالى وظاهر الأمر هو التفريق لأننا نقول إنه لا يأتي لفظان مختلفان متغايران إلا وبينهما من الفرق ولو الشيء الدقيق اليسير وإن كان لفظ القدر من جهة الورود في الكتاب وفي السنّة وفي ألفاظ أهل العلم أكثر من لفظ القضاء. والقدر كما قال بعض السلف "سر الله في خلقه" وإن كنا لم نقف على إسناد لهذا الأثر من جهة من نُسب إليه حتى هذه الساعة ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ومن أجمع ما رُوي، وسيأتي بعد قليل، فإن القدر مأخوذ من التقدير كما هو معلوم ومن أحسن ما جاء في الكلام على القدر ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ورواه جمع من الأئمّة عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: القدر قدرة الله ومنكر القدر منكر للقدرة هكذا ذكر شيخ الإسلام رحمه الله عن الإمام أحمد وهكذا رواه جمع من أصحاب الإمام أحمد رحمه الله. ثمّ ذكر شيخ الإسلام بعد هذا الكلام كلاما للإمام ابن عقيل الحنبلي وقال بأنه استحسن هذا القول من الإمام أحمد وبأنه مما يدلّ على شدة فقهه إلا أنني ولله الحمد ظفرت بهذا الأثر لمن هو أعلى من الإمام أحمد سندا فقد روى الفريابي في كتاب القدر بسند صحيح عن زيد بن أسلم وهو شيخ الإمام مالك في التفسير وفي غيره وإن كان أكثر ما يرويه الإمام مالك في التفسير عن زيد بن أسلم هذا رحم الله الجميع. روى الفريابي في القدر بسند صحيح عن الإمام زيد بن أسلم هذه المقالة ألا وهي مقالة أن القدر قدرة الله ومنكر القدر منكر للقدرة. وهذا من الممكن أن يكون مما تتفق عليه كلمة العلماء أو أن يكون الإمام أحمد رحمه الله تعالى سمعه عن زيد بن أسلم ولم ينشر لإسناده وعلى كل حال فإن هذه الكلمة عظيمة وجليلة من أئمة السلف رحمهم الله تعالى.

المصنّف رحمه الله ذكر جملة من الأقوال في هذا الباب وقبل الدخول فيها والولوج يجب أن يُعلمَ أن فهم القدر يسير على من يسّره الله عليه وينبغي للمسلم فضلا عن طالب العلم أن يسلّم لله

تبارك وتعالى في جميع أفعاله فإن أوسع أبواب الضلال الاعتراض على أفعال الرّبّ تبارك وتعالى ولذلك قال الله جل جلاله: {لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون} والله تبارك وتعالى كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة.

والله تبارك وتعالى قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة كما جاء ذلك في الصحيحين وغيرهما، أما علمه بما يقع للعباد فهذا لا أول له لأنه من صفاته تبارك وتعالى والقدر له ثلاث مراتب هي أركانه التي لا يصح الإيمان إلا بها وهي التي جمعها الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في قوله:

علم كتابة مولانا مشيئته وخلقه وهو إيجاد وتكوين

يعني أنه فسر الخلق بالإيجاد والتكوين، العلم هو أول مراتب القدر وعلم الله جل وعلا سابقٌ الأشياء الأزلي كما يقوله بعض أهل العلم وإن كان هذا اللفظ مما يستعمله المتكلمون من الأشاعرة وغيرهم وعلم الله السابق للأشياء كلها فإن علمه صفة من صفاته ولهذا كان الشافعي رحمه الله تعالى يقول ناظروا القدرية بالعلم فإن أجابوا وإلا كفروا، وقوله بالعلم ليس المراد أن يكون المناظر عالما لأن هذا الشرط تحصيل حاصل موجود لابد وأن يكون المناظر عالما وإنما أراد الشافعي رحمه الله بهذا أن يناظر أهل القدر بعلم الله تعالى فإذا أقروا بأن الله علم الأشياء قبل حصولها وأن علمه أوليٌّ وصفة من صفاته فقد خصموا في هذه الحالة وإلا كفروا عياذا بالله

والمرتبة الثانية الكتابة وهي كتابته تبارك وتعالى للأشياء كلها قبل حصولها

والثالثة مشيئته لهذا المقدر قبل وقوعه

والرابعة خلقه وإيجاده لها

وهذا كله دلت عليه نصوص الكتاب والسنة والإجماع وكل هذا لا يخفى وهو داخل تحت قوله تعالى إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ [القمر ؟؟] وكما قال جلا وعلا وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا [الفرقان ؟] وكما قال جل وعلا وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ [الرعد ؟] إلى غيرها من النصوص الدالة على ذلك، إذا فهمت هذا فإنك ستفهم القدر فهما صحيحا من جهة أن الفعل والترك مقدران لله تبارك وتعالى يعني مقدران من جهة أن الله تبارك وتعالى قدرهما فإذا فعل العبد فعل بقدر الله تعالى وإذا ترك ترك بقدر الله تعالى من فهم هذا الموضع لن يشكل عليه شيء في القدر فمن آمن فهو الفاعل للإيمان وفعله للإيمان موافق لقدر الله ومن كفر فهو الفاعل للكفر وفعله للكفر موافق لقدر الله، كذلك من صلى وصام وزكى وحج وذكر وسبَّح وهلل أو غفل هذا يدل عليه قوله تعالى وهديناه النجدين جاء عن علي رضي الله عنه بسند صحيح أو غيره ذكره شيخنا العلامة الوادعي رحمه الله في الجامع الصحيح في القدر أنه قال هديناه النجدين قال الخير والشر، قال الخير والشر فالخير والشر مقدران لله تعالى قدر الله تبارك وتعالى فعل العبد وتركه فجميع الأفعال مقدرة ويدل على هذا ما جاء في الصحيحين في قصة طاعون عمواس أو عُموات لما استشار عمر رضي الله عنه الصحابة من المهاجرين والأنصار فاختلفوا في الأمر لما جاءه لما قرر رضي الله عنه أن يرجع وأن ينقلب بالصحابة رضي الله عنهم وبمن معه وأن لا يدخلو بلاد الشام قال أبو عبيدة عامر ابن الجراح رضي الله عنه أفرار من قدر الله يا أمير المؤمنين قال نفر من قدر الله إلى قدر الله ثم ضرب له مثلا للراعي إذا نزل أرضا فوجد أرضا مخصبةً أوأرضا مجذبةً فإن رعى في هذه رعى بقدر وإن رعى في هذه رعى بقدر حتى جاء عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه وأخبره بأنه قد سمع النبي صل الله عليه وسلم يأمر في الطاعون بأن من كان في كنف الطاعون لا يخرج منها ومن كان خارجا عنها أن لا يدخل فيها فإذا فهمت هذه القضية الأولى وهي مراتب القدر وأن كل شيء مقدر للعباد وأن العباد هم الفاعلون وهم التاركون وأن فعلهم وتركهم بتقدير الله تبارك وتعالى ومشيئته وإلا لم يكن هناك ثواب ولا عقاب إلى غير ذلك إذا فهمنا هذا فقد روى

الامام مسلم في صحيحه ومالك في موطأه عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صل الله عليه وسلم قال كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز هذا أيضا داخل في ما كنا فيه وفيما سبق بيانه من قصة عمر رضي الله عنه، ولن نطيل في ذكر أدلة هذه المراتب فهي ولله الحمد عندكم معلومة إلا أننا قد نذكر دليلا أو دليلين على كل مرتبة

قال الله تبارك وتعالى في مرتبة العلم والكتابة: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؟ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [الحج ؟؟]الله جلا وعلا جمع في هذه الآية بين العلم وبين الكتابة، وأما مسألة المشيئة فإن الله جل وعلا قال: وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ [التكوير ؟؟] وقال : وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا [السجدة ؟؟]وأماالخلق فقد ذكر المصنف رحمه الله شيئا من ذلك ومنها قوله تعالى : اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ [الزمر ؟؟]وقال: وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ [الصافات ؟؟]وروى البخاري في خلق أفعال العباد عن النبي صل الله عليه وسلم أنه قال: إن الله يصنع كل صانع وصنعته وهذا الحديث في السلسلة الصحيحة والأدلة على هذا كثيرة، قال المصنف رحمه الله نعلق على ما يحتاج الى تعليق من كلامه ومن صفاته ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد كما قال جل وعلا في سورة البروج: {فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ} [البروج: ١٦]، و "ما" هنا –هذه– اسم موصول بمعنى "الذي" فهو فعّال للذي يريد جل وعلا، لا يتخلّف عن إرادته شيء، قال: "لا يكون شيء إلا بإرادته" وكما قال تبارك وتعالى في ذلك: {وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة: ٢٥٣] لمّا ذكر اقتتال الخلق. قال: "ولا يخرج شيء عن مشيئته" لأن الله تعالى قال: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير : ٢٩]"وليس في العالم–كله علويه وسفليه– شيء يخرج عن تقديره، ولايصدر إلاعن تدبيره"وهذا هو ما سبق تقريره في أول الأمر لأن من فهم ما تقدّم لن يُشكل عليه شيء إن شاء الله، لأن الله تبارك وتعالى لا يخرج شيء عن تقديره، لماذا؟ لأنه قدّر مقادير الخلائق كلها. "ولا محيد –أي مهرب– عن القدر المقدور" فما قدّره الله جل وعلا كائن للعبد "ولا يتجاوز ما خُطّ في اللوح

المسطور" وهذه مرتبة الكتابة، فالله جل وعلا كتب مقادير الخلائق سبحانه وهذه الكتابة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع كما سبق، وقال تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الأنبياء: ١٠٥]، وقال تعالى: {مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ} [الأنعام: ٣٨]، وكما قال جل وعلا: {إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا} [الحديد: ٢٨]. "أراد ما العالَم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه" فكل أفعال العباد أرادها الله تبارك وتعالى، لكن هذه الإرادة منها ما هو إرادة كونية ومنها ما هو إرادة شرعية، فالإرادة الشرعية هذه هي المرادفة للمحبة أو المقارنة للمحبة، هذا ما أراده الله تبارك وتعالى وأحبه، وأما الكونية فهي إرادة الفعل وإن لم يكن محبوبا، فإن الله تبارك وتعالى قدّر هذا وقدّر هذا، وأراد هذا وأراد هذا، ولهذا الإرادتان تجتمعان في حق المطيع، فالمطيع أراد الله طاعته كونا وشرعا، وتنفرد الإرادة الكونية في حق العاصي، فالله أراده كونا لكن لم يُرده شرعا، فعلى كل حال هذه المسألة يذكرها أهل العلم ويطيلون في بيانها وهي ولله الحمد واضحة. قال: "خلق الخلق وأفعالهم" كما مر معنا في قوله: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: ٩٦] إلى آخر ما ذكرناه. قال: "ولوشاءأنيطيعوهجميعالأطاعوه"كما قال تعالى:{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا} [يونس: ٩٩]. ثم قال: "خلق الخلق وأفعالهم" كما تقدّم: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: ٩٦]، {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الزمر: ٦٢]، (إن الله يصنع كل صانع وصنعته). "وقدّر أرزاقهم وآجالهم" كما جاء ذلك في الصحيحين في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو شجاً في حلوق القدرية، ولهذا رُوِيَ ما رُوِيَ عن عمرو بن عبيد مما ذكره الدارقطني وغيره من أنه قال ولو قال ليَ الله هذا لقلت له ما على هذا أخذت علينا الميثاق، نسأل الله العافية؛ فذكر فيه الأرزاق والآجال والأعمال، يعني حديث عبد الله بن مسعود الذي هو: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ ...). قال: "يهديمنيشاءبحكمته " فالله جل وعلا يهدي من يشاء بحكمته وفضله ورحمته، يهدي من يشاء بفضله ويضل من يشاء بعدله، فالهداية فضل والغواية والضلالة عدل منه كما قال تبارك وتعالى

في كتابه الكريم: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى؟ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ} [التوبة: ١٠٥].

ثم ذكر المصنف جملة من الآيات الدالة على ما ساقه: "قال الله تعالى: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: ٢٣]" فإذا استحضر هذا العبد هذه المنزلة وأن الله تبارك وتعالى قد أرسل الرسل بما تحار فيه العقول لا بما تحيله العقول وأنه من جهة أفعاله تبارك وتعالى التي هي من صفاته والتي لا يحيط بها العباد فكيف يسألونه عن أفعاله جل وعلا؟ فإنه يسلم من هذا الباب {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: ٢٣] فهُم المسؤولون وأما الرب تبارك وتعالى فأفعاله كلها حكمة وكلها عدل {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} [الأنعام: ١١٥].

"وقال الله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: ٤٩]"، و "كل" هذه هي أصل وأمّ ألفاظ العموم، فلم يخرج شيء عن خلقه، فكل ما يفعله العباد خلق من خلق الله تعالى. "وقال تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: ٢]" وهذه أدلة القدر، ومنزلة الخلق هي آخر المنازل: علم، كتابة، مشيئة، خلق؛ فقبل أن يخلق هذه الأشياء هو عالم بها وكاتب لها ومريد لها جل وعلا.

وقال رحمه الله: "وقال تعالى: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا} [الحديد: ٢٢]"وهذه منزلة الكتابة، فكل أفعال العباد مكتوبة مسطورة مزبورة، والزَّبر هو الكتابة، فهذا كله مكتوب. "وقال تعالى: {فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ} [الأنعام: ١٢٥]"هذه هي الإرادة التي بيّنها الله تبارك وتعالى في كتابه، فلا يكون شيء إلا بإرادته تبارك وتعالى.

ثم ذكر المصنف رحمه الله الدليل من السنة وهو حديث جبريل عليه السلام الذي خرّجه وانفرد به مسلم من حديث عمر واتّفق الشيخان عليه من حديث أبي هريرة وهو أصل هذه الأبواب ويسمّى بأمّ السنة كما نص عليه طائفة من أهل العلم لأن مرجع السنة إليه وما تضمنه حديث جبريل من

أمور الإيمان التي ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام هنا اتفقت عليها دعوة جميع الرسل وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهذا تقدم معنا بعضه ويأتي ما بقي عليه. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "آمنت بالقدر خيره وشره، حلوه ومره"، أما قوله: بالقدر خيره وشره، فهذا جاء في جملة من الأحاديث في الصحيحين وفي غيرهما أما لفظة "حلوه ومره" هذه فإنها لم تثبت، قد أخرج هذا الحديث الحاكم والديلمي في (مسند الفردوس) وأطال الكلام عليه السيوطي رحمه الله في كتابه: (جياد المسلسلات)، وهذا الحديث كما تقدم اوهذه اللفظة ضعيفة لم تثبت وإن كانت جاءت ايضا في بعض الطرق او لها بعض الطرق إلا أنها لا تسلم من كلام ولا مقام.

ثم ذكر المصنف رحمه الله تعالى الدليل الثالث من السنة فقال: [ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر –وهذا الحديث هو الحديث المشهور– قال: "وقني شر ما قضيت"]؛ يعني في ضمن هذا الدعاء أنه عليه الصلاة والسلام علمه أن يقول: وقني شر ما قضيت، فالخير والشر مقضيان، والله قضاهما لكن كما جاء في الحديث الآخر قوله عليه الصلاة والسلام: "والشر ليس إليك"، وكما قال الجن –وإنهم لأعقل ولا شك– وإنما لا نريد أن نقول كما قال الأول: ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا، لأن هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة من الصحابة: يعني من جن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم حين قالوا: {وإنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا}؛ تأدبوا في القول. فالنبي عليه الصلاة والسلام علم الحسن أن يقول هذا الدعاء وأن يقوله من بعدَه.

ثم قال المصنف رحمه الله: –وهذه المسألة مهمة جدا– قال: [ولا نجعل قضاء الله وقدر حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل، قال الله تعالى: {لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل}]؛ العباد إما أن يكونوا فاعلين أو يكونوا مفعولا بهم، وهذه المسألة –وهي مسألة مهمة جدا– سنجمل القول فيها، ومن لم يفهمها

الآن سيفهمها إن شاء الله تعالى مع التكرار، هي مسألة الاحتجاج بالقدر، والاحتجاج بالقدر له جهتان؛ لأن القدر: مصائب ومعايب، فأما المصائب فانه يجوز الاحتجاج بالقدر بل يجب الاحتجاج بالقدر فيها؛ فإذا نزلت المصيبة على الإنسان فيما لا يقدر عليه ولا يتمكن منه من مرض أو إعاقة أو موت أو فقر أو ما شابه ذلك –وقد بذل الأسباب– فإنه يحتج بالقدر والحالة هذه كما قال تبارك وتعالى: {ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها}، وقال جل وعلا: {ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه}، قال علقمة: هو العبد تنزل به المصيبة فيرضى ويسلم. ويدل على هذا أيضا ما جاء في الصحيحين في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك ولا تعجزنّ، ولا تقولن لشيء فعلته لو أني فعلت كذا لكان كذا ولكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل"؛ قل قدر الله قدر الله هذا خبر لمبتدأ محذوف: هذا قَدَرُ الله، ومن أهل العلم من يضبطها: قَدَّرَ الله، والأول هو الأرجح وهو الذي رجحه لنا شيخنا العلامة أحمد بن يحيى النجمي عليه رحمة الله ومغفرته وشيخنا العلامة عبدالله بن عقيل وحكى لي أن هذا هو ترجيح العلامة الشيخ ابن باز عليه رحمة الله ، والمسألة فيها قولان كما ذكرت لكم. وعلى كل حال المراد من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هنا: "ولكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل"؛ يعني هذا قدر الله؛ فإذا وقع المقدور فليس لك إلا هذا، فالمسلم يحتج بالقدر في جهة المصائب إذا نزلت به. أما كونه يكون عاصيا فاسقا ضالا منحرفا محاربا لله بالمعاصي بالليل والنهار ثم يقول هذا شيء قدره الله عليّ! هذه شبهة قالها المشركون الأولون، وليس له في القدر حجة بل الحجة عليه لأن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب، وقد قال الله عن المشركين الأولين: {سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا}؛ فلو كان في القدر حجة –من جهة هذه المعايب: الشرك والكفر والضلال والمعاصي– لكان للمشركين حجة في ما واقعوه

من الشرك. بهذه الجهة تُفهم هذه القضية التي ذكرها المصنف رحمه الله، فإنه قال: ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه. وهذه هي ما تسمى بمسألة المعايب فمن ترك الأوامر وفعل النواهي فقد وقع في المعايب، قال: [بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل، فياتي هذا الباب لا مدخل للإنسان {لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.[{

ثم قال المصنف رحمه الله: [ونعلم أن الله سبحانه وتعالى ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك وأنه لم يُجبر أحدا على معصية ولا اضطره إلى ترك طاعة، قال الله تعالى: {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها}، وقال الله تعالى: {فاتقوا الله ما استطتعم}، قال تعالى: {اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم}، فدل على أن للعبد فعلا وكسبا يُجزى على حسنه بالثواب وعلى سيئه بالعقاب وهو واقع بقضاء الله وقدره]. هذا الذي ذكره المصنف رحمه الله، وتلحظون أنه أطال نوعا ما في الكلام على القدر، لأن أهل العلم يُعنَون بالمسائل التي يشبّه فيها أهل البدع على أهل السنة، ويوقعونهم بسببها فيٍ أنواع من الضلال. وهذا الموضع موضع مهم.. .

وَنَعْلَمَ أَنَّ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ مَا أَمَرَ وَنَهَى إِلَّا اَلْمُسْتَطِيعَ لِلْفِعْلِ وَالتَّرْكِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُجْبِرْ أَحَدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَلَا اِضْطَرَّهُ إِلَى تَرْكِ طَاعَةٍ

قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى(لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا)(البقرة: من الآية٢٨٦)وَقَالَ اَللَّهُ تَعَالَى : (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)(التغابن: من الآية١٦)وَقَالَ تَعَالَى: (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْم)(غافر: من الآية١٧)

فَدَلَّ عَلَى أَنَّ لِلْعَبْدِ فِعْلاً وَكَسْبًا، يُجْزَى عَلَى حُسْنِهِ بِالثَّوَابِ، وَعَلَى سَيِّئِهِ بِالْعِقَابِ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِقَضَاءِ اَللَّهِ وَقَدَرِه

هذا الذي ذكره المصنف رحمه الله وتلحظون أنه أطال نوعا ما في مسالة الكلام على القدر لماذا ؟ لأن أهل العلم يعنون بالمسائل التي يشبه فيها أهل البدع على أهل السنة و يوقعونهم بسببها في أنواع من الضلال وهذا الموضع موضع مهم يقول المصنف رحمه الله : ونعلم

يعني معاشر أهل السنة، معاشر أهل الإسلام

أَنَّ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ وتعالى مَا أَمَرَ وَنَهَى إِلَّا اَلْمُسْتَطِيعَ لِلْفِعْلِ وَالتَّرْكِ.

لأن العبد هو الفاعل وله إرادة وقدرة قبل الفعل وأثناء الفعل وبعده ، هذا قول أهل السنة فهو الفاعل وهو المؤمن وهو الطائع وهو العاصي وهو الكافر

العبد هذا حاله وهو مأمور بالإيمان ومنهي عن الكفر مأمور بالطاعة ومنهي عن العصيان وهو مستطيع للفعل لهذين الأمرين ومقدر عليه هذا ومقدر عليه هذا ، ولهذا لما أمره الرب تبارك وتعالى ببعض الأوامر ربطها بالإستطاعة لأنه قد لا يستطيع من جهة العارض لا من جهة الخلق ، لا من جهة انه لا يستطيع لكونه إنسان ، لا

لكن لأنه يعرض له عارض فيمنعه من ذلك الفعل

لاحظ في قوله تعالى << " وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً >>

فشرط الله الإستطاعة وكذلك التقوى قال : << فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ >>

فالعبد قد لا يستطيع بعض الأفعال ولما جاء في البخاري في حديث عمران بن حصين؛ صلي قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب

فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك كله

وَأَنَّهُ لَمْ يُجْبِرْ أَحَدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَلَا اِضْطَرَّهُ إِلَى تَرْكِ طَاعَةٍ.

هذا شان العبد وهذان الأمران هما المفترق بين أهل السنة وأهل البدع لأن الجبرية يقولون بأن العبد مجبور على الأفعال وهو كالريشة في مهب الريح لا يقدر على شيء

وهؤلاء هم القدرية الجبرية غلاة المثبتة وقابلهم الطائفة الأخرى وهم قدرية النفاة القدرية المعتزلة قالوا بأن الإنسان منفرد بمشيئته وخلق أفعال نفسه وهذا كله ضلال

فالمصنف رحمه الله يرد هنا على الجبرية وعلى القدرية ، ثم إستدل بالآيات الدالة على هذا فقال :
قال الله تعالى << لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا >>

ولهذا جاءت النصوص الدالة في أفعال العبد على أنه كما ذكرت لكم على أنها مقرونة بالإستطاعة << لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا >>

قال: وقال تعالى << الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْم >>

الكسب هنا المراد به الفعل يعني فعل العبد كسبه ، ثم علق على ذلك بقوله رحمنا الله وإياه : فَدَلَّ عَلَى أَنَّ لِلْعَبْدِ فِعْلاً وَكَسْبًا، يُجْزَى عَلَى حُسْنِهِ بِالثَّوَابِ، وَعَلَى سَيِّئِهِ بِالْعِقَابِ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِقَضَاءِ اَللَّهِ وَقَدَرِه .

وهذا هو الموضع الثالث من المواضع الخمسة التي ذكرت لكم بأن المصنف رحمه الله تُعُقب فيها

وقد تعقبه هنا بعض الشراح لاستعماله لفظ الكسب ومن إنتقد عليه هذا إنما نظر إلى أن هذا اللفظ صار من شعار الأشاعرة وهم أهل بدع فإنهم يسمون فعل العبد كسبا ، وهذه هي مسألة الكسب التي أراد الأشاعرة أن يخرجوا من قدرية النفاة من المعتزلة ومن قول القدرية الغلاة المثبتة

وهم الجبرية فجاؤوا بمسألة الكسب وهي مسألة لا نريد حقيقة أن نتخوض فيها ، لم يفهمها هم ، وصلوا في تقريرها إلى إثني عشر قولا أو أكثر

فالمصنف إنتقد عليه بعض الشراح هذه اللفظة وقالوا : لو أنه لم يستعملها !؟

والجواب عن هذا من جهتين

الجهة الأولى : أن هذا أيضا من الألفاظ والمصطلحات التي وردت في كتاب الله تعالى كما قال جل وعلا هنا في هذه الآية التي ساقها المصنف << بمَا كَسَبَتْ >> وكما قال جل وعلا << لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ >>

والجهة الثانية : أنه قد استعملت هذه اللفظة عند طوائف من أهل العلم قبل ابن قدامة المقدسي رحمه الله أو بعده أضبط بعده وإستحظرت وجها ثالثا : وهو أن المصنف رحمه الله لم يفرد الكسب عن الفعل بل عطفه عليه مما يدل على أنه يقول بأن العبد هو الفاعل وزد على هذا أنه قال في أول الفقرة هذه أو في إبتدائها نسب الفعل إلى العبد وأنه هو المستطيع وأنه لم يجبر أحدا على المعصية ولا إضطره إليها

فهذه المسألة على أنه قد إنتقدها بعض الشراح إلا أنه فيما يظهر لا وجه لهذا الإنتقاد ولذلك لم ينتقدها الشيخ ابن عثيمين مثلا في شرحه ، شيخنا الفوزان في شرحه ، كذلك لما قرأت هذا المتن على الشيخ أحمد النجمي لم يرى فيها مأخذا وغير هؤلاء من أهل العلم رحمهم الله تعالى

انتهى الدرس السابع

فصل : الإيمان قول وعمل

والإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان قال الله تعالى : {*وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ* الدِّينَ *حُنَفَاءَ* وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} (البينة: ٥) فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب و إقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين .

وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:"الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق"فجعل القول والعمل من الإيمان وقال تعالى :{*فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا*} (التوبة: ١٢٤) وقال:{*لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا* } (الفتح: ٤) .

وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال برة أو خردلة أو ذرة من الإيمان فجعله متفاضلا".

هذا الفصل من الفصول المهمة ومن المسائل العظيمة التي خالف أهل السنة فيها طوائف من أهل البدع وفيما ذكره المصنف –رحمه الله– أو في جملة ما ذكره المصنف –رحمه الله تعالى– من هذه الأصول الخمسة التي تضمنتها حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة في هذه الأمور، رد على جميع طوائف البدع المخالفين لأهل السنة في هذا الباب.

والإيمان حقيقته أنه تصديق مع الإقرار، ومن عرفه بمطلق التصديق فقد تعقبه شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في كتاب "**الإيمان**"من خمسة عشر وجها. فلفظ الإيمان يدل على تصديق و إقرار والتزام، هذا حقيقته التي دلت عليها لغة العرب ودل عليها لغة الشرع، لغة القرآن ولغة السنة، فيما خصته أو قيدته من لغة العرب. والإيمان إذا عرفه أهل السنة والجماعة فإنهم يعرفونه بما يدخل فيه ولا يخرج عنه، فيعرفونه بما عرفه به المصنف ليدخلوا فيه قول القلب وعمله وعمل اللسان وعمل الجوارح، فالإيمان مركب من إيمان القلب، مما يدل على تعلق الإيمان بالقلب أن الله تعالى قال : {*وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ* فِي قُلُوبِكُمْ} (الحجرات:١٤) وقال :{*وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ* إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ }(الحجرات:٧) إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على تعلق الإيمان بالقلب،

وأما تعلقه باللسان فإن الله –جل جلاله– قال في كتابه الكريم :{ **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ**}(الحجرات:١٤) وكذلك فالله –جل وعلا– في هذه الآية نفى صدقهم بالإيمان ولم ينفي اعتبار نطق اللسان، ومما يدل على ذلك قوله –تبارك وتعالى–:{وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا}(البقرة:١٤) فالرب –تبارك وتعالى– إنما نفى صدقهم في هذا الأمر ولم ينفي اعتبار إيمان اللسان أو نطق اللسان. وفيما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر بن العاص أن النبي –عليه الصلاة و السلام– قال :"أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله"و هذا شامل لقول القلب وقول اللسان. وأما تعلقه بعمل الجوارح وأن الإيمان يطلق على عمل يطلق على عمل الجوارح، فإن الله تعالى قال في كتابه الكريم : {*وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ* إِيمَانَكُمْ} (البقرة: ١٤٣) والسلف مجمعون وقد دل على هذا السنة أيضا على أن المراد بقوله تعالى {*وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ* إِيمَانَكُمْ} (البقرة: ١٤٣) أن المراد صلاتكم، ولذلك بوب البخاري في صحيحه بقوله: "**باب قول الله تعالى: {*وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ* إِيمَانَكُمْ}** "

عن ابن عباس رضي الله عنهما : قدم وفد عبد القيس على رسول الله –صلى الله عليه وسلم – فقال : " مرحبا بالقوم غير خزايا ولا الندامى " فقال : يا رسول الله ، إن بيننا وبينك المشركين من مضر ، وإنا لا نصل إليك إلا في الشهر الحرام ، فحدثنا بجمل من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة ، وندعو به من وراءنا . قال: النبي عليه الصلاة و السلام آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع :أمركم بالإيمان بالله وهل تدرون ما الإيمان بالله ؟شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة و صوم رمضان وأن تعطوا من المغانم الخمس"،ففسر لهم النبي –صلى الله عليه و سلم– بهذا اللفظ "هل تدرون ما الإيمان؟" فسره لهم بشهادة لا إله إلا لله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، فهو عمل بالأركان فهذه هي الثلاثة الأمور التي يتركب منها الإيمان والإيمان مقرون بالعمل في نصوص كثيرة.

يقول المصنف–رحمه الله–: "**يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان**" مما يدل على ما تقدم، على القلب و اللسان و الجوارح، ما ذكره المصنف في حديث شعب الإيمان و سيأتي الكلام عليه. قال يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذا أمر مجمع عليه عند السلف؛ على أن الإيمان يزيد وينقص، وقد دل على ذلك نصوص الكتاب والسنة كما قال –جل و علا– في كتابه الكريم فيما

ذكره المصنف {*فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا*}(التوبة: ١٢٤) وقال-جل وعلا-:{*لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا* }(الفتح: ٤) والنبي -عليه الصلاة والسلام- قال: {أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا} حديث رواه أبو داوود، وبوب عليه "باب الدليل على زيادة الإيمان و نقصانه"والنبي -عليه الصلاة والسلام- لما ذكر النساء قال :"ما رأيت من ناقصات عقل و دين أذهب للب الرجل من إحداكن" وفسر نقصان دينهن عليه الصلاة والسلام بتركهن الصلاة فدلت هذه الأدلة على أن الإيمان يزيد وينقص، وأن سبب الزيادة الطاعة وأن سبب النقصان المعصية. فالإيمان يزيد وينقص كما بين ذلك النبي-عليه الصلاة و السلام- وعلق المصنف على الحديث بقوله :**فجعله متفاضلا،** "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال برة أو خردلة أو ذرة من إيمان " **فجعله متفاضلا.**

النبي -عليه الصلاة والسلام- جعل هذا الإيمان متفاضلًا، جعل هذا الإيمان؛ إيمان العبد متفاضلًا، وأهل السنة يقررون ذلك ويؤمنون به، والحديث الذي ذكره المصنف هو عند البخاري ومسلم في تفاوت أهل الإيمان برة أو خردلة أو ذرة من الإيمان، فالإيمان يزيد وينقص، هذا الذي يقوله أهل السنة ويقررونه ويعتقدونه. قال المصنف -رحمه الله - سائقا للأدلة على ذلك:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّـهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾﴿البينة : ٥﴾

وقد فسر لنا المصنف هذا الاستدلال قال: "**فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين** " فكل هذا المذكور في الآية الذي هو عبادة الله وحده مخلصًا له الدين حنفاء، إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة، هذا كله دين القيمة، فالدين الذي جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- مركبٌ من هذه الأمور. فمن زعم أن أحدها كاف عن الآخر فقد ضل سواء السبيل، وقد لا يسلم له إسلامه. قال المصنف: "**وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -: الإيمان** -الذي سبق بيانه- **بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله**" وهذا اللفظ لفظ البخاري واتفق الشيخان عليه بلفظ "بضعٌ وستون شعبة"، وهذه الرواية أصح، ومن أهل العلم من

يصحح اللفظين. فقال: بضع وسبعون شعبة فجعل الإيمان شعبًا وجعله مراتب كما أن الكفر أيضًا شعب ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾(التوبة : ٣٧)

وكذلك الإيمان وجعل له أعلى وأدنى فقال أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبةٌ من الإيمان فذكر المتعلَّقات الثلاث التي سبق بيانها فمتعلق اللسان قوله شهادة أن لا إله إلا الله ومتعلق القلب قوله والحياء شعبة من الإيمان ومتعلق الجوارح قوله إماطة الأذى عن الطريق، فهذه الشعب متعلقةٌ بالقلب وباللسان وبالجوارح.

البغوي –رحمه الله –يقول : اتفق الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان وقالوا إن الإيمان قول وعمل وعقيدة.

واللالكائي روى عن البخاري أنه لقي أكثر من ألف رجلٍ من الأنصار، قال فما رأيت أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص. ونقل غير واحد من الأئمة إجماع أهل السنة على ما تقدم بيانه من المصنف –رحمه الله –، وأن الإيمان قول وعمل ولما فرغ المصنف –رحمه الله –من هذا البيان عند أهل السنة والجماعة، ذكر جملةً من الأمور المتعلقة بالإيمان وهي أمور متعلقةٌ بالغيب فقال –رحمه الله–:

فصلٌ

الإيمان بكل ما أخبر به الرسول –صلى الله عليه وسلم –. ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي –صلى الله عليه وسلم –وصح به النقل عنه فيما شاهدناه أو غاب عنَّا نعلم أنه حقٌ وصدق وسواءٌ في ذلك ما عقلناه وجهلناه ولم نتطلع على حقيقة معناه مثل حديث الإسراء والمعراج وكان يقظةً لا منامًا فإن قريشًا أنكرته وأكبرته ولم تنكر المنامات ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى –عليه السلام –ليقبض روحه لطمه ففقع عينه فرجع إلى ربه فرد عليه عينه.

هذا السياق من المصنف –رحمه الله– بجملة من الغيبيات لنهتدي بها فيما عاداها، حتى لا

نتدخل بعقولنا وآرائنا وأهوائنا، لأن عقولنا القاصرة لا تبلغ كل المعلومات، ومن أنكر الغيب فقد أنكر جميع علوم العقول، أنكر جميع المعقولات، يعنى يلزمه كما يقول غير ذلك شيخ الإسلام بن تيمية- رحمه الله – وهناك أمور دنيوية مما يتعاطاها الناس لا تدرك إلا بالعقل ولا تبصر بالعين، فالغيب يجب الإيمان به. فيقول المصنف ويجب وجوبًا شرعيًا لازمًا متحتِمًا يلزم كل أحدٍ الإيمان بِكُل، وهذا لفظ عام يشمل جميع ما أخبر به النبي –صلى الله عليه وسلم –ولذلك قال لكل ما أخبر، وما هنا اسم موصل بمعنى الذي أي بالذي أخبر به وهي مفيدة في للعموم، أخبر به النبي –صلى الله عليه وسلم –وصح به النقل عنه، وقد قدمت لكم في أول الكتاب بأن هذه هي طريقة أئمة السنة أنهم لا يشترطون التواتر ولا يلتفتون إليه فيما سبيله العلم كما أنهم لا يشترطونه فيما سبيله العمل وهذا إجماعٌ منهم قطع به أبو المظفر السمعاني وقطع به غيره من أهل العلم كالأصبهاني وأئمة كثر، على أنه لا يشترط في الأمور الغيبية أن تكون منقولة بالتواتر، ولذلك قال وصح به النقل ولم يقل وتواتر به النقل. فإذا صح النقل من طريق العدول الثقات، كما مر معنا، فإن هذا كافٍ، فلهذا من قال بأن أحاديث الآحاد تفيد الظن، فقد أسقط هذه الغيبيات وم يقع له بها اليقين. هذا لازمٌ له، وأهل السنة يقررون أن الطريق الموصل إلى الإيمان بالغيبيات، هو صحة النقل عن النبي –صلى الله عليه وسلم-. قال وصح به النقل عنه، المهم أنك تنتبه إلى هذه المتون فيما تسوقه لك حتى لا تختلط عليك الأوراق فإنما وقع الخلط و الدخول في بعض أقوال المذاهب المخالفة لأهل السنة والجماعة من جهة عدم ضبط كلام أئمة السنة في هذا الباب. قال فيما شاهدناه أو غاب عنا؛ فجميع ما أخبرنا به مما رأته عيوننا أو لم تره، فغاب عنا مما سبيله أو سبيل العلم به النقل، إما من جهة الماضي كإخباره –تبارك وتعالى –وإخبار نبيه –عليه الصلاة والسلام – عن الأنبياء وأممهم وما لحقهم، ما لحق أممهم من العقوبات وأنواع الهلاك، وما منّ الله به من النجاة على الأنبياء وأتباعهم، فإن هذا من الغيب بالنسبة لنا، من أين أخذنا خبره؟ كيف صدقنا به؟ من جهة النقل الذي نقل إلينا عن طريق نبينا –عليه الصلاة والسلام-، وهذا أمر متفق عليه بين الأمم فضلاً عن المسلمين. فإن الأنبياء الذين يذكرهم أهل الإسلام في كتاب ربهم وفي سنة نبيهم –عليه الصلاة والسلام- هو نفس المحل ونفس اللفظ ونفس الأسماء التي يذكرها اليهود في كتبهم والنصارى عن أنبيائهم وعلمائهم، وهذا كله في العلم المأثور عنهم. ولهذا، وأنصحكم بقراءة ترجمة الشيخ عبد الله الترجمان الأندلسي وهو تقريبا في المئة السابعة صاحب

كتاب "تحفة الأريب في الرد على عبَّاد الصليب"، وقصصه من أحسن القصص القديمة فيما يتعلق بالرجوع إلى الإسلام بعد أن التقى بأحد مشائخه الكبار، وقد تردد على كثير من النصارى في بلاد الأندلس يتلقى عنهم العلم حتى لازم أحد علماء النصارى عشر سنيين، وحصلت بينهم مذاكرة في هذا الرجل الذي موجود اسمه في الإنجيل من هو! فتناظروا وتناقشوا ثم دخل على شيخه وكان قد هرم وكبر فحكى له ما دار بينهم، فقال وماذا قلت أنت؟ فقلت هو فلان، قال قد أحسنت. ثم أخذ ينقب قول هذا و قول هذا و قول هذا، قال ثم أخذته فسألته أين هو هذا، قال ألا تذكر عند أن أتيتني أوّل ما أتيتني وسألتك عن أهل الإسلام في الأندلس وما أشبهها وهل تقابلونهم، ثم أخبره بأنّ هذا الرجل هو نبي الإسلام، فدخل الإسلام. المهم الشاهد القصة بديعة والكتاب أيضاً من أنفس ما يكون في الرّد على النّصارى من جهة النقل والعقل، وهو مطبوع. وعلى كل حال لا نريد أن نخرج عن هذا، فإن الأمم كلها مجمعة على ما أخبر به من جهة الماضي إلا في بعض التفاصيل ولذلك يذكرون أصحاب الكهف ويذكرون نوحاً –عليه الصلاة و السلام–... إلخ وكذلك ما حصل أو ما يقع بعد هذا الماضي، أي بعدنا، من الأيام التي نستقبلها من جهة أشراط الساعة فإنه داخل في هذا الباب. قال نعلم أنه حقٌ وصدقٌ، كما قال تعالى: "والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون" الزُمرْ. وسواءٌ في ذلك ما عقلناه وجهلنا، يعني ما استطعنا أن نصل إليه وأن نعقله، أو جهلنا حقيقته وكيفيته، فإن هذا ملزمٌ لنا أن نُؤمن به ولم نطلع على حقيقة معناهْ من جهة الرجوع إلى هذه الكيفية التي أُخبرنا بها ونقلت إلينا فإننا نصدق بها في ما هو ماض و فيما هو مستقبل. ثم ضرب بعض الأمثلة قال: "**مثل الإسراء والمعراج**" والإسراء: السير من الليل، والمعراج: مأخوذ من الصّعود و العروج، كما قال تعالى سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. فالإسراء كان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والمعراج كان من المسجد الأقصى إلى السّماوات العلى. وهذا الإسراء والمعراج متى كان ؟ اتّفقو على أنّه كان بعد البعثة و قبل الهجرة، و إن كان قد وقع خلاف لا يلتفت إليه عبر عنه الحافظ في الفتح وغيرَهُ من أهلِ العلم بأنّه شاذ. فهذا هو الجانب المتفق عليه أنّه واقعٌ بعد البعثة لا قبلها وقبل الهجرة لا بعدها، والصحيح أنه وقع مرةً واحدةً ولم يتكرر وأيضاً كما نبه المصنف. الكلام على الإسراء والمعراج يطول لأنه أثبته الله في كتابه، والمراد هو الإشارة إلى ما يجب الإيمان به من هذا وما وقع فيه من التفاصيل لا تخفى على طالب العلم، ولو أن يأخذ

كتاب تفسير ابن كثير عند أول سورة الإسراءْ مع كتابه السيرة النبوية، فإن كتاب السّيرة النبوية موسوعة لا نظير لها، وكل من جاء ممّن يتكلم عن الطرق في السّيرة والأحاديث والأسانيد فإنّما هم عيالٌ على ابن كثير في كتابه السيرة النبوية. وهو أجل كتاب وأحسن كتاب في السيرة هكذا يقول شيخنا العلامة مقبل بن هادي الوادعي وهكذا يقول الشيخ ناصر الدّين الألباني –رحمه الله تعالى-. فهذا الكتاب كتاب عظيم حافل، ذكر فيه ابن كثير –رحمه الله– طرق أحاديث الإسراء كذلك ابن القيم في زاد المعاد تكلم عليها وأطال في المجلد الثالث في كتابه زاد المعاد. فالإسراء والمعراج فيه تفاصيل كثيرة أهمها ما ذكرت لك سابقا و ما يأتي، وأنه كان قال و كان يقظة لا مناما، فالإسراء والمعراج كان على الحقيقة يقظة، النبي –عليه الصلاة والسلام– مستيقظا، لم يكن نائما بل كان مستيقظا، والمصنف –رحمه الله– على من قال بأنه وقع مناما لأن هذا قول، و قيل بأنه وقع يقظة ومناما، وكل هذا لا يصح بل الصحيح وقع مرة واحدة ووقع يقظة. ومن جملة ما رد به المصنف على ما تقدم من الأقوال أنه قال فإن قريشا أنكرته أكبرته ولم تنكر المنامات، فالمنامات لا تنكرها لا قريش ولا غير قريش، ولو قال لهم بأنه رأى رأيا منام ما ناقشوه ولا جادلوه على هذا، لكن لما أخبرهم بأنه أسري به و في ليلة، و هل يكون الإنسان محتاجا إلى أن يقول بأنه رأى في المنام في تلك الليلة، رأيا المنام تستطيع أن ترى ما محله ساعات و ليال في دقائق أو لحظات، فإن قريشا أنكرته وأكبرته يعني أنكرت الإسراء والمعراج. وقد جاء في الصحيحين كلام النبي –عليه الصلاة والسلام لهم فرجع من رجع وفتن من فتن، نسأل الله العافية والسلامة، ورفع الله له بيت المقدس، فأخذ يصفه لهم، كما وأخبرهم بالعير التي تأتي إليهم، قال ولم تنكر المنامات. ثم ضرب مثالا آخر على ذلك فقال: "**ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى –عليه السلام– ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فرد عليه عينه**" هذا الموضع، ورحم الله المقدسي إذ ذكره، موضع محنة وفتنة للمعتزلة والعقلانيين والملاحدة والجهمية، كما عبر عنهم السلف، وهي فتنة قديمة حديثة، فقد أنكره طوائف من الملاحدة والزنادقة والجهمية كما عبر بذلك المازري وابن خزيمة وابن حبان، عبروا بهذه الألفاظ التي ذكرتها، ليست ثقيلة، وغيرهم من أهل العلم كثير لا يحصيهم إلا الله. أنكروا ذلك وقد رد عليهم ابن قتيبة الدِّينَوَرِي ورد عليهم ابن خزيمة المتوفى سنة ثلاثة مئة وإحدى عشر هـ، وابن حبان في صحيحه، بن خزيمة في كتاب التوحيد ابن حبان في صحيحه و جميع شراح كتب الحديث كالمازري و القاضي عياض و

النووي، وكم ستذكر من العلماء الذين ردوا عليهم في إنكارهم لهذا الحديث، ولازال إلى عصرنا الحديث يُنْكَر هذا، كما وقع ذلك من أبي رية العقلاني وقد رد عليه الشيخ العلامة عبد الرحمن ابن يحيى المعلمي –عليه رحمة الله– في كتابه "الأنوار الكاشفة "في هذه المسألة و في غيرها، وكذلك الغزالي المعاصر، محمد الغزالي، فإنه أنكر ذلك ورد عليه العلامة الشيخ ربيع ابن هادي المدخلي –حفظه الله– في كتابه "كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها". فأهل السنة يؤمنون بهذا ولا يدخلون فيه بآرائهم ولا بعقولهم، ولا مانع يمنع منه. وقد جاء ذلك في الصحيحين عنه –عليه الصلاة والسلام– في البخاري ومسلم و غيرهما، فإنه لما جاءه ملك الموت لما جاء إلى موسى –عليه الصلاة والسلام– ودخل عليه في داره فعل ما يفعله غيره من البشر فدافعه ولم يكن قاصدا لفقأِ عينه، وصكه فلما صكه ففقأ عينه و قد أتاه الله قوة وبسطة، وفقأ عينه فرجع شاكيا إلى ربه –تبارك وتعالى– فرد عليه سبحانه عينه وهذا لا مانع منه إلا عند من لم يسلم أمره لله –تبارك وتعالى–. فملك الموت جاء إلى موسى –عليه الصلاة والسلام– دخل عليه في داره كما يدخل عليه أي رجل. والكلام على هذا يطول، ومن رامه أيضا فليرجع إلى كتاب "الأنوار الكاشفة" للشيخ المعلمي –عليه رحمة الله–، أو "كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها و نقد بعض آرائه" للعلامة ربيع ابن هادي المدخلي، ناهيك عن أن هذا لم يخل منه كتاب من كتب الحديث و السنة التي تبنّت هذا الأمر .

قال رحمه الله: **و من ذلك** – أي –و مما سبق مما يجب الإيمان به مما هو غيب متعلق بالمستقبل لأنك تلحظ بالنسبة لنا ذكر (....) "**و من ذلك أشراط الساعة**" .و أشراط الساعة هي علاماتها و أماراتها، هذا مما اتفقت عليه كلمة أهل السنة أن الساعة –التي هي القيامة– لها أشراط لها علامات لها أمارات تقع قبلها، و الكلام فيها طويل منها أنهم يقسمون الأشراط إلى ثلاثة أقسام –بعضهم و بعضهم يقسمها إلى قسمين– فيقول أصحاب الثلاث: صغرى و كبرى و وسطى، و الأشهر أنها صغرى و كبرى، فالصغرى مانقضت و مضت أو مضى أكثرها و لا تزال. و الكبرى ما تنفرط انفراط العقد و أكثر ما ذكره المصنف بل جملة ما ذكره المصنف هنا راجع إلى أشراط الساعة الكبرى فبدأها بقوله: "**مثل خروج الدجال** " و الدجال صيغة مبالغة من الدَّجْل أو الدَّجَل و هو الكذب و التمويه قالوا هذا دَجَّال يعني مموه كذاب، و يسمى الدجال،

ويسمى المسيح الدجال، ويسمى المسيخ الدجال بالخاء، وسمي مسيحا لأن إحدى عينيه ممسوحة، ويسمى أيضا مسيح الضلالة. وهذا المسيح الدجال الكلام عليه كثير، وأيضا من أحسن الكتب التي تكلمت عليه كتاب النهاية لابن كثير رحمه الله، النهاية في الفتن والملاحم، وكذلك هناك كتاب مفرد للشيخ الألباني: "قصة المسيح الدجال". وحاصل ذلك أنه رجل من بني آدم، وأنه يهودي، وأنه كافر، ومكتوب بين عينيه كافر وفي رواية (ك ف ر)، وأجعد الرأس، وأعور العين اليمنى وعينه اليسرى أيضا مَعِيبَةٌ، عينه اليسرى أيضا معيبة، وشعره أجعد، وهو رجل فَيْلَمَانِيٌّ ضخم، ويخرج من جهة المشرق، وأكثر أتباعه اليهود والنساء، وله فتنة وأمور شيطانية، فأمكنه الله تبارك وتعالى منها، فتنة للناس. ومنها أن له جنة ونار، فجنته نار وناره جنة، ومنها أيضا أنه يأمر كنوز الأرض، فتخرج من خرباتها، وربما فلق الرجل فلقتين ثم يأمره فيعود كما كان، ويستغيث بالشياطين وتعينه على ذلك كله، وله نهر كما سبق وله جنة ونار، وله نهر من لبن وخبز وتتبعه كنوز الأرض كيعاسيب النحل. وكما أنكر العقلانيون أيضا ما سبق من الكلام على فقِّ موسى عليه الصلاة والسلام عين ملك الموت، أنكر بعض المتقدمين من الملاحدة خروج الدجال، وأنكره أيضا طوائف من المعاصرين المحدثين كأبي عبية ومحمد عبدو وجمال الدين الأفغاني وغيرهم كثير، وقد تولى الرد عليهم العلامة الشيخ حمود ابن عبد الله التويجري رحمه الله في كتابه "إتحاف الجماعة فيما ورد في أشراط الساعة"، وهذا أبو عبية له تعليق على كتاب البداية والنهاية في السيرة، أتى فيها بالظلال المبين من إنكار هذه الأمور الغيبية. هذا خروج الدجال، و هو من الفتن العظمى، بل الفتن كلها صنعت لأجله، كما جاء في حديث حذيفة بن اليمان عند أحمد: وما كانت فتنة منذ خلق السماوات والأرض إلا وهي للدجال. وقد حذر النبي عليه الصلاة والسلام أمته غاية التحذير من هذه الفتنة، ووصف لهم العلاج وأنه أعور العين، وأنه مكتوب بين عينيه كافر يقرأها كل مؤمن قارئ وغير قارئ، وأخبر ما يعصم منه من جهة أوائل سورة الكهف

أو أواخر سورة الكهف، وفي قوله عليه الصلاة والسلام: **(إن ربكم ليس بأعور)** إشارة إلى ضرورة معرفة أسماء الله تعالى وصفاته، والأحاديث الواردة في الدجال أحاديث كثيرة.

ثم قال المصنف رحمه الله: **ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله.** وهذا مسيح الهدى، والمسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام رفعه الله إليه، فلم يمت ولم يقتل كما تقول اليهود والنصارى، هو عبد الله ورسوله والله جل وعلى قال:**{ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ } [النساء الأية ١٥٨]**وقال: **{إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [آل عمران الأية ١٥٨]**، **{يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران الأية ١٥٨]**. وينزل في آخر الزمان حاكما وقاضيا بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم، حتى عدَّه طوائف من أهل العلم من الصحابة، لماذا؟ لأنه لم يمت، ولأنه لقي النبي عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء والمعراج حيا، فوقعت له منزلة النبوة ووقعت له منزلة الصحبة، هذا ما قطع به طوائف من أهل العلم كالعراقي والذهبي وغيرهم.

فعيسى ابن مريم نزوله حق، ولذلك قال الله تعالى عن طائفة من أهل الكتاب: **{وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} [النساء الأية ١٥٩]**.

فأهل الكتاب يؤمن به طائفة منهم عند نزوله عليه الصلاة والسلام، وهو حاكم بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم. عند نزوله يكسر الصليب، ويضع الجزية، ويقتل الخنزير، كما جاء ذلك في الصحيحين وفي غيرهما، ويصلي خلف المهدي. وقد جاء عند مسلم من حديث أبي هريرة أنه **(فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ)**. وهذا المسيح عليه الصلاة والسلام ينزل، مسيح الهدى ينزل فيقتل مسيح الضلالة. وفي خِضَمِّ هذه الفتنة، وخروج الدجال وقتل عيسى ابن مريم له واتباع المؤمنين لعيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، وهم على هذه الحال، وانظر إلى الحال التي هم فيها، من السعادة والدّعة، والقضاء على المسيح الدجال، واتباع المسيح عيسى ابن مريم مع وجود المهدي في ذلك

الوقت، يخرج مأجوج ومأجوج. ولذلك قال المصنف رحمه الله: "**وخروج يأجوج ومأجوج**". وهما قبيلتان من قبائل من بني آدم، واسمان أعجميان كما قال طوائف من أهل العلم، مشتقان من المأج الذي هو الاضطراب أو من أجيج النار الذي هو تلهبها، وهما كما سبق أمتان من بني آدم وهما أمتان موجودتان بدلالة الكتاب والسنة وما أجمع عليه أهل السنة، لأن الله تعالى قال: **{حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا} [الكهف الأية ٩٣-٩٤]**. فهذا في بيان ما هم عليه من الفساد في ذلك الوقت وأن ذو القرنين بنى لهم ردما قال: **{آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا} [الكهف الأية ٩٦-٩٧]، { أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا } [الكهف الأية ٩٥]**. ودلت السنة على وجود هاتين القبيلتين وعلى خروجهما، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقول الله يوم القيامة يا آدم قم فابعث بعث النار من ذرية" إلى أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبشروا فإن منكم واحدا ومن يأجوج ومأجوج ألفا"، وهذا الحديث في الصحيحين. وثبت خروجهم أيضا بالكتاب والسنة كما في قوله تعالى: **{ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ} [الأنبياء الأية ٩٦]**، يخرجون و يعيثون في الأرض فسادا حتى أن الرب تبارك وتعالى يوحي إلى عيسى ابن مريم بأن يحرز عباده إلى الطور وقال: **(إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم)**. انظر إلى هذا الخبر مع نبي الله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، فإن فيه فوائد عظيمة وجليلة جدا، في معالجة حال الناس في هذه الأيام. كثير من الناس (....)

انتهى الدرس الثامن

وقد إنتهى بنا الكلام إلى ما ذكره المصنّف رحمه الله تعالى من أمور الإيمان التي يجب أن يُؤمن بها، وهي جميع أمور الغيب. وتقدّم معنا طرف من ذلك مما ذكره رحمه الله تعالى من أشراط الساعة وما يتبع ذلك من أمور الآخرة، فقال رحمه الله تعالى: "**وعذاب القبر ونعيمه حق وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلّم منه، وأمر به في كل صلاة**" هذا الأصل من أصول أهل السنة والجماعة التي فارقهم فيها أهل البدع من المعتزلة وغيرهم. والقبر هو الموضع الذي يُقبر فيه الإنسان، واللفظ ها هنا يراد به الغالب، لأن غالب من يموت يُدفن في قبره، وإلا فإن هذا الحكم يعمّ كل الأموات سواء دُفنوا في القبور أو غرقوا في البحار أو صُلبوا ولم يُنزلوا أو أكلتهم السباع أو أُحرِقوا وذُرّوا في الرياح، فإن الحكم يشملهم. لكن لما كان الحكم للغالب ذكر القبر، وهكذا جاء ذكره في النصوص، ألا وهو القبر. وقول المصنّف رحمه الله تعالى هنا "**وعذاب القبر**"بعض أئمة السنة يذكرون العذاب والفتنة، وبعضهم يذكرون العذاب بإعتبار ما يؤول إليه العبد وكذلك النعيم بإعتبار ما يؤول عليه العبد بعد الفتنة، لأن الفتنة هي السؤال والإختبار، وأما العذاب والنعيم فإنها آتية بعد الفتنة. وقول المصنّف رحمه الله تعالى"**وعذاب القبر ونعيمه حق**" أي أنه على حقيقته، فيُعذّب من أراد الله تبارك وتعالى عذابه ويُنعَّم بفضل الله تبارك وتعالى من أراد الله نعيمه. وقد دلّ على هذا الأصل الكتاب والسنة والإجماع، فأما الكتاب فقوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[غافر:٤٦]، ونظائر هذا من النصوص التي تدل على ...

معذرة، الظاهر أننا تجاوزنا فقرة أو أكثر من ذلك، الله المستعان. طيب إذن نرجع إن شاء الله.

قال المصنف رحمه الله تعالى: "**وخروج الدابة**" في سياق ما تقدّم لأننا توقفنا عند الكلام على يأجوج ومأجوج، وقال رحمه الله فيما قرأناه من الكلام المتقدم "**وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك**". خروج الدابة، الدابة من حيث الأصل هي كل ما دبّ على الأرض، لكن المراد بها هنا دابة معيّنة ثبتت صفاتها وثبت خروجها وهي الدابة التي تخرج في آخر الزمان، وقد

دل عليها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل:٨٢]، وهذه الدابة تخرج في آخر الزمان كما نص على ذلك الأئمة. وأيضاً ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: [إنها لن تقوم الساعة حتى ترون قبلها عشر آيات] وذكر منها الدابة كما في صحيح الامام مسلم، وقد قال عليه الصلاة والسلام أيضاً كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: [ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض] وهذه الدابة أختلف العلماء في مخرجها من أين تخرج ؟ وأكثرهم وهو أشهر الأقوال على أنها تخرج من مكة من المسجد الحرام، وهذه الدابة تخرج من ذلك المقام عند كثيرين من أهل العلم. وقال بعض أهل العلم بأنها ناقة صالح لكن هذا لا يصح فيه شيء. فهذه الدابة على كل حال، دابة تخرج في آخر الزمان، تسم الناس كما بيّن النبي عليه الصلاة والسلام ذلك، وأهل السنة والجماعة يقرون بهذا كله ولا يتأولونه. وجاء في حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [تخرج الدابَّة فتسِم الناس على خراطيمهم، ثم يمرون فيكم، حتى يشتري منكم البعير، فيقول: من اين اشتريت هذا البعير ؟ فيقول:من احد المخطمين] وهذا الحديث صححه العلامة الألباني رحمه الله تعالى في السلسلة الصحيحة، فهذا خروج الدابة، وقد روى مسلم عن عبد الله بن عمرو: [أنّ أوّل الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدّابة وأيّهما كانت خروجاً قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً] هكذا جاء عنه عليه الصّلاة والسّلام.

ثمّ قال المصنّف – رحمه الله – : "**وطلوع الشمس من مغربها**" وقد تقدّم معنا حديث أبي هريرة الدال على ذلك مع قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[الانعام:١٥٨] ، وكما مرّ أنّ النبيّ عليه الصّلاة والسّلام قال: [لا تقوم السّاعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا

ينفع نفساً إيمانها لم تكن ءامنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً]. وهذه علامات كبرى للساعة نسأل الله العافية والسلامة.

ثمّ قال المصنّف – رحمه الله تعالى – :"**وعذاب القبر ونعيمه حق وقد أستعاذ النبيّ – صلى الله عليه وسلم – منه وأمر به في كلّ صلاة**" هذا ما كنا ذكرناه من قبل وهو أصل من أصول أهل السنّة والجماعة التي خالفهم فيها طوائف من أهل البدع كالمعتزلة وأمثالهم فإن أهل السنة يؤمنون بعذاب القبر ويؤمنون بنعيمه وقد دلّ على ذلك الكتاب والسنّة وإجماع أهل السنة كما قال الربّ تبارك وتعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[غافر:٤٦] وعلى وجهٍ في قوله تعالى:﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[السجدة:٢١]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ، فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾[الواقعة:٨٨] ، عند طائفة من أهل التفسير. والأدلّة على هذا كثيرة. ومن السنّة ما أشار إليه المصنّف رحمه الله تعالى في قوله: "**إن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – قد إستعاذ منه وأمر في كلّ صلاة أن يُستعاذ منه**" يعني أن يستعيذ منه المسلم. والنبيّ صلى الله عليه وسلم قد كان يستعيذ من عذاب القبر وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا ذلك. يعلّمنا نبيّنا صلى الله عليه وسلم أن نستعيذ بالله من عذاب القبر، أن نستعيذ بالله من هذه المصيبة العظيمة فقد كان النبيّ – صلى الله عليه وسلم – [يتعوّذ من عذاب القبر] كما جاء عند البخاري ومسلم وجاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أخبر عن حالة العبد المؤمن والكافر عند قبض الروح [وأن العبد الكافر أو المنافق يوضع في قبره ويُفتح له باب أو نافذة من النار ويُفرش له من النار ويُنادي منادٍ من السّماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النّار وافتحوا له بابا إلى النار. وأمّا المؤمن فإنه يُنادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنّة وافتحوا له بابا إلى الجنة] وكلّ هذا ثبت وأمثالُه بكثرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم .

والإتفاق بين أهل السنّة والجماعة على أن العذاب يكون للروح وللجسد، ويقول الحافظ أبن القيّم رحمه الله تعالى بعد نقل إتفاق الأمم كلهم من اليهود والنصارى على هذا العذاب قال: (والعذاب يكون الأصل فيه على الروح والبدن تابع لها كما أن العذاب في الدنيا للبدن والروح تابعة له) هكذا يقول الحافظ أبن القيّم رحمه الله تعالى. فعذاب القبر كائن على الروح وعلى الجسد. وكل من مات وهو مستحق للعذاب فإنه يُعذَّب كما ذكرنا ذلك من قبل سواء مات ودُفن في قبره أم صُلب أم أكلته السباع أم أُحرق وذرّته الرياح فإن هؤلاء يقع عليهم العذاب كما أخبر بذلك عامّة أهل العلم من أهل السنّة وإنما ذكر القبر من باب التغليب. وهذا مذهب سلف الأمّة لا خلاف بينهم في ذلك، فالمقبور والمأكول في بطون السباع والغريق في البحر والذي أُحرق وذُرَّ هؤلاء كلهم يجدون العذاب الذي كتبه الله لهم أو النعيم الذي كتبه الله لهم. قد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من هذا كله.

قال المصنّف – رحمه الله – : "**وفتنة القبر حق وسؤال منكر ونكير حق والبعث بعد الموت حق وذلك حيت ينفُخ إسرافيل عليه السلام في الصور (فإذا هم من الأجداث إلى ربّهم ينسلون)**".
الفرق بين الفتنة والعذاب هي أن الفتنة المراد بها الإختبار وهو السؤال فيُختبر من لا يُعذّب وأمّا العذاب أو النعيم فإنه واقع على من إستحقه وأما الفتنة فإنها تقع على جميع العباد والراجح الذي عليه جماهير أهل العلم أن الكفار والمؤمنين يُفتنون في قبورهم فيُسألون كما جاء في حديث البراء بن عازب عنه عليه الصّلاة والسّلام أنه قال: [وأمّا العبد الكافر –أو قال المنافق – فيقول: هاه هاه لا أدري] وكذلك فإن الكفار ليسوا بأحق من المسلمين بأن لا يُفتنوا في قبورهم. وهذا الذي عليه جماهير الأمّة من السلف والخلف إلا أنهم إختلفوا في المجنون وفي الصبي والخلاف مشهور بين أهل العلم وقد تكلم عنه الحافظ أبن القيم رحمه الله تعالى في كتاب الروح وأطال فيه أيضاً وتكلم عنه السيوطي في كتاب "الحاوي في الفتاوي" وأطال أيضاً وذكر مذاهب العلماء من الفقهاء من الأئمة الأربعة وغيرهم، المالكية والحنابلة والشافعية والحنفية ومن جاء بعدهم، لكن بالنسبة

للمؤمنين هذا شيء لا خلاف فيه وإنما خالف أبو عمر بن عبد البر رحمه الله تعالى في الكفار والصحيح أنهم يفتتون في قبورهم كما جاء ذلك في حديث البراء بن عازب وفي حديث غيره من الصحابة وأما العبد الكافر أو قال المنافق وإنما يستثنى من ذلك الأنبياء لأن الفتنة تقع بهم وما إستثناه نبينا عليه الصلاة والسلام كالشهيد والمرابط فإن هؤلاء لا يفتنون في القبور كما جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال في الشهيد: [كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة] كما هو عند النسائي وغيره بإسناد صحيح، ففتنة القبر التي هي السؤال عن الرب وعن الإسلام وعن الدين فيسأل العبد من ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟ أو قال: من هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ هذا يسأل عنه العبد في قبره والقبر أول منازل الآخرة كما جاء في حديث عثمان رضي الله عنه عند الترمذي وغيره بإسناد صحيح، فهذه الفتنة فتنة عظيمة وهذه هي الثلاثة الأصول التي يسأل عنها العبد في قبره من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ أو من هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فالعبد المؤمن يجيب ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[ابراهيم:٢٧] يقول ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم، وأما العبد الكافر أو المنافق فيقول ها ها لا أدري .

ثم ذكر المصنّف رحمه الله تعالى مسألة النفخ في الصور، قال: "**وينفخ في الصور**"، والصور المراد به القرن كما جاء ذلك صريحاً عند الترمذي والحاكم بسندٍ حسن من حديث أبن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور ؟ فقال الصور القرن]، وذكر المصنّف رحمه الله تعالى هنا أن الذي ينفخ في الصور هو إسرافيل وهذا لم يرد في الكتاب ولا في السنة يعني لم يثبت في الكتاب وفي السنة، والأحاديث التي جاء فيها ذكر إسرافيل كلها ضعيفة ما تثبت ولكن إنعقد الإجماع على تسمية الملك الذي ينفخ في الصور وأنه إسرافيل كما ذكر هذا الإجماع الحافظ أبن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري وتكلم على هذه الأحاديث التي جاء فيها ذكر النافخ في الصور وانه إسرافيل عليه الصلاة والسلام

فنبقى على هذا الإجماع وأنه الملك الذي ينفخ في الصور وهو القرن أنه إسرافيل عليه الصلاة والسلام، وقد دل على النفخ في الصور الكتاب والسنة والإجماع كما هو معلوم، وإنما أختلف العلماء في عدد النفخات والصحيح الراجح أنها ثلاث:

١- نفخة الفزع ٢- ونفخة الصعق ٣- ونفخة البعث التي هي لقاء رب العالمين .

قال الله جل وعلا ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨] ، وقال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس:٥١] .

وذكر النبي صلى الله عليه وسلم النفخ في الصور كما جاء عنه عليه الصلاة والسلام في حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم في حديث طويل أنه قال عليه الصلاة والسلام [ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً ثم لا يبقى أحد إلا صعق ثم ينزل الله مطراً كأنه الطلة أو الظل كما شك الراوي فتنبت منه الأجساد... تنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون]، والأمة مجمعة على هذا ولا خلاف فيه وقد دل عليه كما ذكرنا الكتاب والسنة .

ثم ذكر المصنّف رحمه الله تعالى الدليل على ذلك فقال ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس:٥١]، أي يخرجون من قبورهم ويبعثون للقاء الله تبارك وتعالى هذه المواقف مواقف عظيمة يلقاها العباد بين يدي الله تبارك وتعالى .

ثم قال المصنّف رحمه الله تعالى: **ويحشر الناس حفارة عراةً غرلاً بهماً فيقفون في موقف القيامة حتى يشفع فيهنم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويحاسبهم الله تبارك وتعالى وتنصب الموازين وتنشر الدواوين وتتطاير صحف الأعمال إلى الأيمان والشمائل** ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ، وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ، وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾[الإنشقاق:٨-١٢]، هذا الموضع ذكر فيه المصنف رحمه

الله تعالى الحشر، والحشر المراد به الجمع بمعنى أن الخلائق كلهم يجمعون في ذلك اليوم العظيم العصيب كما دل على ذلك كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة فإن الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ﴾[الانعام:١٢٨]، فالرب جل وعلا يحشر الناس جميعاً فلا يبقى أحد لا من الإنس ولا من الجن، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم بيّن ذلك كله فقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : [يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين وأثنين على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير تحشرهم النار تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا] وهذا الحشر الذي بيّنه ربنا تبارك وتعالى وبيّنه نبينا عليه الصلاة والسلام يكون عند قيام الساعة فيحشر الناس أحياءً إلى الشام وأما الحشر من القبور إلى الموقف فهو قبل الكرب الذي يقع من الناس، فالحشر ثابت في الكتاب والسنة وإجماع الأمة لا خلاف بينهم في ذلك ولا ينكره إلا الملاحدة كما قال ربنا تبارك وتعالى ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ [التغابن:٧].

وهذا الحشر يقف فيه الناس جميعاً بين يدي الله تعالى كما وصف المصنّف هنا مستدلاً على ذلك بالسنة :[حفاة عراة غرلاً]، وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [إنكم تحشرون حفاةً عراةً غرلاً ، ثم قرأ ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فاعِلِين﴾] .

وأول من يكسى إبراهيم عليه السلام كما هو في الصحيحين وغيرهما، كذلك قوله عليه الصلاة والسلام: [يحشر الناس يوم القيامة عراة غرلاً بهماً ، قلنا وما بهماً ؟ قال: ليس معهم شيء]، وهذا تفسير من النبي صلى الله عليه وسلم لقوله هنا [بُهماً] فليس معهم شيء ممحلين .

وهذا الموقف موقف عصيب عظيم جداً يجب على المسلم أن يتأمل فيه، وأن ينظر في حاله وفي وقوفه بين يدي الله تبارك وتعالى، وأول من يكسى كما مر معنا ، إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

وبعد ذلك يكون الحساب كما ذكر المصنّف رحمه الله تعالى فقال : "**فَيَقِفُونَ فِي مَوْقِفِ اَلْقِيَامَةِ، حَتَّى يَشْفَعَ فِيهِمْ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم**" .

يشير إلى ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة في حديث الشفاعة العظمى والتي لم ينكرها أحد من المنتسبين إلى الإسلام حتى المعتزلة والخوارج الذين يخالفون في بعض صور الشفاعة، لا ينكرون الشفاعة العظمى، الشفاعة الكبرى لأهل الموقف بعد أن يشتد بهم الكرب فيذهبون إلى آدم ثم إلى نوح ثم إلى موسى ثم إلى عيسى ثم يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: [أنا لها ويسجد تحت العرش ويقول الرب له: إرفع رأسك وسل تعط وأشفع تشفّع بعد أن يثني عليه بما هو أهله جل وعلا فيأمر بنصب الموازين بعد ذلك]، هذه هي الشفاعة العظمى وهي واحدة من الشفاعات التي ثبتت للنبي صلى الله عليه وسلم والتي إختص بها عن سائر الخلائق .

قال: "**وَيُحَاسِبَهُمْ اَللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**"، وهنا ذكر المصنّف رحمه الله مسألة الحساب، والحساب في أصل لغة العرب العدد والمراد به أن الرب جل وعلا يطلع العباد على أعمالهم فيطلعهم على ما قدّموا وعلى ما عملوا وعلى ما كسبته جوارحهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبيّن ذلك لأمته وقد دل على هذا الكتاب والسنة والإجماع وقال تبارك وتعالى ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية:٢٦]، فيحاسب الله تبارك وتعالى الخلائق، يحاسب الله العباد، كان النبي عليه الصلاة والسلام يقول لما سألته عائشة رضي الله عنها: ما الحساب اليسير ؟ قال : [أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه]، كما عند الإمام أحمد والحديث صححه العلامة الألباني عليه رحمة الله وقد قال ربنا تبارك وتعالى ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق:٨]، وهذا هو العرض فالعبد يحاسب بين يدي الله تبارك وتعالى والحساب واقع على جميع الناس يحاسب الجن ويحاسب الإنس ويحاسب العباد بين يدي الله على أعمالهم، حتى قال بعض أهل العلم بأن البهائم تحاسب إستدلالاً بحديث [إقتصاص الرب تبارك وتعالى بالشاة الجماء من الشاة الجلحاء] أي الشاة القرناء فهذا كله مما يدل على عظمة هول هذا اليوم العظيم العصيب الشديد .

فالبهائم إذا كانت يقضى بينها ولكنه ليس قضاء تكليف ولا حساب تكليف ولكن الله تبارك وتعالى نصب العدل في ذلك اليوم فلا يظلم أحد ولا يفوت شيء على العباد .

وأولِ من يحاسب هذه الأمة كما بيّن صلى الله عليه وسلم بقوله : [نحن الآخرون ، السابقون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق]، وهذا الحديث متفق عليه فهذه الأمة هي أول من يحاسب بين يدي الله تبارك وتعالى .

ثم ذكر المصنّف رحمه الله، الميزان، والميزان حق كما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة وأنه على الحقيقة، والميزان له كفتان كما ثبت ذلك في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند الترمذي في حديث البطاقة .

وكما ثبت ذلك أيضاً في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند أحمد والترمذي في قصة نوح مع إبنه فالميزان له كفتان، وهل للميزان لسان ؟

حكى الحافظ أبن حجر إجماع أهل العلم على أن الميزان له لسان وقد إحتج العلماء على إثبات اللسان بأربع طرق:

* الطريق الأول: ما جاء عن أبن عباس لكنه من طريق الكلبي عن أبي صالح وهو حديث أو أثر موضوع جاء عند البيهقي وغيره .

* الطريق الثاني: وما جاء عن الحسن البصري عند اللالكائي لكنه من قوله وهو حسن .

* والطريق الثالث: وهو الإجماع وهذا أقواها فالإجماع منعقد على إثبات اللسان للميزان .

* الطريق الرابع: الذي أثبت به بعض أهل السنة اللسان للميزان هو المعنى فقاسوا ميزان الآخرة على ميزان الدنيا وقالوا إن الميزان لا ترجح كفته إلا باللسان، يعني اللسان المشاهد وهذا قال به بعض أهل العلم ولكنه لا يصح الإستدلال بمثل هذه الطريقة لأن أمور الآخرة لا تقاس على أمور الدنيا .

المصنّف رحمه الله قال: **وَالْمِيزَانُ لَهُ كِفَّتَان وَلِسَانٌ، تُوزَنُ بِهِ اَلْأَعْمَالُ : ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٢– ١٠٣] .**

فالميزان حق وآمن به أهل السنة والجماعة ولا يقولون بأنه العدل كما تقوله المعتزلة وهذه هي الموازين أو ميزان واحد الراجح من قولي العلماء أنه ميزان واحد وإن الجمع إنما كان باعتبار كثرة الموزونات وإلا فهو ميزان واحد وقد قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون *وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾، وقال تعالى :

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾

وماهو الذي يوزن ؟

الذي يوزن ثلاثة أشياء: ١- يوزن الإنسان نفسه، والإنسان يوزن ٢- ويوزن عمله ٣- ويوزن أيضاً صحيفة عمله .

فأما الدليل على أن الإنسان يوزن فما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال [إنه ليؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة] وقال [اقرؤوا إن شئتم "فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا] وكذلك حديث أبن مسعود رضي الله عنه عند أحمد عندما كان يجني للنبي صلى الله عليه وسلم الأراك فسقط من على الشجرة فضحك الناس لدقة ساقيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم [مما تضحكون ؟ ، قالوا :من دقة ساقيه، فقال : هي أثقل في الميزان من أحد] وكذلك يوزن العمل، وهذا أدلته أشهر من أن تذكر ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم [كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم] وكذلك توزن صحائف الأعمال تشريفاً لها كما جاء في حديث البطاقة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي تقدمت الإشارة إليه وأن صحائف الأعمال توزن ويؤتى بهذه الصحيفة التي فيها لا إله إلا الله فتطيش الصحف بهذه الكلمة ولا يثقل مع اسم الله شيء .

ثم ذكر المصنّف رحمه الله تعالى مسألة أخرى من مسائل القيامة ومسائل العرض على الله بعد أن ذكر الميزان وذكر ما يتعلق به قال: **وتنشر الدواوين.** والمراد بالدواوين الكتب التي كتبت فيها أعمال العباد ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وكما قال ربنا تبارك وتعالى حكايةً عن المفرّط ﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] الدواوين تنشر ويقرأها كل أحد، كل أصحابها، أكانوا يقرؤون في الدنيا أو لا يقرؤون فهذه الكتب التي يحصي الله فيها أعمال العباد يأخذها الناس باليمين والشمائل صنفان لا ثالث لهما عند أئمة السنة خلافاً لأبي محمد بن حزم فإن العباد إما أن يأخذوا الكتاب باليمين وإما أن يأخذوا الكتاب بالشمال، فالكفار

يأخذون كتبهم بشمائلهم والمؤمنون عصاةً ومطيعين يأخذون الكتاب بأيمانهم، الكفار يأخذون بالشمائل والمؤمنون يأخذون بالأيمان ثم بعد ذلك يحاسبون على حسب أعمالهم وعلى حسب ما كتب عليهم في كتبهم فقد قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ، وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ، وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق:٧-١٢]، فأهل السنة وجماهيرهم على أن الكتاب إما أن يؤخذ باليمين وإما أن يؤخذ بالشمال وهذه الكتب مكتوب فيها السيئات والحسنات ويقرأها العبد ويقف عليها بنفسه قارئاً لها عالماً بها نسأل الله العافية والسلامة، فالمؤمن يأخذ كتابه بيمينه فيفرح ويستبشر يقول المصنف: **المؤمن يأخذ كتابه بيمينه فيفرح ويستبشر بقوله** " فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ" **والكافر يأخذه بشماله أو من وراء ظهره فيدعو بالويل و الثبور فيقول "ياليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه**" هذا هو الكتاب، فالناس صنفان آخذ كتابه بيمينه، يدخل في هذا كل مؤمن، وآخذ كتابه بشماله وهذا يدخل فيه كل الكفار، وأما ذكر الرب تبارك وتعالى بأنه يأخذه بشماله أو من وراء ظهره فإن هذا على حالين بالنسبة للكافر فإما أن يأخذه بشماله أو يأخذه بشماله من وراء ظهره فإذا أخذه على هذه الحال كما بيّنه ربنا تبارك وتعالى بأنه يدعو ثبوراً، ثم ذكر المصنّف بعض خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وبعض خصائص أمته .

انتهى الدرس التاسع



وقد انتهى بنا المقام إلى جملة مما ذكره المصنف– رحمه الله تعالى – في متعلقات اليوم الآخر، ثم بدأ في سياق طرف آخر من متعلقات اليوم الآخر، ومن جملته بعض خصائص نبينا –صلى الله عليه وسلم – فقال– رحمه الله تعالى–: **ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حوض في القيامة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه**

شربة لم يظمأ بعدها أبدا.

هذا الموضع ذكر فيه المصنف- رحمه الله تعالى- خصيصة من خصائص نبينا- صلى الله عليه وسلم -على الراجح من قول العلماء، وأن الحوض من خصائصه- صلى الله عليه وسلم -و أما ما جاء من أن لكل نبي حوضا فإن هذا الحديث موضوع ضعيف لا يصح، وكذلك ما جاء أن حوض نبي الله صالح ضرع ناقته، كما ذكره الإمام البربهاري – رحمه الله تعالى – هذا أيضا موضوع لا يصح وبقي أن الحوض من خصائص النبي- صلى الله عليه وسلم -. وأيضا من المسائل المهمة المتعلق بالحوض، هي أن الحوض غير نهر الكوثر، فإن النهر الذي هو نهر الكوثر، هذا في الجنة والحوض في عرصات القيامة ويصب فيه من نهر الكوثر، كما جاء ذلك في الصحيحين. وجاء في صحيح مسلم عنه -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: {الكوثر نهر في الجنة } وهذا الذي جزم به طائفة من أهل العلم؛ كأبي عبد الله القرطبي وأبي الفداء إسماعيل ابن كثير وأبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني وغيرهم من أهل العلم على أن الحوض غير الكوثر وهو الذي دلت عليه الأدلة. والحوض كما قلت لكم من خصائص نبينا- صلى الله عليه وسلم – وقد أجمع أهل السنة والجماعة على ثبوت الحوض في حقه -عليه الصلاة والسلام-، وخالف في ذلك الخوارج والرافضة والمعتزلة، فأنكروا حوض نبينا- صلى الله عليه و سلم -وقد تواتر ذكر الحوض عنه عليه الصلاة والسلام فذكر السيوطي- رحمه الله تعالى -أن الذين رووا أحاديث الحوض -عليه الصلاة والسلام -أكثر من خمسين صحابيا، فيهم الخلفاء الراشدون وحفاظ الصحابة- رضي الله عنهم- وقد ساقهم السيوطي -رحمه الله تعالى- ومما تحفظون- حفظكم الله- قول من قال:

مما تواتر في الحديث من كذب *** ومن بنى لله بيت واحتسب

ورؤية شفاعة والحوض *** ومسح خفين وهذي بعض

فالحوض أحاديثه متواترة والمصنف هنا قال: ولنبينا كلامه يشير إلى اختصاص النبي- عليه الصلاة و السلام -هذا هو الراجح في قول العلماء كما ذكرت لك آنفا. حوض في القيامة هذا الحوض في يوم القيامة والعلماء- رحمهم الله -مختلفون في تراتيب أحوال القيامة، ما الذي يتقدم وما الذي يتأخر. وقد قال -عليه الصلاة والسلام -كما في الصحيحين أنه -عليه الصلاة والسلام

– قال:{ إني فرطكم على الحوض} وهذا جاء عن جماعة من الصحابة منهم سهل بن سعد، هو حديث متفق عليه كما ذكر ذلك. وذكرت أوصاف الحوض في كثير من نصوص سنة النبي– صلى الله عليه وسلم –والراجح فيه أنه مربع وأن طوله كعرضه وأنه مسيرة شهر وأن آنيته كعدد نجوم السماء، بل قال الطحاوي في شرحه على مسلم.... الأحاديث الأخرى. هذا الحوض كما ذكر المصنف بعض أوصافه: ماءه اشد من اللبن كما ذكر ذلك في الصحيحين وفي غيرهما وأحلى من العسل وأباريقه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا.

نسأل الله أن يوردنا على هذا الحوض وأن يسقينا من يد نبينا– صلى الله عليه وسلم –شربة هنيئة لا نظمؤ بعدها أبداً.

وهذا الحوض، كما ذكرنا سابقا، ثابت في الأحاديث المتواترة وهو موجود الآن كما جاء عند البخاري في صحيحه من حديث عقبة بن عامر: ((وإني والله لأنظر لحوضي الآن)) وجاء في الصحيحين أنه يصب فيه من نهر الكوثر. والأحاديث كما ذكرنا كثيرة جدا عنه– عليه الصلاة والسلام –في صفة هذا الحوض وقد تكلم عنه الحافظ ابن كثير وأطال عليه –رحمة الله– في كتابه" النهاية في الفتن والملاحم "وذكر الأحاديث الواردة فيه وكذلك العلامة القرطبي، أبو عبد الله القرطبي –رحمه الله– في كتابه" التذكرة."

قال رحمه الله تعالى :والصراط حق يجوزه الأبرار ويزل عنه الفجار.

الصراط أيضا من الأهوال لتي ذكرها الرب– تبارك و تعالى –في كتابه الكريم في ذلك اليوم العصيب، والصراط جاء وصفه أيضا في جملة أحاديث رسول الله– صلى الله عليه وسلم – واستدل العلماء عليه بالكتاب بقوله تعالى: { وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا *ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَر الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا } مريم (72–71) والذي عليه جماهير أهل العلم من السلف والخلف، أن هذا الصراط موصوف بأنه أدق من الشعرة وأحد من السيف. وقد جاء في صحيح مسلم في حديث أبي سعيد الخذري– رضي الله عنه –أنه قال : {بلغني أنه أدق من الشعر وأحد من السيف } هكذا جاء في صحيح الإمام مسلم. وأما العلامة القرافي والعز بن عبد السلام، فإنهم ينكرون هذا الوصف ولا يثبتونه لأنه لم يثبت عندهم. وهذا الصراط ذكره النبي–

صلى الله عليه وسلم –بأن الناس يمرون فيه على قدر أعمالهم؛ فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في جهنم، نسال الله العافية والسلامة. والناس على هذه الأقسام في شدة هذا الهول الذي ذكره النبي –عليه الصلاة والسلام–وهذا الصراط الصحيح أنه لا يمر عليه إلا المؤمنون، هذا الذي قطع به الحافظ بن رجب –رحمه الله –في كتابه التخويف من النار، لأن الكفار يذهبون في نار جهنم عياذًا بالله ويُقْذَفُون ويُرْمَوْن فيها رميًا، نسأل العافية والسلامة. وهذه الأوصاف التي جاءت في مرور الناس على الصراط جاءت في أحاديث أخرى، فقد جاء في صحيح مسلم أنه قال –عليه الصلاة والسلام – ((تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: يا رب سلم، سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا)) وجاء في صحيح الإمام البخاري أنه –عليه الصلاة والسلام –قال : ((حتى يمر آخرهم يُسَحَب سَحْبًا)) نسأل الله العافية. والأنبياء –عليهم الصلاة والسلام –يقولون ما ذكر لكم. وقد جاء عنه –عليه الصلاة والسلام – أن أول من يعبر الصراط من الأنبياء هو محمد ومن الأمم أمته وقد جاء في صحيح الإمام البخاري أنه –صلى الله عليه وسلم –قال : ((فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ولا يتكلم يومئذ ودعاء ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعاء الرسل يومئذٍ اللهم سلم سلم)) وهذا كما ذكرنا في صحيح الإمام البخاري. ويخلص بعد ذلك المؤمنون من النار ويحبسون على قنطرة بين الجنة والنار من أجل تطهيرهم مما كان بينهم في الدنيا كما جاء ذلك في الصحيحين. ثم قال المصنف –رحمه الله – : **ويشفع نبينا –صلى الله عليه وسلم –فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحمًا وحممًا فيدخلون الجنة بشفاعته ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات قال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ ﴿الأنبياء : ٢٨﴾ ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين.**

هذا الموضع ذكر فيه من المصنف –رحمه الله –مسألة الشفاعة، ومسألة الشفاعة هذه يذكرها العلماء –رحمهم الله تعالى –في كتب العقائد من أجل الرد على المخالفين لأهل السنة والجماعة بها، من الخوارج والمعتزلة الذين أنكروا أكثر أنواعها، ويذكرها المصنفون في كتب التوحيد أي ما يتعلق بتوحيد الإلهية من أجل الرد على المشركين الذين يتعلقون بها وهي أصلٌ في شركهم.

وأنواع الشفاعة كثيرة من أهل العلم من يوصلها أو من يذكرها على ثلاثة أنواع ومنهم يذكر خمسًا ومنهم من يذكر سبعًا ومنهم يذكر ثماني شفاعات، وهذا قول أكثر أهل العلم، ومنهم من يوصلها إلى اثني عشر نوعًا كما ذكر ذلك محمد بن الحسين المغربي في " البدر التمام " وتبعه الصنعاني في "سبل السلام "، وهذا راجعٌ إلى ثبوت هذه الأنواع من جهة ثبوت دليلها. والشفاعة مأخوذة من الشفع الذي هو ضد الوِتر أو الوَتر؛ وهو العدد الزوجي، وحقيقتها أن الشافع يتوسط لغيره في جلب منفعة أو دفع مضرة. والعلماء إذا ذكروا الشفاعة في كتب العقائد وكتب التوحيد فإنما يعنون الشفاعة المتعلقة بالآخرة، ولم تنكر الخوارج ولا المعتزلة الشفاعة العظمى التي مرت معنا وإنما عامة ما أنكروه الشفاعة في المذنبين في أهل الكبائر. يقول المصنف – رحمه الله – : **ويشفع نبينا في من دخل النار من أمته من أهل الكبائر فيخرجون بشفاعته لقوله –عليه الصلاة والسلام –: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي))** وكذلك ما جاء في أحاديث كثيرة في الصحيحين عنه –عليه الصلاة والسلام – ((ويخرج من النار أقوام)) وكذلك بيَّن –عليه الصلاة والسلام –كما مر معنا في في باب الإيمان أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذُرة أو خردلة من المؤمنين وهذا جاء في الصحيحين وفي غيرهما.

يقول المصنف –رحمه الله – : **بعد ما احترقوا وصاروا فحمًا وحُممًا**؛ يعني أنهم يتغيرون وتتغير أحوالهم في نار جهنم عياذًا بالله ويخرجون منها والنبي –صلى الله عليه وسلم –يقول: ((أن أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناسٌ أو –كما قال– تصيبهم النار بذنوبهم (أو قال بخطاياهم) فيميتهم إماتةً حتى إذا صاروا فحمًا أُذِنَ بالشفاعة))كما عند الإمام أحمد في مسنده. والشفاعة لها أنواع كثيرة كما ذكرت لكم، وإن كان الأكثر على أنها على ثمانية أنواع وهو الذي اعتمده بن أبي العز في شرحه على الطحاوية، وهو الذي جرى عليه شيخنا العلامة مقبل – رحمه الله – في كتابه الحافل في هذا الباب الذي لا نظير له؛ ألا وهو كتاب الشفاعة، لا نظير له فيما يُعْلَمُ في بابه في المصنفات فإنه كتاب عظيم. والشفاعة منها ما هو خاص بالنبي –عليه الصلاة والسلام –ومنها ما يشاركه فيه غيره؛ فالشفاعة العظمى لا يشركه فيها أحد، شفاعته في أبي طالب لأن يخفف عنه من عذاب جهنم هذه أيضًا ليست إلا له –عليه الصلاة والسلام –.

وذكر المصنف عليه –رحمة الله –ها هنا بأن سائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة لهم شفاعات فقال **لسائر المؤمنين والملائكة شفاعات** يعني أنهم أيضًا يشفعون للأمم يشفعون لبعض الخلق ممن رضي الله لهم هذه الشفاعة ممن مات على التوحيد ولهذا النبي – صلى الله عليه وسلم –قال : ((فيقول الله تعالى : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولا يبقى إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حِمَمًا)) متفق عليه. وهذا الحديث متفق عليه كما مر من حديث أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه – فالشفاعة لأهل الكبائر لأهل الذنوب للذين اقترفوا أنواعًا من المعاصي والسيئات وماتوا عليها ولم يُسْبَق لهم توبة، فإن الله يُشَفِّعَهُم، ولا يخلد في النار من مات على التوحيد وإن كان مقصرا في ذلك. ثم ذكر المصنف –رحمه الله تعالى –مسألة أخرى و ذكر في ظل كلامه على الشفاعة شروطها ألا وهي استدلاله بقوله تعالى ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾[الأنبياء : ٢٨] والشفاعة لها شرطان :

١–إِذْنُ الله –تبارك وتعالى –للشافع ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾[البقرة : ٢٥٥]

٢–والرضا عن المشفوع له بأن يكون من أهل التوحيد كما جاء في الصحيحين في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه –.

ثم قال : **ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين،** فالكافر لا تنفعه الشفاعة كما قال ربنا تعالى في كتابه الكريم: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾ وقال تعالى: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ فالكفار ما تنفعهم الشفاعة، وما وقع من شفاعته –عليه الصلاة والسلام– لأبي طالب، فهذه الشفاعة ليست كلية وإنما يشفع له في تخفيف العذاب كما جاء في الصحيحين من حديث العباس بن عبد المطلب –رضي الله عنه وأرضاه–.

قال المصنف –رحمه الله– تعالى بعد ذلك: **والجنة ولانار مخلوقتان لا تفنيان فالجنة مأوى**

أولياه والنار عقاب لأعدائه وأهل الجنة فيها مخلدون ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[الزخرف:٧٥-٧٤].

هذه المسالة من المسائل التي فارق فيها أهل البدع أهل السنة والجماعة من المعتزلة وأمثالهم، فقالوا بأن القول بوجود الجنة والنار في هذا الوقت وبخلقهما نوع من العبث، وقولهم هو العبث والضلال وهم معترضون على الله –تبارك وتعالى– في ذلك. وقد تواترت أدله السنة مع أدلة الكتاب في إثبات وجود الجنة والنار. وأطال العلامة يحيى العمراني –عليه رحمة الله– في رده على المعتزلة في كتابة الانتصار على المعتزلة الأشرار، ومن الأدلة الدالة على وجود الجنة والنار أن الله قال في الجنة: ﴿ أُعِدَّتْ للمتقين﴾ وأعدت هنا فعل ماض، والإعداد بهذا الفعل بإجماع أهل اللغة لا يكون إلا على شيء موجود مُخبَر عنه، فالله أعدها للمتقين في آيات كثيرة أو في جملة من الآيات، في جملة من الآيات الدالة عليها. أما أهل السنة فمجمعون على هذا، وهذا إجماع حكاه عنهم غير واحد من أهل العلم منهم ابن أبي العز ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية قبله وأمم لا يحصيهم إلا الله. والإعداد هو التهيئة ؛ وكذلك قال ربّنا تبارك وتعالى : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِين ﴾ الآية هذا من أدلّة القرآن في إثبات ذلك ؛ وأمّا السنّة فقد اشتكت الجنّة والنّار، إشتكت النّار إلى ربّها، في الصحيحين ،قال ((اشتكت النّار إلى ربّها ،فقالت: يا ربّ أكل بعضي بعضاً" فأذن لها بنفسين ، نفس بالصّيف ونفس بالشتاء ؛ فأشدّ ما تجدون من الحرّ ، وأشدّ ما تجدون من الزمهرير)). وكذلك ماجاء في الصحيحين عنه –عليه الصلاة والسّلام– أنّه قال: ((إنّي رأيت الجنّة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ورأيت النّار فلم أرك اليوم منظرا قط أفضع منها)) كما في الصحيحين و غيرهما. الجنّة والنّار موجودتان مخلوقتان، لم يخالف في هذا إلاّ طوائف من أهل البدع. وقد قال ربّنا تعالى في كتابه الكريم ﴿ ولقد رآه نزلت أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى﴾ ولمّا دخل النبيّ –عليه الصلاة والسلام– الجنّة ورأى قصر عمر كما في الصحيحين وسمع خشف نعال بلال بن رباح –رضي الله عنه – وكذلك أمّ سليم

وغير هذا من الأحاديث الكثيرة عنه –عليه الصلاة والسّلام– المتنوّعة التّي ثبتت عنه –عليه الصلاة والسّلام– كحديث "فضائل الذكرو الجلوس في المساجد" وأنّه قال :((كيف لو رأوها – لما ذكر الجنّة – وكيف لو رأوها –لمّا ذكر النّار–)) وكذلك ماجاء في الصحيحين عنه –عليه الصلاة والسّلام– أنّه قال :((حجّبت النّار بالشهوات ؛ وحجّبت الجنّة في المكاره)) أو حفّت. وهذا كلّه ثابت في الصحيحين أو في أحدهما وهذا من أصول أهل السنّة والجماعة.

ثمّ قال المصنّف –رحمه الله– " ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح ، فيذبح بين الجنّة والنّار ، ثمّ يقال: " يا أهل الجنّة خلود ولا موت ، ويا أهل النّار خلود و لا موت"

ذكر المصنّف هاهنا مآل النّاس بعد الشفاعة وخروج من في قلبه مثقال ذرّة من إيمان من النّار، وأنّه لا يبقى فيها إلاّ من حبسه القرآن؛ يعني في النّار، فيصير النّاس على منزلتين، وفي دارين كما قال –جلّ وعلا : ﴿ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ الآية؛ وهؤلاء يخلدون في النّار وهم الكفّار وأولئك في الجنّة، كما بيّن ذلك ربّنا تبارك وتعالى في ... كثيرة، وقد قال النبيّ –عليه الصلاة والسّلام– كما في البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخضري –رضي الله عنه – قال ((يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون﴾))؛ وهذا الحديث جاء عند البخاري أيضا. ومعنى قوله –عليه الصلاة والسلام– ((فيشرئبّون))؛ يعني أنّهم يمدّون أعناقهم ويرفعون رؤوسهم لينظروا في ذلك، لينظروا فيما نودي إليه. وقوله هنا –عليه الصلاة والسّلام– ((فيناد منادٍ))؛ هذا من المبهم الذّي لم يعرف كما ... من أهل العلم، وأما قوله –عليه الصلاة والسلام– هنا أملح؛ يعني الذي فيه بياض وسواد، وحتى قال القرطبي، كما نقل ذلك الحافظ بن حجر، بأن هذا الوصف جاء بهذه الصورة؛

بالسواد والبياض، ليبين حالة أهل الجنة وحالة أهل النار. وقد تكلف قوم عند قوله فيذبح لأنه لم يذكر، من يذبَحه؟ والصوفية كما نقل القرطبي يقولون بأنه يذبحه يحيى ابن زكريا، وهذا لا دليل عليه، وكذلك قول من قال بأنه يذبحه جبريل، وقول من قال بأنه يذبحه غيره، كل هذا لا دليل عليه ولا يعلم، ونختصر على ما جاء في أنه يذبح، وهذا من شدة الحسرة، ولذلك قال تبارك وتعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم ٣٩]، هذه الآية فسرها النبي –عليه الصلاة والسلام–، وقرأها بعد أن ذكر لأصحابه أنَّ هذا الموت يذبح بين الجنة والنار. هذا ما ذكره المصنف –رحمه الله تعالى– في متعلقات الإيمان بالغيب، ومتعلقات الإيمان باليوم الآخر. ثم ذكر –رحمه الله تعالى– فصلا متعلقا بنبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– وبمعرفة حقوقه فقال:

فصل: حقوق النبي –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه –رضي الله عنهم–.

قال: ومحمد رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، خاتم النبيين وسيد المرسلين، لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته، ولا يقضى بين الناس في القيامة إلا بشفاعته، ولا يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته.صاحب لواء الحمد والمقام المحمود والحوض المورود، وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم، أمته خير الأمم، وأصحابه خير أصحاب الأنبياء– عليهم السلام.–

هذه جمل ذكرها المصنف –رحمه الله–، في بيان خصائصه – صلى الله عليه وسلم–. والخصائص النبوية مبحث عظيم عند أهل العلم، له تعلق بكتب العقائد، وله تعلق بكتب الفقه، وله تعلق بكتب الأصول، ويذكره العلماء في الغالب في كتاب النكاح، من الفقهاء يذكرونه يعرضون له، وقد صنفت فيه الكتب الكثيرة في القديم وفي الحديث. ومما ذكره المصنف –رحمه الله تعالى– أنه رسول رب العالمين **فقال: ومحمد رسول الله**، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ

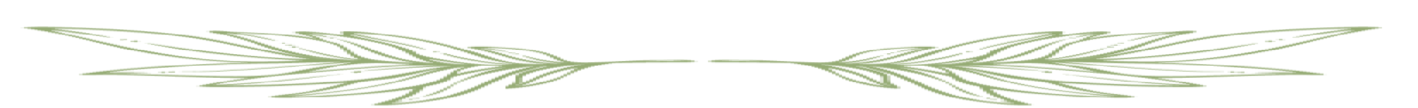
رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ} [الفتح ٢٩]. ووصفه بأنه خاتم النبيين، لأن الله – تبارك وتعالى– قال: {وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب ٤٠]، وفي قراءة أخرى: وَخَاتِمُ النَّبِيِّينَ. وقال: **وسيد المرسلين؛** وهذا الوصف جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة: **((أنا سيد ولد آدم ولا فخر))**، كما عند البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–. ثم قال: **لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته؛** وهذا أمر مجمع عليه، ولهذا لما أقر طائفة من اليهود، ذكروا في كتب الفتن والمحن، وطائفة من النصارى بأنه النبي إلا أنه نبي الأميين، لم يقض أهل العلم بإسلامهم، وقالوا هو نبي ورسول من عند الله، ولكنه رسول إلى الأميين فقط، هذا لا يصح إيمانه حتى يؤمن بأنه رسول الله –جل وعلا – إلى الخلق جميعا.

ثم قال المصنف –رحمه الله–: **ويشهد بنبوته،** لأن الدخول في الإسلام يكون بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وهذا أمر كما قلت لك مجمع عليه. قال: **ولا يقضى بين الناس في القيامة إلا بشفاعته؛** وهذه هي الشفاعة العظمى أو الشفاعة الكبرى، التي يكون لها نبينا –عليه الصلاة والسلام–، وهذه الشفاعة عندما يذهبون إلى آدم ثم إلى نوح ثم إلى موسى ثم إلى عيسى، فكلهم يعتذر إلى الخلق، فيأتون إلى محمد –عليه الصلاة والسلام– فيقول أنا لها. **ولا يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته؛** لأنه –عليه الصلاة والسلام– قال كما في الصحيحين: ((نحن الآخرون السابقون يوم القيامة)). فأمته أول الأمم، ويأتي ويطرق الباب فيقال من؟ فيقول محمد، فيقول بك أمرت أن لا أفتح لغيره. قال: **صاحب لواء الحمد والمقام المحمود؛** المقام المحمود الذي ذكره الرب –تبارك وتعالى– في كتابه بقوله: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء ٧٩]. وهذا المقام هو الشفاعة التي أخبر عنها نبينا –عليه الصلاة والسلام–، وأخبر –صلى الله عليه وسلم– بأن جميع الأنبياء ...لوائه. والحوض المورود، كما مر معنا قريبا أن من خصائصه الحوض، وهو إمام النبيين لأنه –عليه الصلاة والسلام–، أمهم وصلى بهم –عليه الصلاة والسلام–، وأمهم ليلة الإسراء والمعراج وقال –عليه الصلاة والسلام–: ((إذا كان يوم القيامة كنت

إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم، غير فخر.)) هذا ما بينه النبي –عليه الصلاة والسلام–، والحديث عند الترمذي وغيره، فهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم، يعني أنه يشفع لهؤلاء الخلق من أجل فصل القضاء، فنبينا –عليه الصلاة والسلام– خير الأنبياء –صلوات الله وسلامه عليه. ثم قال: "**أمته خير الأمم وأصحابه خير أصحاب الأنبياء**"، أمته خير الأمم بنص القرآن لأن الله تعالى قال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[آل عمران الآية ١١٠] وقد قال –صلى الله عليه وسلم–، كما عند الآجرّي في "الشريعة" وراه أحمد وابن أبي شيبة من حديث عليّ –رضي الله عنه– بسند صحيح أنّ النّبي –صلى الله عليه وسلم– قال:(وجعلت أمتي خير الأمم)، فأمّته خير الأمم –صلى الله عليه وسلم–، وهذا جملة مما ذكره المصنف –رحمه الله– من خصائص نبينا –صلى الله عليه وسلم–، وله خصائص كثيرةٌ مذكورة في كتب أهل العلم، وقد ذكرتُ لك بأنه صنّف فيها قومٌ مصنّفات، يعني في صفته أو خصائصه –صلى الله عليه وسلم.–

و نقف عند هذا المقام و نسأل الله –تبارك وتعالى التوفيق والسداد والهدى والرشاد للجميع، لأن المصنف –رحمه الله– سيذكر بعد ذلك فضائل أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم.–

انتهى الدرس العاشر



وقد إنتهى بنا الكلام إلى ما ذكره المصنّف رحمه الله تعالى من جملة خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم وخصائص أمته ولما ذكر رحمه الله تعالى هذا الأمر ذكر خصائص الصحابة وفضائلهم لأنهم هم أفضل هذه الأمة فقال عليه رحمة الله:

وَأَفْضَلُ أُمَّتِهِ أَبُو بَكْرٍ اَلصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ اَلْفَارُوقُ، ثُمَّ عُثْمَانُ ذُو اَلنُّورَيْنِ، ثُمَّ عَلِيٌّ اَلْمُرْتَضَى رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَء لِمَا رَوَى عَبْدُ اَللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ (كُنَّا نَقُولُ وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حي أفضل هذه الأمة بعد نبيها أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلَيٌّ، فَيَبْلُغُ ذَلِكَ اَلنَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) فَلَا يُنْكِرُهُ البخاري : المناقب (٣٦٥٥) وأبو داود : السنة (٤٦٢٨) وأحمد (١٤/٢).

وَصَحَّتْ اَلرِّوَايَةُ عَنْ عَلَيٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ (خَيْرُ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، وَلَوْ شِئْتَ سَمَّيْتَ اَلثَّالِثَ (أبو داود : السنة (٤٦٢٩)) وابن ماجه : المقدمة (١٠٦) وأحمد (١١٠/١). وَرَوَى أَبُو اَلدَّرْدَاءِ عَنْ اَلنَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَالَ ((مَا طَلَعَتْ اَلشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ بَعْدَ اَلنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَى أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ)) وَهُوَ أَحَقُّ خَلْقِ اَللَّهِ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ اَلنَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) لِفَضْلِهِ وَسَابِقَتِهِ، وَتَقْدِيمِ اَلنَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) لَهُ فِي اَلصَّلَاةِ عَلَى جَمِيعِ اَلصَّحَابَةِ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمْ، وَإِجْمَاعِ اَلصَّحَابَةِ عَلَى تَقْدِيمِهِ وَمُبَايَعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ اَللَّهُ لِيَجْمَعَهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ عُمَرُ رضي الله عنه لِفَضْلِهِ وَعَهْدِ أَبِي بَكْرٍ إِلَيْهِ، ثُمَّ عُثْمَانُ رضي الله عنه لِتَقْدِيمِ أَهْلِ لتقديم أهل الشورى له ، ثم علي رضي الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه .

وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم":عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ اَلْخُلَفَاءِ اَلرَّاشِدِينَ اَلْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ "(أبو داود: السنة (٤٦٠٧) وابن ماجه : المقدمة (٤٢) والدارمي : المقدمة (٩٥). وَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) (اَلْخِلَافَةُ مِنْ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً) .

هذا الفصل ذكر فيه العلامة أبن قدامة رحمه الله ما يتعلق بفضائل الصحابة، ولا بد قبل الدخول في التعليق على كلامه من ضبط أصل متعلق بالصحابة ألا وهو التفريق بين مسألة الفضل وبين

مسألة التفاضل، ووجوب هذا التفريق أنه قد وقع لبعض الأفاضل من الإضطراب في هذا الباب ما ينبغي لطالب العلم أن يضبط معه هذا الأصل، فإن مسألة الفضل مسالة فيها إجماع بين أهل العلم لم يقع فيه إختلاف أبداً لا في القديم ولا في الحديث وأما مسألة التفاضل بين من بعد أبي بكر وعمر فقد وقع فيه إختلاف بين بعض التابعين وأتباعهم وأنقسم الناس فيه إلى ثلاث فرق أو إلى أربعة مذاهب سنشير إليها إن شاء الله تعالى لأهميتها، فهم مجمعون من جهة هذا الأصل على وجود التفاضل بين الصحابة أيضاً فإنما وقع الخلاف في علي وعثمان، فقول من قال أن مسألة التفاضل هذه مسألة تاريخية أو جاءت في أحاديث آحاد أو كانت سبباً في الشقاق والفرقة بين الأمة ، قول باطل لم يصب فيه قائله بل لم يوفق فيه، وعلى كل حال فتتنبه إلى أن مسألة الفضل ومسألة التفاضل بينهما فرق ، فلا بد من إثبات الأمرين، لا بد من إثبات الفضل لعموم الصحابة وكل من ثبتت له الصحبة ولو بمجرد اللقاء دون السماع فلهم فضل الصحبة، ثم هم يتفاضلون في صحبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى ما قررته الشريعة وما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، ومن المعلوم أن الإجماع إنعقد على فضل أبي بكر وعمر بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقع فيهما إختلاف بين الأمة لا قبل وقوع الفتن ولا بعد وقوعها، والمصنّف رحمنا الله وإياه هنا ضمن مسألة الفضائل، مسائل التفضيل، أو مسألة التفضيل فلم يذكر في هذا الموضع فضائل الصحابة لكنه سيأتي شيء منه، فبدأ بمسألة التفاضل بينهم بتقديم الخلفاء الراشدين الأربعة فقال : **وَأَفْضَلُ أُمَّتِهِ أَبُو بَكْرٍ اَلصِّدِّيقُ.**

وهو كما هو معلوم هذه كنيته وشهر بها وإسمه عبد الله بن عثمان بن عامر وهو من بني تميم بن مرة بن كعب، وفضائله في السنة وفي إشارات القرآن كثيرة جداً وكل فضل ثبت للصحابة في عمومهم أو أفرادهم فإن أعظم من ينال هذا الفضل ومن يقدم فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، وتوفي أخر سنة ثلاثة عشر من الهجرة وعاش ما عاشه النبي صلى الله عليه وسلم فقد عاش ثلاثاً وستين سنة .

وعمر الفاروق لأنه فرقان لأن الشيطان يفرق منه رضي الله عنه .

لقب المصنّف أبا بكر بالصدّيق وهي صيغة مبالغة من الصدق وهذه جاء في تلقيب النبي صلى الله عليه وسلم فيها بعض الأحاديث والأمة مجمعة عليه .

ثم عمر الفاروق، وعمر هذا أسمه ويكنى بأبي حفص رضي الله عنه وهو عمر أبن الخطاب من بني عدي أبن كعب أبن لؤي قتل رضي الله عنه على يد أبي لؤلؤة المجوسي في سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وعاش ما عاشه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، فتوفي عن ثلاث وستين سنة رضي الله عنهم أجمعين.

ثم ذكر المصنّف رحمه الله تعالى عثمان ولقبه بذي النورين لأنه تزوج بأبنتين من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا المشهور عند أهل العلم، وأختلف العلماء إختلافاً كثيراً في كنيته والمشهور أنه أبو عبد الله ويقال أبو عمرو ويقال أبو ليلى، وإسمه عثمان أبن عفان من بني أمية بني عبد شمس بن عبد مناف، وكلهم قرشيون، وقتل رضي الله عنه وأرضاه سنة خمس وثلاثين من الهجرة على يد الخوارج الظلمة البغاة وعاش تسعين عاماً رضي الله عنه. قال **وعلي المرتضى،** يعني أنه مرتضى عند هذه الأمة ويكنى بأبي الحسن، ويكنى بأبي تراب، وهو علي بن أبي طالب وأسم أبي طالب عبد مناف أبن عبد المطلب فهو أبن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره وزوج أصغر بناته فاطمة رضي الله عنها وأرضاها، قتل أيضاً في رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة كالنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر هذا هو المشهور مما يذكره المصنّفون رحمهم الله تعالى، المصنّف عليه رحمة الله لما ذكر هذا ذكره على حسب ما أستقر عليه الإجماع، فإن الإجماع أستقر على هذا الترتيب لهم في الفضل بعد أن وقع خلاف بين أهل الكوفة وأهل البصرة وكل من قدّم علياً على عثمان كالثوري أو توقف فيه كالإمام مالك فقد ثبت عنهم الرجوع وأستقر الإجماع كما حكاه أبو العباس أبن تيمية وأبو الفضل أبن حجر

وغيرهم من أهل العلم على أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة ولم تختلف الأمة على ترتيبهم في الخلافة حتى قال الإمام أحمد : (من قدّم علياً على عثمان في الخلافة فهو أضل من حمار أهله)، وقد كان أيوب السختياني رحمه الله يقول : (من قدّم علياً على عثمان)، هذا في عموم الفضل لا في الخلافة ، (فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار)، وهذا الخلاف لم يكن معروفاً أيضاً في زمن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم وإنما حصل بسبب الفتنة الواقعة والحمد لله قد أثبت المنذري وغيره من أهل العلم رجوع كثير من الأئمة الذين إما أن يكونوا توقفوا أو قدّموا علياً على عثمان رضي الله عن الجميع، وأستدل المصنّف رحمه الله على هذا فقال: **لما روى عبد الله أبن عمر رضي الله عنهما قال "كنا نقول والنبي صلى الله عليه وسلم حي أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان**" وهنا تعليق عندكم في الحاشية تراجعونه لإختلاف النسخ التي للمعة "ثم علي فيبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينكره" وهذا الأثر رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه بألفاظ مختلفة أو بلفظ مختلف عما هنا دون ذكر علي وفي رواية جاء ذكره فيه، فهذا في صحيح الإمام البخاري، وقد جاء غيره أيضا من الأدلة الدالة على أن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم كانوا يقولون بهذا القول والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم. قال رحمه الله: **وصحت الرواية عن علي رضي الله عنه أنه قال خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر ولو شئت لسميت الثالث:** وهذا الأثر رواه الإمام أحمد في مسنده وفي فضائل الصحابة وأسانيده صحيحة وقد صححه الشيخ العلامة الألباني عليه رحمة الله وكذلك صححه الشيخ وصي حفظه الله في تعليقه على فضائل الصحابة .

قال رحمه الله: **وهذا من الأدلة الدالة على تقديم أبي بكر وعمر وأنه لم يقع اختلاف بين الصحابة في ذلك.**

قال: **وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر**، وهذا الأثر رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة إلا

أنه أثر ضعيف كما حقق القول فيه الشيخ وصي حفظه الله في تحقيقه لهذا الكتاب، وهذا مجمع عليه وإن ضعف هذا الأثر فإن الإجماع منعقد على أن أفضل الخلق وأفضل البرية وأفضل البشرية بعد الأنبياء والمرسلين، أبوبكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه .

ثم تعرض المصنّف رحمه الله تعالى إلى ترتيبهم في الخلافة وإلى التقديم، التقدم في مسألة الخلافة فقال في أبي بكر: **وهو أحق خلق الله في الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم** ما الدليل ؟ قال: **لفضله** فلم يثبت في فضائل أحد من الصحابة ما ثبت في فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه ولأدلة الكتاب والسنة الدالة على ذلك من طاعة الله وطاعة رسوله وقال رحمه الله: **وسابقته** يعني أنه هو السباق في طاعة رسول الله عليه الصلاة والسلام والامام وماشابه ذلك، قال: **وتقديم النبي صلى الله عليه وسلم له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم وكلهم متوافرون**، والحديث في الصحيحين من حديث عائشة وغيرها لما قال [مروا أبا بكر فليصلِ بالناس]، وقد أختلف العلماء رحمهم الله في ثبوت خلافته فمنهم من قال بالنص، ومنهم من قال بالإجتهاد، ومنهم من قال بالنص الإشاري، وهذا هو الراجح يعني أن النبي عليه الصلاة والسلام نص من جهة الإشارة على أن أبا بكر هو الخليفة لماذا ؟ لأن المعلوم أن الذي يتقدم للصلاة بالمسلمين وبخطبتهم هو الخليفة أبو بكر هو الذي تقدم بذلك بأمر النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام : [يابى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر]، ولما ناقشه بعض نسائه قال [إنكن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس]، فهذا من الأدلة الدالة على أنه هو المقدم في الخلافة، فلما قدّمه النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة كان هو المقدم في الخلافة ثم قال وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته فإن الصحابة لم يختلفوا في أبي بكر ولا في خلافته ولافي تقديمه رضي الله عنهم وأرضاهم وكلهم قدّمه وكلهم بايعه قال المصنّف ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة يشير إلى حديث [لا تجتمع أمتي على ضلالة]، وهذا أمر ظاهر ولما تمت خلافة أبي بكر رضي الله عنه وتوفاه الله كانت الخلافة بعده في عمر فقال: **ثم بعده**

عمر رضي الله عنه بفضله وعهد ابي بكر اليه، هذان دليلان ذكرهما المصنّف رحمه الله **الأول:** الفضل لعمر رضي الله عنه فلم يبقى أحد في الصحابة الأحياء أفضل من عمر رضي الله عنه .

والثاني: عهد أبي بكر إليه وهذا من الأساليب التي تنعقد بها البيعة والخلافة وهو أن يعهد الخليفة لمن بعده فلما توفي أبو بكر عهد بالخلافة إلى عمر رضي الله عنه وينبغي أن يذكر هنا أيضاً الإجماع فيقال ولإجماع الصحابة على ذلك فان الصحابة أجمعوا على خلافة عمر الفاروق . قال: **ثم عثمان رضي الله عنه بتقديم اهل الشورى له،** وهذا أيضاً طريق من الطرق التي تنعقد بها الخلافة والبيعة للإمام وهي أن يرجع فيها إلى أهل الحل والعقد إلى أهل الشورى فإن عمر رضي الله عنه لم يستخلف كما أستخلف أبو بكر رضي الله عنه ولكن أرجع الأمر شورى بين الصحابة وأختار ستة جعل الشورى بينهم فأستقر الأمر في هذه الشورى على البيعة لعثمان رضي الله عنه وينبغي هنا أيضاً أن يذكر إجماع الصحابة فإن الصاحبة أجمعوا على خلافته رضي الله عنه وأرضاه، وبعد مقتله رضي الله عنه وأرضاه تولى الخلافة علي رضي الله عنه فقال: **ثم علي رضي الله عنه،** وذكر دليلين بفضله وإجماع أهل عصره عليه فأما فضله فهذا أمر ظاهر فضل علي وأنه لم يبقى في الصحابة بعد مقتل عثمان أحد أفضل من علي رضي الله عنه وأستشكل بعضهم الإجماع قالوا لأن أهل الشأن لم يبايعوه والمراد هنا إجماع الصحابة الذين بايعوا ولأن أهل الشأن لم يمتنعوا عن بيعة علي رضي الله عنه وإنما كانوا يرون التقدم بأخذ القصاص من قتلة عثمان وإلا فهم متفقون مع أهل البصرة مع غيرهم من الصحابة على أن علياً رضي الله عنه هو أحق الناس في هذه الخلافة فهؤلاء هم الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم وأرضاهم الذين قدمتهم الأمة وفضائلهم كما ذكر المصنّف رحمه الله تعالى كثيرة وسيأتي في كلامه فقال: **وهؤلاء الخلفاء الراشدون،** من الرشد الذي هو ضد الغي **المهديون** من الهدى الذي هو ضد الضلال والله جل وعلا قد فرق بين الغي وبين الضلال فقال (ماضل صاحبكم وما غوى) فالضلال قد يكون من جهة الخطأ أما الغواية فلا تكون إلا عن علم : ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ

سَبِيلًا﴾[الأعراف:١٤٦]، فمن لم يتخذ سبيل الرشد يكون غاوياً والله نفى عن رسوله عليه الصلاة والسلام لبلاغه عنه الضلالة والغواية ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ٢]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم: [عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ] وهذا الحديث تقدّم معنا الكلام عليه في أول الكتاب فهذا ما يتعلق بالخلفاء الراشدين فيما ذكر المصنّف رحمه الله تعالى في هذا الموضع .

ثم قال: **قال صلى الله عليه وسلم الخلافة من بعدي ثلاثون سنة**، وهذا الحديث أخرجه الإمام أبو داود والترمذي وحسنه جمع من الأئمة كشيخ الإسلام والذهبي وأبن حجر والألباني وغيرهم من أهل العلم صححوا هذا الحديث فالنبي عليه الصلاة والسلام أخبر بأن الخلافة هذه هي مدتها، ولما حسب العلماء إلى مقتل علي رضي الله عنه وجدوا أن الخلافة قد أنضطبت في هذا الأمر فكانت آخرها خلافة عليٍّ وجعل المصنّف كما يقول الشيخ أبن عثيمين رحمه الله خلافة الحسن تابعة لأبيه أو لم يعتبرها حيث إنه رضي الله عنه تنازل عنها وعلى هذا فخلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليالي، وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنوات وستة أشهر وثلاثة أيام، وخلافة عثمان رضي الله عنه أثنتا عشرة سنة إلا إثنى عشر يوماً، وخلافة علي رضي الله عنه أربع سنوات وتسعة أشهر من التاسع عشر دي الحجة يعني على ما تقدم في المجموع قال الشيخ فمجموع خلافة هؤلاء الأربعة تسع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام ثم بويع الحسن أبن علي رضي الله عنهما يوم مات أبوه علي رضي الله عنه وفي ربيع الأول سنة إحدى وأربعين سلم الأمر إلى معاوية وبذلك ظهرت آية النبي صلى الله عليه وسلم في قوله الخلافة بعدي ثلاثون سنة وقوله في الحسن إن أبني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وهذا الحديث رواه البخاري .

وهكذا حسب العلماء رحمهم الله تعالى هذا الحديث الذي هو آية من آيات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وعلم من أعلام النبوة .

ثم قال المصنّف رحمه الله: **ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وسعد في الجنة وسعيد في الجنة وعبدالرحمن بن عوف في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة .**

وكل من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة شهدنا له بها كقوله الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وقوله لثابت بن قيس إنه من أهل الجنة ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولانار إلا من جزم له الرسول صلى الله عليه وسلم لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء .

هذا الموضع ذكر فيه المصنّف رحمه الله تعالى العشرة المبشرين بالجنة وينبغي أن نضبط أصلاً مهماً هنا أيضاً وهو أن الإجماع منعقد على أن جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة حكى ذلك أبو محمد أبن حزم وحكاه غيره من أهل العلم لأن الله تعالى قال ﴿وَكُلًّاوَعَدَاللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾[الحديد١٠]، والصحابة رضي الله عنهم كلهم مبشرون بالجنة إلا أن العلماء رحمهم الله يذكرون هؤلاء العشرة لأنهم جاءوا في سياق واحد في حديث سعيد بن زيد وحديث غيره فإنهم ذكروا معاً في نسقٍ واحد ثم بعد ذلك يذكر بعض المعينين وهؤلاء العشرة المبشرون بالجنة هم الأربعة الخلفاء كما هو معلوم والستة نظمهم أبن أبو داود السختياني بقوله:

سعيد وسعد وأبن عوف وطلحة *** وعامر فهر والزبير الممدح

فهؤلاء هم العشرة المبشرون بالجنة، المبشرون بجنة الله تبارك الله وتعالى وكذلك قال المصنّف بعد ذلك: **وكل من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة شهدنا له بها**، وهؤلاء كثر ذكر منهم المصنّف رحمه الله كقوله [الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة] وقوله عليه الصلاة والسلام لثابت أبن قيس أبن شماس [أنه من أهل الجنة] وكما ذكرت لك هذا من باب المثال فحديث [الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة] فهذا رواه الترمذي وهو حديث صحيح الترمذي

وأحمد وغيرهم وقد تكلم عليه الشيخ ناصر رحمه الله في السلسلة الصحيحة وأما حديث ثابت أبن قيس أبن شماس فقد أتفق الشيخان على إخراجه .

ثم ذكر المصنّف رحمه الله تعالى وطبعاً هناك صحابة أخر من الرجال والنساء بشرهم النبي عليهم الصلاة والسلام بالجنة وعين أنهم في الجنة وهذا بمزيد فضلهم وإلا فكما ذكرت لك سابقاً فإن جميع الصحابة في الجنة .

ثم ذكر المصنّف رحمه الله تعالى مسألة من المسائل المتعلقة بهذا الباب فقال: **ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من جزم له الرسول صلى الله عليه وسلم لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء**، مسألة الجزم للمعين بالجنة أو بالنار ينبغي أن يعلم أن العلماء رحمهم الله من أئمة السنة قديماً وحديثاً إنما يخصون بها أهل القبلة ولا يدخلون فيها الكفار ممن عينتهم النصوص بأنهم في النار، وإنما هذا الباب في أهل القبلة فيمن مات على الإسلام. وأمر أخر هو أن العلماء رحمهم الله قد أختلفوا في هذه المسألة على ثلاثة أقوال بسط القول فيها شيخ الإسلام أبن تيمية رحمه الله في كتابه النبوات وفي غيرها من كتبه إلا أن النبوات فيه نوع من التفصيل وكذلك شارح الطحاوية وجملة ما ذكره مستفاد من كلام شيخ الإسلام، وهذه الثلاثة الأقوال خلاصتها:

الاول: أن من أهل السنة من قال بأننا لا نشهد لمعين بجنة ولا نار مطلقاً .

والثاني: انهم يقولون: نشهد لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة أو بالنار ولا نتكلم بعد ذلك بشيء، وهذا قول الجمهور .

والقول الثالث: أنهم قالوا: نشهد لمن شهد له النبي عليه الصلاة والسلام بالجنة ولمن أستفاضت عدالته في الأمة حتى ذكر الإمام أبن تيمية رحمه الله في الكتاب السابق عن أبي ثور رضي الله

عنه ورحمه أنه كان يقول: أحمد في الجنة، يعني الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وذكر جملة من نحو هذا.

وعلى كل حال هذا الباب ينبغي أن يتماشى فيه مع القول الثاني وهو أننا لا نشهد لمعين بجنة ولا بنار إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني من أهل القبلة وأما الكفار فإننا نشهد عليهم بالعموم وعلى من علمنا موته بالكفر بالخصوص، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: [حيث ما مررت بقبر كافر فبشره بالنار]، فمن مات على ملة الكفر فإننا نشهد له بنار جهنم، وقد تكلم على هذه المسألة العلامة الألوسي في جلاء العينين وغيره من أهل العلم.

ثم قال المصنّف رحمه الله: **ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنبٍ ولا نخرجه عن الإسلام بعمل،** هذا الموضع هو الموضع الخامس الذي أشرت إليه في أول الدروس بأنه من المواضع التي أخذت على المصنّف عند بعض الشراح لأنه أطلق القول في الذنب فقال: **ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنبٍ ولا نخرجه عن الإسلام بعمل،** وقوله هنا أهل القبلة المراد بهم الذين يصلّون إلى القبلة كما جاء في الحديث عند البخاري: [من صلى صلاتنا وأستقبل قبلتنا] وأما موضع المأخذ الذي أخذ على الشيخ رحمه الله تعالى فإنه إطلاق لفظ الذنب، وإذا نظرت إلى كلام شيخ الإسلام أبي العباس أبن تيمية رحمه الله تعالى في هذا الباب فإنه يقول عليه رحمة الله : (ونحن إذا قلنا أهل السنة متفقون على أنه لا يكفر بالذنب فإنما نريد به المعاصي كالزنا والشرب)، وعلى هذا فلا وجه لإنتقاد المصنّف في هذا الموضع أيضاً، لأن هذا هو مرادهم كما بينه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى في الجزء السابع صفحة إثنان وثلاثمائة.

فقال: (ونحن إذا قلنا أهل السنة متفقون على أنه لا يكفر بالذنب أو لا يُكَفَّرُ بالذنب فإنما نريد به المعاصي كالزنا والشرب)، هذا الذي يريدونه ولا يطلقون لفظ الذنب ولا يريدون مطلق الذنب، وقول المصنّف: **لا نخرجه عن الإسلام بعمل،** يعني هذا العمل الذي لا يخرجه عن الإسلام، أما

إذا ثبت أن هذا العمل من الأعمال التي يخرج صاحبها عن دائرة الإسلام فإن أهل السنة يكفّرونه بمقتضى الشرع. وكلام شيخ الإسلام رحمه الله في هذا الباب كثير، يقول رحمه الله: (وأهل السنة والجماعة متفقون على أنه لا يكفر المسلم بمجرد الذنب كما يقوله الخوارج ولا أنه يخرج من الإيمان بالكلية كما يقوله المعتزلة ولكن يُنقص الإيمان ويمنع كماله الواجب)، وقال رحمه الله: (وأئمة المسلمين أهل المذاهب الأربعة وغيرهم مع جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان متفقون على أن المؤمن لا يكفر بمجرد الذنب كما تقوله الخوارج ولا يُسلب جميع الإيمان كما تقوله المعتزلة)، وكذا حكى الإجماع أبو عمر بن عبد البر وغيره من أهل العلم.

قال رحمه الله تعالى: **ونرى الحج والجهاد ماضيا مع طاعة كل إمام، برّا كان أو فاجرا، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة**" هذا الموضع ذكر فيه المصنّف رحمه الله تعالى أصلاً من أصول أهل السنة والجماعة ألا وهو طاعة ولاة الأمر وما جعلت لهم الشريعة من الخصائص، وهذا الباب باب عظيم مختلّ عند كثير من الناس. وقد ذكر الإمام محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة له أن من مميزات أهل الجاهلية أنهم كانوا لايدينون بالطاعة لولاة الأمر، وكذلك ذكر هذا شيخ الإسلام رحمه الله في المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلّم أهل الجاهلية. والإمام أحمد يقول رحمه الله: (والغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيامة البر والفاجر لا يُترك) هكذا قال الإمام أحمد كما في رسالة عبدوس بن مالك العطّار. وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء ٥٩]، وجاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: [على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة]، ولم يقل فالخروج عليه وإنما قال لا يُسمع ولا يطاع له في هذا الموضع.

وذكر المصنّف هنا جملةً من خصائص ولي الأمر فقال: **ونرى الحج والجهاد ماضياً مع طاعةكل إمام**، يعني أن من خصائص ولي الأمر أنه هو الذي يتولى الحج وتسيير سياسته

وخطبته وصلاته والمشي في مناسك الحج بالحجاج وهذا ما يسمى بأمير الحج الذي إما أن يكون هو الخليفة أو من ينصّبه الخليفة ليكون أميراً للحج، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلّم هذا وهذا. وكذلك الجهاد، فإن الجهاد من خصائص ولي الأمر، هذا مجمع عليه عند أهل السنة، ولا بد في الجهاد من ولي أمر في جميع شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، وكذلك في هذه الشريعة كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [الإمام جُنة يُقاتَل من ورائه]، وهذا الذي جرى عليه عمل المسلمين لا نزاع بينهم، وإنما نازع في ذلك الخوارج أهل الفوضى الذين لا يرفعون رأساً بالأمير. وقول المصنّف هنا: **مع طاعة كل إمام**، فإذا ثبتت له الإمامة وثبتت له الإمارة وثبت له الحكم فإنه يطاع في طاعة الله تعالى، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة. ويدخل في طاعة الله ما يأمر به مما تقوم به مصالح الناس وتصلح به أمور دينهم ودنياهم كما هو معلوم في نُظُم هذا العصر.

قال رحمه الله: **برّاً كان أو فاجراً**، والعلماء يذكرون هذا دائماً في كتب الإعتقاد، وقد جاء فيه حديث مرفوع لكنه ضعيف: [صلّوا خلف كل برٍّ وفاجر] ويُغني عنه ما جاء في الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام قال: [صلّوا خلفهم، فإن أحسنوا فلكم ولهم وإن أساؤوا فعليهم] وهذا يُغني عن هذا الحديث. والعلماء حينما يذكرون [برّاً كان أو فاجرا] يريدون أن ينبّهوا إلى أن هذه الشريعة قد جاءت ببيان حق وليّ الأمر ولو كان فاجراً ما بقي له إسم الإسلام لأن النبيّ عليه الصلاة والسلام قال: [إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان] وهذا ما دلت عليه السنة والإجماع ودلّ الإجماع من الأئمّة على أنه وإن ثبت الكفر وأنتفت القدرة أو ثبت العجز فإنه لا يجوز الخروج على هذا الحاكم وعلى هذا الإمام ويا ليت الناس يعلمون في هذه الفوضى والضوضاء التي هم فيها بسبب إنتفاء هذا الأصل.

ثم ذكر أيضاً من خصائص وليّ الأمر قال: **وصلاة الجمعة خلفهم جائزة.** يقول الإمام أحمد رحمه الله: (وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولّاه جائزة باقية تامة ركعتين ومن أعادها فهو مبتدع تارك للآثار مخالف للسنة ليس له من فضل الجمعة شيء إذا لم ير الصلاة خلف الأئمّة أين كانوا برّهم وفاجرهم)، كما في رسالة أصول السنة التي هي رسالة عبدوس بن مالك العطار.

وقوله هنا جائزة ليس المراد بالجواز هنا الجواز الإصطلاحي الذي عند الأصوليين وإنما المراد به أنها ماضية بمعنى أنها صحيحة ماضية وإلا فإن صلاة الجمعة واجبة وصلاة الجمعة مع الأمير واجبة فمراده بقوله هنا جائزة من الجواز.

انتهى الدرس الحادي عشر



". وقد انتهى بنا المقام إلى ما ذكره المصنف–رحمه الله تعالى–من الكلام على حقوق أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، أومن الكلام على واجبه أو على الحق الواجب لولاة أمر المسلمين، ثم قال– رحمه الله تعالى–: **قال أنس :قال النبي– صلى الله عليه وسلم–: ((ثلاثة من أصل الإيمان :الكف عمن قال :لا إله إلا الله، ولا نكفره بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثني الله– عز وجل–حتى يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار)) رواه أبوداود.**

وهذا الحديث رواه أبو داوود في سننه، ولكنه حديث ضعيف، قد تكلم عليه الشيخ الألباني–عليه رحمة الله– في ضعيف سنن أبي داوود. وما جاء في مجمل هذا الحديث لا شك في صحته والأمر به. فالكف عمن قال لا إله إلا الله، ملتزما بها، قائما بفرائضها، ومعرضا عن نواقضها، واجب وهذا هو المراد فيمن قال لا إله إلا الله، لأن القول في اصطلاح الشرع داخل فيه تواطئ

القلب وتواطئ اللسان. وقوله: **ولا نكفره بذنب؛** تقدم معنا التقرير والتحرير في هذه المسألة، وأنها من المسائل التي انتُقِدت على المصنف، ولا وجه للانتقاد على مقتضى ما قرره شيخ الاسلام- رحمه الله تعالى-في مقصد أئمة السنة في هذا الباب، وكذلك قال: **ولا نخرجه من الإسلام بعمل؛** -وهذا كله تقدم-**والجهاد ماض منذ بعثني الله- عز وجل-؛** يعني أن الجهاد لم ينسخ ((الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة))، كما جاء عنه-عليه الصلاة والسلام-في الصحيح. وذكر أنه خلف بر وفاجر، أو مع كل بر وفاجر، وهذا من الأمور التي أجمع عليها أئمة السنة.

قال المصنف بعد ذلك: **ومن السنة تولي أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ومحبتهم، وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم. واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم قال الله تعالى:**﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[الحشر10] وقال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح 29]. هذا الموضع ذكر فيه المصنف -رحمه الله تعالى-بعض الواجبات المتعلقة بأصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقول المصنف-رحمه الله تعالى-هنا: **ومن السنة؛** أراد الطريقة وليست السنة الاصطلاحية التي اصطلح عليها الأصوليون، وهي ما يقابل الفرض، وإنما المراد بالسنة الطريقة ولكل قوم سنة وإمامها. وقوله: **تولي؛** يعني الولاء والموالاة، بمعنى أن المسلم يجب عليه أن يوالي أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لأنهم أحق الناس بقوله تعالى:﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾[التوبة ٧١]،﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة٥٥]. فكل آية أمرت بموالاة أهل الإيمان، فإن أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم-في مقدمتها، وأصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، يعني من ثبتت له الصحبة، والصحابي هومن لقي النبي- صلى الله عليه وسلم-مؤمنا به، ومات على ذلك ولو تخللته ردة على الصحيح، على مقتضى ما قرره أئمة الحديث، وهذا الذي ذكرته هو تحرير

الحافظ بن حجر– عليه رحمة الله–وإليه منتهى الاستقراء في كثير من مسائل الحديث في هذه العصور المتأخرة .وليت كثيرين من طلبة العلم، أو طلبة الحديث بهذا العصر، من الذين ينعقون بنعرة التفريق بين المتقدمين والمتأخرين، يعرفون لهذا الحافظ في هذا الباب قدره.

قال: **تولي أصحاب رسول الله– صلى الله عليه وسلم–ومحبتهم**؛ وكذلك نقول، ل نص أُمر فيه بالمحبة والتحابب بين المسلمين، بين المؤمنين، فإن أصحاب رسول الله– صلى الله عليه وسلم– هم الأحق به، وهم المقدمون فيه، والأحاديث والنصوص في هذا كثيرة.

قال **:وذِكر محاسنهم**؛ المحاسن التي لا يحصيها إلا الله– جل وعلا–نذكر لأصحاب رسول الله– صلى الله عليه وسلم–بعضها، وقد قال الإمام أيوب السختياني–رحمنا الله وإياه–: **(**من قال في أصحاب محمد بالحسنى فقد برأ من النفاق**)**. ومحاسن القوم كثيرة، لا يحصيها إلا ربهم–جل جلاله–، فهم الذين اختصهم الله بصحبة نبيه، وبنزول القرآن عليه وهو معهم، وبجهادهم بين يدي رسول الله–صلى الله عليه وسلم –، وبحفظهم للقرآن في الصدور والسطور، وبحفظهم لسنة رسول الله–صلى الله عليه وسلم–في الصدور وفي السطور، وجهادهم في سبيل الله في مشارق الأرض ومغاربها، ودعوتهم إلى الله–تبارك وتعالى –في كل صقع من الأرض، وماذا عسى ستذكر من محاسن القوم، فبِهم حُفظ الدين، وبه حُفظوا– رضي الله عنهم وأرضاهم –، ومن أراد الطعن فيهم إنما أراد اسقاط عدالتهم وشهادتهم ليسقط الدين في أيدي المسلمين.

قال: **والترحم عليهم**؛ أي طلب الرحمة وسيأتي الدليل على ذلك، أي على طلب الرحمة لهم، وهذا من أقل الواجبات في حقهم، أننا إذا لم نذكر محاسنهم، وإذا لم نذكر فضائلهم، وإذا لم ننشر فضائلهم، فلا أقل من أن نترحم عليهم وأن نستغفر لهم. قال: **والترحم عليهم والاستغفار لهم؛** وهاتان درجتان :درجة ذِكْر المحاسن، وهي درجة الكمال والمقام العالي. والثانية: إذا لم تنشر المحاسن فعليك بالاستغفار لهم، وهذا الأمر واجبٌ كما قرر ذلك أئمة الإسلام بدليل الكتاب، ولما

ذَكَر ما يجب لهم من ذِكْر المحاسن، والترحم، والمحبة، والاستغفار، ذكَر ما يناقضه وهو الكَفُّ عن ذكر مساوئهم فقال –رحمه الله تعالى–: **والكف عن ذكر مساوئهم**؛ وهذه المساوئ قد تكلم عليها شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى –بما لا مزيد على تقريره في العقيدة الواسطية، وأتى فيه من التحرير والتقرير ما ينبغي على طالب العلم أن يتأمله، وأن يعضَّ عليه بالنواجذ، فإنه من أعظم المباحث في كتاب العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام –رحمه الله تعالى –، ورتَّبه ترتيبًا نفيسًا –عليه رحمة الله ومغفرته –وجزاه الله خيرًا عن الإسلام والمسلمين، فإنهم لهم من السوابق ومن الفضائل.

وبعد أن ذكر –رحمه الله تعالى–ما هو الواجب اتجاه الصحابة، بقوله: (فصلٌ: ومن أصول أهل السنة والجماعة؛ سلامة قلوبهم وألسنتهم على أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم –)، ذكر قوله: (ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنهم يُغفر لهم من السيئات ما لا يُغفر لمن بعدهم). ثم ذكر أن (كل الأسباب الموجِبة للمغفرة، فإنها في حق أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم –مُقَدَّمة)، ثم ذكر أن (القدر الذي يُنْكَر من فعل بعضهم نزغٌ مغمورٌ في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح)، إلى ما لا نهاية له من هذا الكلام. وذكر مراتب ما نُقِل عنهم، وأن عامته مما لم يثبت وإنما هو مما تناقله المؤرخون دون أن يكون صحيحًا إلى أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم–. والنبي –صلى الله عليه وسلم –قال: ((إذا ذُكِرَ أصحابي فأمسكوا))، وقال كما سيأتي في قول المصنف: ((لا تسبُّوا أصحابي))، وقال: ((لعنة الله على من سب أصحابي))، والحديث حسن. **فقوله هنا: والكَفِّ عن ذِكْر مساوئهم**؛ إن وُجِدت وتحققنا من وجودها، لأنهم بشر ليسوا معصومين، وهذا من بشريتهم لكن لا يُعْلَم عن أحدٍ أنه مات مُصِرًّا على شيءٍ من الذنوب المحقَّقة، وينبغي لطالب العلم أن يجعل كلام شيخ الإسلام–رحمه الله تعالى –نصب عينيه في تحقيقه لمسائل الصحابة على الأقل في العقيدة الواسطية وما شجر بينهم، يعني والذي شجر بينهم فإننا نسكت عنه. ومن روائع ما يُروَى في هذا، أن مجاهد

بن جبر المكي، –وانظروا إلى فقه هؤلاء الأئمة–أن مجاهد بن جبر المكي–رحمه الله –، التابعي الجليل وأخصُّ تلاميذ عبد الله بن عباس–رضي الله عن الجميع –قال: (إن الله قد علم بما يكون من أصحاب رسوله –صلى الله عليه وسلم –وأمر بالاستغفار لهم). ولهذا جاء في صحيح مسلم عن عائشة –رضي الله عنها–أنها قالت: ((أمروا بالاستغفار لهم فسبُّوهم)). فيجب الإمساك عمَّا شجر بينهم، والله –تبارك وتعالى–يتولاهم، هذا الذي سار عليه أئمة السلف.

قال: واعتقاد فضلهم؛ كما مر معنا، فإن هذا واجب أن نعتقد فضلهم وأن نعتقد تفاضلهم ومعرفة سابقتهم، يعني أنهم هم السبَّاقون لكل خير ليسوا فقط في الإسلام، كل خير سيعمله المتأخرون فقد سبق إليه أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم –، لأن الله قال فيهم:﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ ﴾[التوبة ١٠٠]. وقال عنهم:﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾[الفتح ١٨]، وقال–جل وعلا –:﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾[الحديد ١٠]، وقال:﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴾[الحشر ٨]. وكلُّ آيةٍ في القرآن فيها ثناءٌ على المؤمنين، والمصلين، والمجاهدين، والمزكين، والحجاج، وذوي الخلق، والصبر، والإحسان، والإيمان، والصدقة، والنفقة، فإن أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم –هم أهلها، وأصحابها، والمقدمون فيها. قال المصنف–رحمه الله –: **قال الله تعالى**: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ﴾ [الحشر١٠] ؛ هذه الآية جاءت في سياق سورة الحشر، وقد جاء بسند صحيح عن سعد بن وقاص أبي إسحاق أحد العشرة المبشرين بالجنة–رضي الله عنه –أنه قال: (إن الله قسم هذه الأمة إلى ثلاثة أقسام، فانظروا فيها أين أنتم –أو كما قال –رحمه الله –، ثم ذكرها فقال–: قال الله تعالى:﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر ٨]. قال: وهذه طائفة المهاجرين وقد مضت والثانية قال: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ

عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوكَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر ٩]، وهذه طائفة قد تولت والثالثة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[الحشر ١٠]. وهذه باقية، فمن لم يكن من هذه الطوائف الثلاث فليس من هذه الأمّة)، أو كما قال رحمه الله تعالى: الآية فيها ثناء على الصحابة رضي الله عنهم.

وقال تعالى:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ ﴾[الفتح ٢٩]. فهم المتصّفون بأعظم الصفات وأفضلها، وكما ذكرت لك، فإن كلَّ آية في كتاب الله فيها ثناء على الإيمان وأهله، فإنّ أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–هم المقدّمون فيها.

قد تكلم العلماء –رحمهم الله تعالى–على سبّ الصحابة –رضي الله عنهم–، وتفاصيله، ولخصّ ذلك العلامة ابن عثيمين –عليه رحمة الله–في شرحه لهذا المتن وذكر ثلاثة أقسام: (الأول: أن يسبّهم بما يقتضي كفر أكثرهم، أو أنّ عامتهم فسقوا فهذا كفر، لأنّه تكذيب لله ورسوله في الثناء عليهم والترضي عنه) –إلى آخر ما قال–. (الثاني: أن يسبّهم باللعن والتقبيح، ففي كفره قولان لأهل العلم، وعلى قول أنّه لا يكفر يجب أن يُجلَد ويُحبَس حتى يموت أو يرجع عمّا قاله).

هذا قول الشيخ العثيمين انتهى، حتّى قال شيخ الاسلام –رحمه الله–عن هذه الدرجة أو هذا النوع: (فهذا محلّ الخلاف فيهم، بتردد الأمرين فيهم بين لعن الغيض ولعن الإعتقاد كما في الصارم المسلول فالقول بكفرهم ليس ببعيد). (الثالث: أن يسبّهم بما لا يقدح في دينهم فلا يكفر ولكن يعزر بما يردعه عن ذلك)، ذكر معنى ذلك ابن تيمية رحمه الله تعالى في الصارم المسلول.

قال: **وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–:** ((لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه))، وهذا حديث متفق عليه، وهو حديث مشهور، بيّن فيه –صلى الله عليه وسلم–أن النّاس مهما عملوا من الأعمال الصالحة، فلن يبلغوا منزلة أصحابه –رضي الله

عنهم وأرضاهم–، فلا يكون أحد بعد أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–في الفضل كمثلهم، لأنّ العبد مهما عمل من الأعمال فلن يبلغ مرتبة الصحبة فانتبه لهذا.

قال بعد ذلك –رحمه الله–: **ومن السنّة الترضي عن أزواج رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء، أفضلهن خديجة بنت خويلد، وعائشة الصديقة بنت الصديق، التي برأها الله في كتابه، زوج النبي –صلى الله عليه وسلم–في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم.**

هنا ذكر المصنف –رحمه الله–الحق الواجب في أزواجه، –عليه الصلاة والسلام–، وهن أمهات المؤمنين فقال: **من السنة**؛ وكما تقدم معنا أن المراد بالسنة هنا الطريقة، **الترضي**؛ أي طلب الرضوان عن أزواج رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وهن أقرب النّاس إليه، وأحبّ النّاس إليه، وهنّ أهل بيته كما سيأتي، أمهات المؤمنين المطهرات، لأن الله قال في كتابه الكريم:﴿ إنّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[الأحزاب ٣٣]، من كل سوء. وهذا الأصل متفق عليه بين أهل السنة والجماعة، وقد نصّ جمع من الأئمة على أنّ أزواج النبي –صلى الله عليه وسلم–من آل بيته، وهذا هو المرجح عند طائفة من العلماء كما ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله–في منهاج السنة، وتبعه على ذلك الذهبي في مختصره لمنهاج السنة، وبه قال العلامة القرطبي في تفسيره، وكذلك انتصر لهذا القول ابن كثير –رحمه الله تعالى–في تفسيره، كذلك الشوكاني في فتح القدير وبن عثيمين في الواسطية، وهو الذي سمعت شيخنا العلامة الفوزان يقررّه وأنه هو الراجح الذي دل عليه الدليل. ومنه انهن داخلات في قوله تعالى:﴿ إنّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[الأحزاب ٣٣]، لأنّ الله –تبارك وتعالى– ذكر آية التطهير بعد ذكر أزواج النبي –صلى الله عليه وسلم–. ثم ذكر المصنف –رحمه الله تعالى–مسألة اختلف فيها أهل العلم، وهي مسألة التفضيل بين خديجة وعائشة، وهذه المسألة فيها ثلاثة أقوال لأهل العلم –رحمهم الله–. فمنهم مقدم خديجة، ومنهم من قدم عائشة، ومن من توقف،

والتوقف طريقة الإمام الذهبي –رحمه الله تعالى–. وهذه المسألة فيها قول رابع وهو التفصيل، فقالوا بأن خديجة في أول الإسلام أدركت ما لم تدرك عائشة –رضي الله عنها–وعائشة أدركت بعد نزول الشرائع والأحكام ما لم تدركه خديجة –رضي الله على الجميع–، فهذه أربعة أقوال ذكرها شيخ الإسلام وغيره من أهل العلم.

ثم إنه –أي المصنف–ذكر مسألة قذف عائشة بما برَّأها الله تبارك وتعالى منه، وأن فاعل ذلك قد كفر لأنه نسب إليها ما برأها الله تبارك وتعالى منه، وقذف عائشة بما برأها الله منه كفر بالإجماع، لأنه تكذيب للقرآن، ورد للإجماع، وقد نص على هذا طوائف من أهل العلم لا يحصيهم إلا الله كما نقله القاضي أبو يعلى وابن تيمية وكثير من الأئمة، نقلوا الإجماع على أن من طعن في عائشة بعد إذ برأها الله فإنه كافر بإجماع أهل العلم.

قال المصنف –رحمه الله–: **ومعاوية خال المؤمنين وكاتب وحي الله، أحد خلفاء المسلمين – رضي الله عنهم–.** وهذه المسألة ذكر فيها المصنف –رحمه الله تعالى–الكلام على معاوية بن أبي سفيان دون غيره، لأن بعض السلف كان يرى أن معاوية ابن أبي سفيان–رضي الله عنه وأرضاه–هو الباب الذي يولج منه إلى أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فمن ولج هذا الباب وسُلِّم له بالدخول فيه فإنه سيدخل على أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–لا مَحال. وهذا أمر ظاهر وقد جاء عن السلف ما يقرر هذا الأمر، وهو أن معاوية باب إلى أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–. ووصف المصنف –رحمه الله تعالى– معاوية بأوصاف فقال: **ومعاوية خال المؤمنين**، وإنما وصفه بهذا الوصف، لأن أخته رملة بنت أبي سفيان وهي أم حبيبة، إحدى أزواج النبي –صلى الله عليه وسلم–، فهو خال المؤمنين من هذه الناحية، وقد ذكر هذا أيضا الحافظ بن كثير –عليه رحمة الله– في البداية والنهاية. وكاتب وحي الله، لأنه أحد كتبة الوحي الذين كتبوا الوحي بين يدي النبي –صلى الله عليه وسلم–، كعثمان وزيد بن ثابث، وقد أحصوا في كتب علوم القرآن ورسم المصحف الذين كانوا يكتبون الوحي للنبي –صلى الله عليه وسلم–. أحد خلفاء المسلمين –رضي الله عنه– وهو الذي تنازل له الحسن،

وسمي عام الجماعة كما أشار إلى ذلك النبي –عليه الصلاة والسلام– بقوله: ((إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين))، وقد كان كما أخبر به النبي –صلى الله عليه وسلم–، وقد جعل الله على يديه من الفتوح والانتصارات ودخول الناس في دين الله أفواجا.

ثم ذكر المصنف –رحمه الله تعالى–، طريقة من طرق أهل السنة فقال: **ومن السنة** –وقلنا بأن المراد بالسنة في كتب الاعتقاد الطريقة التي سار عليها أئمة السلف–، قال: **ومن السنة: السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين – برهم وفاجرهم– ما لم يأمروا بمعصية الله، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله.**

ومن ولِي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، أو غلبهم بسيفه حتى صار الخليفة، وسمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين.

قد تقدم معنا في الدرس الماضي شيء مما يتعلق بهذا الأصل، وهذا أصل عظيم ضيعه كثير من المسلمين في هذه الأعصار، فحصل بسبب تضييعه من الفتن والشرور والأحقاد وسفك الدماء وتعطيل مصالح الدين والدنيا، ما لا يعلمه إلا الله –تبارك وتعالى–، ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية إذ يقول (بأنه لا يعلم عن طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجهم من الشر أكثر مما قصدوه من الخير)، هذا أمر معلوم. يقول القحطاني –رحمه الله–:

لا تخرجن على الامام محاربا * ولو أنه رجل من الحبشان**

كما جاء في حديث العرباض بن سارية –رضي الله عنه–، أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)). والله –تبارك وتعالى– قد قال في كتابه الكريم كما تقدم معنا:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[النساء ٥٩]. والنبي –صلى الله عليه وسلم– قال كما في الصحيحين: ((على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، ما لم يِمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)). وقال –عليه الصلاة والسلام– كما في صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك: ((ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدا من طاعة)). فهذه النصوص وغيرها كثير مما جمعه الإمام مسلم –رحمه الله تعالى– في كتاب

الإمارة شيء كثير. فانظر إلى الإمام أحمد، إمام أهل السنة والجماعة، ماذا فعل مع الأمراء والخلفاء في زمانه، حتى إنه قال في رسالة عبدوس بن مالك العطار: (والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين، البر والفاجر، ومن ولي الخلافة، واجتمع عليه الناس ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين). هذا يقوله الإمام أحمد –رحمه الله–، وكذلك أئمة السنة مجمعون على هذا الأصل، لا خلاف بينهم فيه، واختلال هذا الأصل ضيع على الناس مصالح الدين والدنيا، فالسمع والطاعة بالمعروف لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين، برهم وفاجرهم، هو طريقة النبي –صلى الله عليهم وسلم–، وذكرت لكم في الدرس الماضي ما قاله محمد بن نصر المروزي وما قرره محمد بن عبد الوهاب في كتاب مسائل الجاهلية: (فأما إذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة).

ثم ذكر المصنف –رحمه الله تعالى– ما تثبت به الخلافة وتنعقد به الإمارة فقال: **ومن ولِي الخلافة واجتمع عليه الناس** –بمعنى أنهم أجمعوا على مبايعته– **ورضوا به** – فهذا أول الطرق الشرعية–، **أو غلبهم بسيفه** وهذا مما أجمع عليه العلماء، لأن خلافة الكثير من الخلفاء أو الحكام المتأخرين كانت بمثل هذه الطرق، فإذا استقر له الأمر واستتب، فإنه لا يجوز الخروج عليه، براًّ كان أو فاجراً، بل يجب الطاعة له، ويجب جمع القلوب عليه، هذا الذي قرره أئمة السنة، ورحم الله الحسن إذ يقول:(حاكم غشوم ولا فتنة تدوم). **قال: وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه، وشق عصا المسلمين.** فلا يجوز معصيته، ولا يجوز الخروج عليه، ولا يجوز شق العصا، بل يمضى خلفه، والحد الفاصل بيننا وبينه هو بقاؤه على الإسلام، فإذا بقي على الإسلام فإننا نسمع ونطيع له، وإن كان عنده فسوق ظاهر أو خفي فأمره إلى الله –تبارك وتعالى– . والخروج على الحكام يشمل خروج القول ويشمل خروج الفعل. والخوارج هم أصل هذا الباب وهم الذين يُذْكُونَ نار هذه الفتن ضد حكام المسلمين وضد من غلب على بلاد المسلمين وتسفك الدماء بسببهم ولا يعلم من الفساد ولا يعلم أحد قدر الفساد الذي يكون بسببهم إلا ربّ العالمين –تبارك وتعالى–، فالخروج على ولاة الأمر محرّم وهذا أمر مجمع عليه.ثمّ ذكر المصنّف –رحمه الله تعالى– مسألة الهجر لأهل الأهواء والبدع... **انتهى الدرس الثاني عشر**

ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم وترك الجدال والخصومات في الدين وترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم وكل محدثة في الدين بدعة، هذا الموضع ذكر فيه المصنّف –رحمه الله تعالى– حكماً شرعياً من الأحكام المتعلقة بالمبتدعة، والمبتدعة ليس لأهل السنة والجماعة حكم مستقرٌ أو مضطردُ عليهم يعني أن يحكم عليهم بالكفر مطلقاً والخروج عن الإسلام أو بانهم من أهل الإسلام بل يتناولهم هذا الحكم وهذا الحكم كما قرر ذلك شيخ الإسلام أبو العباس أبن تيمية رحمه الله تعالى وهذه مسألة مهمة من المسائل المتعلقة بالحكم على أهل الأهواء والبدع فإن منهم من أخرجته بدعته عن دائرة الإسلام ومنهم من لم تخرجهم بدعتهم عن دائرة الإسلام ولا يطلق فيهم القول مطلقاً وهذا أمر معلوم وشيخ الإسلام رحمه الله تعالى حكى إتفاق أهل السنة والجماعة على هذا الذي ذكرته لكم وإذا علم هذا وتبين فإن الحكم على أهل البدع يختلف بإختلاف بدعتهم كما هو مقرر والعلامة أبن قدامة رحمه الله تعالى يذكر لنا هنا جملةً من الأحكام المتعلقة بهم فقال **ومن السنة** وقد مضى معنا التقرير على هذا الموضع من أنهم حيث أطلقوا لفظ السنة في كتب الإعتقاد فإنما يريدون به الطريقة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقوله **هجران أهل البدع** هذا هو الحكم الأول من احكام معاملة أهل الاهواء والبدع دون إستثناء ولا تفريق فمن وسم بالبدعة ونسب إليها وأنتسب إليها فإن هذا الحكم يشمله وقد دل على هذا الحكم الكتاب والسنة والإجماع فأما الكتاب والسنة ففيهما دليل واحد جاء مفسراً من النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما رواه الشيخان في صحيحهما من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ [ال عمران:٧]، ثم قال عليه الصلاة والسلام فهذا الحديث تضمن الدليلين تضمن دليل القرآن وتضمن دليل السنة وأما الإجماع فقد حكاه غير واحد من أهل العلم ومن أجل وأحسن من حكاه الإمام البغوي رحمه الله تعالى في شرح السنة وإنما قلت هذا الكلام لأن البغوي رحمه الله تعالى لما حكى الاجماع عن السلف رحمهم الله في هجران أهل البدع أجاب عما قد يستشكله بعض الناس من أن النبي صلى الله عليه وسلم [نهى عن هجران المسلم فوق ثلاث] فقال إنما هذا في أمور الدنيا فإذا كان الأمر متعلقاً بأمور الدين فإن المبتدع يهجر على

التأبيد حتى يرجع عن بدعته وأما إذا كان في أمور الدنيا فانه يحمل على هذا الحديث وينبغي أن يعلم أيضاً أن الأصل في معاملة المسلمين هو عدم هجرهم بل الإتلاف والاجتماع معهم ولكن يخرج عن هذا الأصل بسبب البدعة والمخالفة الشرعية فهذا ما يتعلق بهجران أهل البدع والآيات الدالة على هجرانهم كثيرة جداً ومن محاسن ما أستدل به العلامة أبن العثيمين عليه رحمة الله في شرحه لهذا المتن ما جاء في مسند الإمام أحمد من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال [من سمع بالدجال فلينأ عنه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات] وهذا فقه جليل لأن كل فتنة وضعت على هذه الأرض فإنما هي لأجل الدجال كما جاء في حديث حذيفة عند الامام أحمد وغيره ومن الأمور التي ذكرها المصنّف رحمه الله تعالى المتعلقة بهم قال **ومباينتهم** والمباينة هي التي يعبر عنها في هذا العصر بالمفاصلة لأن مباينة الشيء مفاصلته وهي من لوازم الهجر فمن لوازم الهجر أن تباين المبتدع لا تخالطه لا تجالسه لا تكلمه والهجر أصله وحقيقته وأوله ترك السلام في أمور الدين وفي أمور الدنيا لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال [وخيرهما من يبدأ بالسلام] ولأن لما جاء في قصة الثلاثة الذين خلفوا ما كان الصحابة يردون السلام عليهم فهذا دليل على أن أصل وأول الهجر ترك السلام ومن ذلك أيضاً المفاصلة والمباينة وعدم مخالطتهم وهذا أمر متقرر في جميع كتب إعتقاد السلف:

لا تلق مبتدعاً ولا متزندقاً * إلا بعبسة مالك الغضبان**

قال وترك الجدال والخصومات هذا أصل مهم من أصول السنة والذي ذكره عامة أو جميع من صنف في كتب الإعتقاد ومن أحسن ما ذكره الإمام أحمد رحمه الله في كتابه "رسالة عبدوس بن مالك العطار التي هي أصول السنة فإنه قرر ذلك ببيان ما هو الواجب تجاه أهل البدع وأنهم لا يجادلون ولا يخاصمون وقد دل على ترك مجادلة أهل البدع الكتاب والسنة والاجماع أيضاً فأما الكتاب والسنة فدليلهما مقترن وهو ما رواه الترمذي من حديث أبو أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل] ثم قرأ قوله تعالى ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [الزخرف ٥٨]، فالجدل والجدال سيمى لأهل الأهواء والبدع وهم الذين

يحرصون عليه لكثرة تنقلهم وإضطرابهم وولوج الشبهات في قلوبهم ولهذا (جاء رجل إلى الإمام أبي عبد الله مالك ابن أنس رحمه الله فقال أجادلك! قال فإن غلبتني ؟ قال: إتبعتني، قال: فإن جاء أخر فغلبني ؟ قال: إتبعته، قال: إذهب إلى شاكٍ مثلك فإني على يقين من ديني) .

وكان يقول رحمه الله تعالى: (من جعل دينه عرضةً للخصومات أكثر التنقل) فالجدل والخصومات في الدين منهي عنه نهياً أكيداً ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى في الرسالة المشار إليها سابقاً قال: **وترك الخصومات وترك الجلوس مع أصحاب الأهواء وترك المراء والجدال والخصومات في الدين.**

هذا الذي إطرد عليه فعل أهل السنة وقولهم، قال رحمه الله تعالى : **وترك النظر في كتب المبتدعة.**

وهذا من جهة التعامل مع كتبهم ولهذا الإمام أحمد –رحمه الله تعالى– لما سئل عن الحسين الكرابيسي وعن كتبه قال: (إنما جاءتهم هذه الضلالات وهذه البدع من هذه الكتب) والذهبي –رحمه الله تعالى– لما ذكر كشاف الزمخشري قال عنه : (محمود بن عمر الزمخشري داعية الإعتزال فكن على حذر من كشافه)، وسئل العلامة الفوزان حفظه الله ورعاه عن قراءة كتب أهل البدع وأنظر إلى هذه الفتوى فقال: قراءة كتبهم وسماع أشرطتهم كمجالستهم.

فقراءة كتب أهل البدع وسماع أشرطة أهل البدع هذا كمجالستهم فطالب العلم يحرص على البعد وعلى عدم إقتناء كتب أهل البدع وقد قال العلماء إلا لمن يريد الرد عليهم ممن تمكن من العلم فإذا تمكن الإنسان من العلم فإنه يقرأ من أجل الرد عليهم وبيان ضلالتهم وكشف عوارهم وهذا فيه صيانةً للقلوب ، صيانةً للدين ومن مقاصد الشريعة العظيمة الخمسة أو الستة عند طائفة أخرى من العلماء رحمهم الله ، حفظ الدين وحفظ الدين من أسبابه وأساليبه، عدم الإصغاء ومجالسة وقراءة كتب المبتدعة وكما قال الحافظ الذهبي رحمه الله : (فإن القلوب ضعيفة والشبه خطافة) والكلام على هذه الأصول يطول لكن المراد هو الإشارة التي تبين مقاصد هذا المتن قال :

والإصغاء إلى كلامهم، يعني أنك لا تصغي إلى كلامهم لا تجالسهم ومن لوازم هذا أنك لا تسمع كلامهم وكما جاء عن جمع من السلف ، كما جاء عن أيوب السختياني وعن طاووس بن كيسان اليماني أن بعض المبتدعة كان يأتي إليهم فيقول: (أكلمك، قال : ولا كلمة، قال: أقرأ عليك آية من القرآن، قال : لا إما أن تقوم أو أقوم) ، فهذا الذي كان عليه السلف في معاملتهم ولذلك حفظ الله دينهم وعقيدتهم ومنهجهم وهذا من الأمور المهمة العظيمة، قال : **وكل محدثة في الدين بدعة.**

وهذا مر معنا لأن الله تعالى قال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾

وفي الصحيحين من حديث عائشة أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: [من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد]، وفي مسلم عن جابر: [كل بدعة ضلالة] ، وفي السنن والمسانيد عن العرباض بن سارية: [وكل بدعة ضلالة] ، إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة التي تدل على أن كل محدثة في الدين بدعة، فالمحدثات كلها بدع لا يجوز أن يعتقد الإنسان شرعيتها ولا التعبد بها ولا أن ها تدخل الأحكام الخمسة بل البدع كلها منهي عنها ، لا يجوز للمسلم أن يعتقد أن بدعة من البدع تلحق بالدين أو أنها من الدين ، ثم قال رحمه الله : **وَكُلُّ مُتَسَمٍّ بِغَيْرِ اَلْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ مُبْتَدِعٌ، كَالرَّافِضَةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ، وَالْخَوَارِجِ، وَالْقَدَرِيَّةِ، وَالْمُرْجِئَةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَالْكَرَّامِيَّةِ، والكُلَّابِيَّةِ، وَنَظَائِرِهِمْ، فَهَذِهِ فِرَقُ اَلضَّلَالِ، وَطَوَائِفُ اَلْبِدَعِ، أَعَاذَنَا اَللَّهُ مِنْهَا** ، هنا يقول المصنّف : و**كُلُّ مُتَسَمٍّ** . أي اذا تسمى وأنتسب وأنتمى إلى بدعةٍ أو طائفةٍ أو منهجٍ أو جماعةٍ أو حزبٍ إلى غير الإسلام والسنة مبتدع، ولهذا سئل الإمام مالك رحمه الله تعالى : (من أهل السنة ؟ فقال: الذين ليس لهم إسم ينتسبون إليه إلا السنة)، يعني أنهم أهل السنة والجماعة وكل ما أدى إلى هذا الغرض ، كل ما يتصفون به مما يحقق هذا الوصف فهم أهل السنة والجماعة، هم أهل الاثر، هم السلفيون، هم الطائفة المنصورة، هم الفرقة الناجية، هم أهل الحديث، هم أهل العلم، إلى غير ذلك إذا التزموا

كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وماكان عليه سلف الأمة وهنا لا بد من التنبيه على أمر في سبب التسمي بالفرق والإنتساب إليها، أحياناً ينتسب أو ينسب أهل البدع إلى المقالة يعني بسبب المقالة التي قالوها مثل القدرية، والمرجئة، فإنهم نسبوا إلى القدرية بسبب كلامهم في القدر ونسبوا إلى المرجئة بسبب كلامهم في الارجاء، وأحياناً ينسبون إلى القائل أي إلى قائل هذه المقالة كالشأن في الجهمية والكرامية والسالمية ومن شابههم وتارة ينسبون إلى الفعل الذي فعلوه كالخوارج والروافض فإنهم بسبب فعلهم لرفض الشيخين ورفض زيد بن علي بن الحسين وبسبب أيضاً خروج الخوارج على الأمراء نسبوا إليها وأما أهل السنة فإنهم ينتسبون إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينتسبون إلى قائل ولا إلى قول ولا إلى فعل وليس لهم الإنتساب إلا إلى الكتاب والسنة وما أدى إليهما وهذا الأصل ينبغي أن يكون معروفاً وقد ذكر المصنّف رحمه الله تعالى جملةً من الفرق بغرض التحذير منها قال:

كالرافضة والرافضة سموا بذلك لأحد أمرين قيل لأنهم رفضوا خلافة الشيخين، وقيل لأنهم لما جاءهم زيد بن علي وقد كانوا عرضوا أن يقاتلوا تحت رايته فقالوا: حتى تبرأ من الشيخين فقال: (هما وزيرا جدي فرفضوه فقال رفضتموني !؟) ولا مانع أن يكون السبب راجعاً إلى هذا وإلى هذا لأن سبب رفضهم لزيد بن علي بن الحسين هو أنه لم يرفض خلافة الشيخين والرافضة لهم عقائد كثيرة جداً متعلقة بتوحيد الربوبية، متعلقة بتوحيد الألوهية، متعلقة بتوحيد الأسماء والصفات، متعلقة بباب الصحابة، فلم يخلوا باب من أبواب الإعتقاد إلا والرافضة مخالفون فيه لأهل الإسلام، فالرافضة الإثنى عشرية هؤلاء كفار كما حكى الإجماع على كفرهم غير واحد من أهل العلم وقد صنّف بعض أفاضل إخواننا كتاباً في إثبات كفرهم جمع فيه أقوال أهل العلم والكتب في هذا كثيرة وأصل لبوس أو لبس الرافضة الذي تزيوا به للتلبيس على أهل الإسلام هو ولاء أهل البيت ومحبتهم وهم كاذبون في هذا كما هو معروف، فهم يقولون (لا ولاء إلا ببراء) فلا يوالي علياً وآل البيت إلا من يتبرأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ضلال مبين فهم قبورية في

باب الألوهية، ومشركون فيه حتى صنّف فيهم المفيد كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في الإستغاثة في الرد على البكري أن المفيد الرافضي صنّف لهم كتاباً سماه "مناسك المشاهد" يعني مشاهد القبور كيف يتعبدون عندها كمناسك الحج وهؤلاء الرافضة قبورية في باب الألوهية، كما قلت لكم وعندهم شرك في باب الربوبية يعتقدون أن الأئمة يتولون أمر الكون ويساعدون الرب جل وعلا تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً في شؤون هذا الكون وقد كان ظهور أول مقالاتهم في زمن علي بن أبي طالب على يد عبد الله بن سبأ وهم الذين حرقهم:

لما رأيت أمرا منكرًا :: أججت ناري ودعوت قنبراً

فحرقهم وأنكر عليه أبن عباس لأنه كان لم يعلم بالنهي عن التحريق بالنار .

ثم ذكر المصنّف –رحمه الله تعالى– الجهمية، وهؤلاء ينتسبون إلى الجهم بن صفوان فهم منتسبون إلى القائل أو المنشئ لهذه الفرقة وهو الجهم بن صفوان السمرقندي قتله سلم بن أحول سنة احدى وعشرين ومائة (١٢١هـ) وأخذ التعطيل عن الجعد بن درهم وهو أول من أظهر مقالة التعطيل وهو الذي قتله خالد بن عبد الله القسري وقال مقالته المشهورة : (ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليماً) .

وهؤلاء الجهمية أراد بهم المصنّف –رحمه الله تعالى– الخالصة، لأن الجهمية كما ذكر شيخ الإسلام أبن تيمية –رحمه الله– في التسعينية على ثلاث درجات:

١. الجهمية الخالصة ، ٢. الجهمية المتوسطة ، ٣. الجهمية المتوسطة الخفيفة أو بهذا المعنى .

فالجهمية الخالصة هم الذين نفوا الأسماء والصفات مطلقاً، والجهمية المتوسطة وهم المعتزلة الذين نفوا الصفات وأثبتوا الأسماء، والجهمية الأقل وهم الذين أثبتوا الأسماء وبعض الصفات على طريقتهم في الكلام ونفوا باقي الصفات الفعلية وهم على درجات، هم أنفسهم فالأشعرية المتقدمة

والكلابية الذين كانت أصولهم كلابية ليسوا كالاشعرية المتأخرين والجهم بن صفوان لم يقتصر إعتقاده على نفي الصفات بل إنه كان في القدر جبرياً وفي الإيمان مرجئاً وعنده من الضلالات والمقالات الضالة كغيره من أهل البدع .

ثم ذكر المصنّف –رحمه الله تعالى– الطائفة الثالثة وهي الخوارج، والخوارج كما قلت لك نسبوا إلى الفعل والخوارج جمع خارجي وسبب تسميتهم بذلك أنهم يتبنون الخروج على ولاة الأمر كما أن الخروج أيضاً يقع بالقول ويقع بالإعتقاد كحال القعدية وقد إختلف العلماء في أول خروجهم فمنهم من قال أن أول خروجهم كان على يد ذي الخويصرة لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم (إعدل يا محمد)، ومنهم من قال أن خروجهم كان في زمن عثمان وهم الذين خرجوا عليه، ومنهم من قال أن خروجهم عندما كانت لهم منعة أو شوكة وذلك في زمن علي رضي الله عنه، وكل هذه الأقوال صحيحة لا مانع منها لأن الخروج يقع بالقول كحال ذي الخويصرة، ويقع بالقتل كما قتلوا عثمان، ويقع بالمقاتلة كما قاتلوا علي بن أبي طالب –رضي الله عنه وأرضاه– وقد أجمل أبو محمد بن حزم رحمه الله القول فيهم فقال : (من وافق الخوارج من إنكار التحكيم، وتكفير أصحاب الكبائر، والقول بالخروج على أئمة الجور، وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار، وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي) مع التحفظ على المسألة الأخيرة لأنه يتكلم على مسألة الجواز لا مسألة الوقوع فأما الوقوع فهذا شيء آخر فإنه إذا إستتب الأمر لحاكم وإن لم يكن قرشياً ، وجب طاعته.

الخوارج والجهمية الذين تقدم الكلام عليهم والرافضة، لهم فروع كثيرة لأن أهل البدع عندهم منهج يسيرون عليه من جهة، وهو (الإنشطار للإنتشار وللصد عن سبيل الله) وإن لم يكن هذا قصدهم فإنهم بسبب جهلهم، يكفّر بعضهم بعضاً ويتبنى الواحد منهم مقالة ثم يخالفه فيها صاحبه فيتبرأ منه .

والخوارج إتفقوا جميعاً، الخوارج المتقدمون إتفقوا جميعاً على كفر عثمان وعلي بن أبي طالب وأصحاب الجمل وأصحاب صفين، والخوارج متفقون على تكفير أصحاب المعاصي والذنوب وتخليدهم في نار جهنم إلا أن هناك طائفة منهم، لا تكفر الخوارج اذا وقعوا في الكبائر وهم أول من كفر أهل القبلة كما قال شيخ الإسلام –رحمه الله– في الذنوب، ومن عقائدهم أن المتأخرين منهم كالإباضية وغيرهم على منهج وإعتقاد المعتزلة في باب الأسماء والصفات وكذلك المتقدمون منهم كما ذكر ذلك الأشعري في "المقلات" فهم ينكرون رؤية الله في الآخرة ويقولون بخلق القرآن وينكرون عذاب القبر ويرون الخروج على أئمة المسلمين إلى غير ذلك من العقائد الضالة الباطلة التي تبناها الخوارج .

ثم ذكر الفرقة الرابعة وهي القدرية، وهؤلاء ينتسبون إلى المقالة لأنهم قالوا بمقالة القدر والقدرية صنفان:

١– قدرية نفاة وهم المعتزلة فقد غلوا في نفي القدر حتى سلبوا الرب تبارك وتعالى أفعاله وعلمه بالجزئيات على ما تقدم معنا تقريره في باب القدر

٢– القدرية المثبتة وهم الجبرية الذين غلوا في إثبات القدر حتى جعلوا العبد كالريشة في مهب الريح وهذه المقالات التي يقولها هؤلاء المبتدعة راجعة إلى قول الملل السابقة من المجوس أو من اليهود أو من النصارى أو من الفلاسفة لأن هذه المقالات ما ظهرت إلا عندما ترجمت كتب الفلسفة والكلام والمنطق فتداخلت هذه الأهواء والبدع .

ثم ذكر الفرقة الخامسة وهي المرجئة، وهؤلاء المرجئة نسبةً إلى الإرجاء وهو التأخير وهم طوائف كثر لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان وأشهر هذه الطوائف من قال بأن الإيمان مجرد معرفة القلب كالجهمية ومنهم من قال بأن الإيمان مجرد نطق اللسان كما هو قول الكرامية ومنهم من قال بأن الايمان قول القلب ونطق اللسان ولا مدخل للعمل فيه كما هو قول من يسمون بمرجئة

الفقهاء فالحاصل من هذا أن جميعهم لم يقولوا بقول أهل السنة في الإيمان فعلى قول من قال بأن الايمان مجرد معرفة القلب فإن إبليس من أول المؤمنين، وعلى قول من قال كقول الجهمية وعلى قول من قال بأن الايمان نطق اللسان فإن المنافقين في أول المؤمنين كما هو قول الكرامية وعلى قول من قال بأن الايمان قول قلبٍ ونطقٍ اللسان ولا مدخل للأعمال فيه فإن من إستهان بالدين واستهزأ بالدين وترك عمل الدين فإنه يسمى عندهم يسمى مؤمناً .

ثم ذكر الفرقة السادسة وهي المعتزلة، والمعتزلة إختلف في سبب تسميتهم فقيل بسبب أن واصل بن عطاء وعمر بن عبيد أعتزل حلقة الحسن البصري وقيل بسبب إعتزالهم لعقيدة أهل السنة والجماعة فالمعتزلة على كل حال لما إعتزل واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري بسبب الكلام على أهل الكبائر لما سأله فقال هو مؤمن بأيمانه فاسق بمعصيته قال بل هو في منزلةٍ بين المنزلتين وهكذا تابعه بعد ذلك عمرو بن عبيد وهم في باب الوعيد في باب أهل الكبائر يقولون بخلودهم في النار وبأنهم في الدنيا في منزلة بين المنزلتين، وفي باب الأسماء والصفات ينفون الصفات ويثبتون الأسماء أعلاماً محضة فهم جهمية في هذا الباب، وفي باب القدر يقولون بنفي القدر، وغير ذلك من عقائدهم الضالة .

ثم ذكر الفرقة السابعة وهم الكرّامية، والكرّامية هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرّام وهم في باب الأسماء والصفات مشبهة يشبهون صفات الباري بصفات خلقه ويقولون بالإرجاء في الايمان، وهم على ضلالٍ مبين في هذا الباب، وهم فرق كثيرة جداً أوصلها المصنّفون في الفرق إلى أثني عشر فرقة .

ثم ذكر الفرقة الثامنة وهي السالمة، وهؤلاء السالمة هم أتباع رجل يقال له أبن سالم وهؤلاء مشبهة في باب الأسماء والصفات .

فهذه الفرق وما لها من نظائر مما صنّف في كتب الفرق كلهم يخالفون أهل السنة والجماعة إما في جميع أصول الاعتقاد أو في بعض أصول أهل السنة والجماعة في عقائدهم وهذه الفرق هي التي أخبر عنها النبي عليه الصلاة والسلام في قوله [وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة] وهي التي قال عنها عليه الصلاة والسلام [إنه من يعش منكم فسيرى إختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي] ولم يذكر المصنّف رحمه الله تعالى الاشعرية رغم إنتشارهم وقد ذكرهم الشيخ أبن عثيمين عليه رحمة الله تتميماً للفائدة وهم أتباع الحسن أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري وقد مر بمراحل من الإضطراب والتناقض وبقي عنده أشياء من الترسبات التي كانت عنده حتى بعد رجوعه إلى قول الإمام أحمد في باب الأسماء والصفات وهؤلاء يقولون أيضاً بتعطيل الصفات، تعطيل الصفات الفعلية وقد ذكرت لك فيما سبق أن هؤلاء جميعاً يسمون بالجهمية لماذا ؟ لأنه لا يمكن لمن نفى الصفات أن ينفيها إلا بأصل جهم وهو القياس الشمولي فالجهمية كلهم متفقون على هذا الأصل وكلهم في أصل قولهم مشبهة ثم بعد ذلك أنتفوا من التشبيه بالتعطيل الذي ألبسوه ثوب التنزيه كما يقول شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى– ثم أن الشيخ أبن قدامة عليه رحمة الله ومغفرته ذكر ما يتعلق بمسألة الإنتساب إلى المذاهب حتى لا يظن أن الإنتساب إلى المذاهب الأربعة أو أحدها أنه داخل في هذا الباب قال رحمه الله: **وأما بالنسبة إلى إمام في فروع الدين كالطوائف الأربع فليس بمذموم فإن الإختلاف في الفروع رحمة والمختلفون فيه محمودون في إختلافهم مثابون في إجتهادهم وإختلافهم رحمة واسعة وإتفاقهم حجة قاطعة.**

هذا الموضع ذكر فيه العلامة أبن قدامة رحمه الله تعالى مسألة متعلقة بالإنتساب إلى المذاهب الأربعة ونحن نعلم جميعاً أن الفقه الذي أراد أن يتكلم عليه المصنّف –رحمه الله– ومر بمراحل كثيرة ولم يكن الصحابة والتابعون ينتسبون إلى مدرسة معينة في الفقه وإنما كانت لهم إجتهادات على سبب فهمهم للكتاب وللسنة ولما أفتى به أصحاب رسول الله صل الله عليه وسلم ثم تفقه

على هؤلاء الصحابة طوائف من التابعين ورحلوا في مشارق الأرض ومغاربها وأخذ الناس عنهم وأخذوا من فتاويهم قواعد وأصول أرجعوا إليها أقوالهم فانتشرت ولم تكن محصورة في هؤلاء الأئمة الأربعة بل ظهر في إجتهادات وفتاوى وفقهيات وأصول وتخريجات قبل أن يكون الإمام أبو حنيفة فضلاً عن مالك فضلاً عن الشافعي فضلاً عن أحمد ولكن هذه المذاهب لم تأخذ أصولاً معينة مقررة محررة ثم بعد ذلك ظهرت تلك المدارس الفقهية التي إعتنى بها العلماء وجمعوا فتاوى أصحابها وخرجوا على أصولهم فسميت هذه المذاهب المذاهب الأربعة، لها كتب، لها مختصرات، لها مطولات، لها شروح، لها أصول، لها قواعد يرجع إليها، هذه المذاهب أيضاً أنا أريد أن أقدم بمقدمة ليس تقريراً للمسألة هذه المذاهب أيضا الأربعة كل مذهب منها مر بمراحل كثيرة إلا أن جميع المذاهب يرجع مراحل المذهب إلى ثلاث مراحل المتقدمين والمتوسطين والمتأخرين ثم مسألة إستقرار أو إستقرار المنهج وما عليه الفتوى وما عليه العمل إلى ما أشبه ذلك، من هنا بدأ الخلاف يجنح إلى أنواع من الخروج عما أمر الله به ورسوله وهو التعصب لهذه المذاهب ومن هنا أحتاج العلماء رحمهم الله إلى أن يتكلموا عن حكم الخروج على هذه المذاهب وحكم الإنتساب إليها ولا خلاف بينهم جميعاً أن هذه المذاهب راجعة إلى ما فهمه أصحابها من نصوص الكتاب والسنة وأن خلافهم راجع إلى أصول، وأنه لا مانع من فهم الفقه وفهم الأحكام الشرعية وفهم تفسير القرآن وفهم شرح الأحاديث على مقتضى ما تركوه من الكتب، فيستفيد الحنبلي من المالكي، والمالكي من الحنفي وهذا أمر معلوم، والعلم مُشاع بينهم، إلا أنه لما نحا الأمر إلى منحى التعصب بسبب بعض المقالات الموجودة في كتب المذاهب احتاج العلماء إلى أن يبيّنوا حكم الإنتماء والإنتساب إلى هذه المذاهب مع أنهم جميعاً لا يمانعون أن يتفقه طالب العلم على كتاب معيّن من كتب المذاهب الأربعة أو على مذهب معيّن مع تجرّده للحق وإتباعه للدليل. هذه المسألة مشهورة في كتب أصول الفقه، يتكلمون عليها في باب التقليد ويتكلمون على مسألة التلفيق بين المذاهب والخروج على المذاهب الأربعة وما أشبه ذلك. فمن جهة الإنتساب، ما زال الجمهور من أهل العلم ينتسبون إلى مذهب معيّن من المذاهب الأربعة، كمذهب مالك ومذهب أبي حنيفة أو مذهب الشافعي أو مذهب أحمد وأنه يتفقّه على هذا المذهب، ثم هم بعد ذلك درجات، فيهم المقلد

المتعصب الذي يقول مثل تلك المقالات بأن كل آية أو حديث خالفت مذهبنا فإنها إما مؤوَّلة أو منسوخة كما قاله الكرخي من الحنفية وكما يقوله غيره، فهذا هو المذموم. أما كون الإنسان يتفقه على مذهب معيّن من المذاهب الأربعة ويتعلم الأحكام على مقتضاه أو على مقتضى إجتهاد المصنّف أو ما أستقر عليه المذهب أو ما صار عليه العمل أو ما صارت عليه الفتوى، فإن هذا لا مانع منه لكن الذي كان ينهى عنه السلف هو التعصب، ومن ذلك أيضاً ما قاله بعض العلماء على ما لهم من الفضل والإمامة في الدين من أنه لا يجوز ولا يحل الخروج على المذاهب الأربعة كما يقوله الحافظ أبوعمرو بن الصلاح والحافظ أبن رجب وغيرهم، وصاحب المراقي "مراقي السعود"، وغيرهم على أنه لا يجوز الخروج على هذه المذاهب، ويخالفهم جمهور من أهل العلم كُثُر يقولون بالجواز، وصنّف أبن رجب كتاباً في المسألة الأولى من الحنابلة وصنّف مرعي الكرمي كتاباً في مخالفة هذا القول وأنه لا مانع من مسألة التلفيق وهي التي يسموها في التلفيق بين المذاهب، وقد خالف شيخ الإسلام أبن تيمية –رحمه الله تعالى– وخرج –كما يقولون– على قول جمهور أهل العلم بل على الأئمة الأربعة في بعض المسائل وتابعه عليها قوم من المجتهدين من أهل العلم، فعلى كل حال نحن تكلمنا عن هذا من ناحية تاريخية ومن ناحية حكمية.

الشيخ يقول: "**وأما بالنسبة إلى إمام في فروع الدين،كالطوائف الأربع**" يريد مذهب الحنفية ومذهب المالكية ومذهب الشافعية ومذهب الحنابلة. "**فليس بمذموم، فإن الاختلاف في الفروع رحمة**" الاختلاف في الفروع رحمة هذا –يعني– العلماء يشيرون فيه إلى حديث لا أصل له [خلاف أمتي رحمة] لكن هذا الحديث كما هو معلوم لا أصل له، إنما أراد أن فيه توسعة كما يقول الشراح، توسعة على الناس وهذا أمر معلوم. وشيخ الإسلام –رحمه الله تعالى– له رسالة عظيمة جليلة القدر دائماً ننصح أنفسنا وإخواننا من طلبة العلم وخصوصاً الذين لهم نهمة في دراسة الفقه والوقوف على الخلاف فيه، ألا وهي كتاب "رفع الملام عن الأئمة الأعلام" فقد ذكر فيها أسباب اختلاف العلماء في هذه الفقهيات، فإن الاختلاف في الفروع رحمة **(كلام غير واضح)** فإذا لزموا الإنصاف والعدل واتباع الكتاب والسنة والعمل بالدليل وإذا ظهر لهم فإن هذا يكون محموداً، أما في غير ذلك فإنه مذموم، ومن قرأ كتب التأريخ كالبداية والنهاية رأى لا أقول ما يبكي العيون دمعاً بل يبكي الجسد كله دماً ويتفطّر له القلب من حالة المسلمين التي وصلوا إليها

في باب التعصب، وأبعد من هذا وأعجب ما ذكره مؤلف كتاب "معجم البلدان" ياقوت الحموي من مستشنع التعصب الذي وصل إليه طوائف المسلمين المذاهب الأربعة المنتسبين إلى الفقه حتى أنه ذكر أنه مر على قرية من القرى كانت عامرة وبجانبها قرية أخرى أحدها لمذهب وأحدها لمذهب، ثم مر بعد ذلك فإذا بها خراب يباب لم يبق فيها ما يُؤنَس، فسأل عنها فقال قتل بعضهم بعضاً بسبب التعصب أو كما ذكر. ومعلوم أن بعض أصحاب المذاهب يقول بأنه لا يُزوِّج مثلا الشافعي من الحنفية وأنهم يُنزِّلون منزلة أهل الكتاب. فإذا خلا الأمر من التعصب المذهبي والتقليد الأعمى كما يقال، فإن طالب العلم يتفقه على هذه الكتب قدر ما يستطيع ولا يتعصب لها إذا عرف الدليل.

قال: "**مثابون في إجتهادهم، وإختلافهم رحمة واسعة**" -كما تقدم-"**واتفاقهم حجة قاطعة**" أراد إتفاق الأئمة الأربعة، وهذه مسألة خلافية إلا أن الذهبي رحمه الله تعالى قال في ترجمة الأوزاعي من السِّير قالَ : "**وإذا اتفق الجمهور على قول فإننا لا نجسر على مخالفته**"، ومعلوم أن العالم طالب العلم إذا تبين له الحق في الدليل فإنه يتّبعه.

ثم ختم المصنّف رسالته بخاتمة الدعاء، ونسأل الله أن يختم لنا وإياكم بحسنى فقال: "**نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة، ويحيينا على الإسلام والسنة، ويجعلنا ممن يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحياة، ويحشرنا في زمرته بعد الممات برحمته وفضله آمين.**

وهذا آخر المعتقد والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما."

ذكر المصنّف رحمه الله تعالى هنا هذا الدعاء الجامع.

ومسألة الإجماع لم يقصد بها الشيخ رحمه الله تعالى الإجماع الذي أجمع عليه جميع الأمة وإنما هي مسألة معروفة عند الأصوليين وهي أنه إذا اتفق الأئمة الأربعة على قول فهل يجوز الخروج عنه؟ فهي ما ذكرته لك قبل قليل والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

انتهى الدرس الثالث عشر والأخير

